وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ و علم الآثار

شعبة التاريخ

علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالب:

عمر راكـــــة

إشراف الأستاذ الدكتور:

بودواية مبخـــــوت

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســـــا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. بلوفة عبد القادر	أستاذ محـــاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضـــــوا
د.العـــايب معمـــر	أستاذ محـــاضر(ب)	جامعة تلمسان	عضـــــوا

السنة الجامعية: 2010م/2011م-1431هـ/1432هـ

6.31-09

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل،

ومن بعده نشكر السيد المشرف الأستاذ الدكتور مبخوت

بودواية، الذي ساعدنا على إنجاز هذه المذكرة.

راكحة عمر

إهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين العزيزين وجميع

أفراد عائلتي الكريمة و إلى كل الأحباب والأصدقاء.

راكة عمر

قائمة المختصرات

ج : الجزء.

ط: الطبعة.

مج: المجلد.

ع: العصر.

ق: القسم

ص: الصفحة.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى صحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد.

إن التاريخ السياسي لبلاد المغرب الإسلامي مليء بالأحداث التاريخية و تعد الفترة الممتدة من القرن 5 هـ/11م إلى القرن 8هـ/ 14م أزهى هذه الفترات بما فيها من انتصارات و هي توفر مادة غنية للمؤرخين ، و قد اصطفينا من هذا التاريخ الطويل فترة القرنين 6هـ/12م و 7هـ/13م من أجل الدراسة و هي الفترة التي تعاصر الدولة الموحدية في المغرب و الأندلس.

ولما كانت هذه الدولة في مختلف أطوار حياتها اصطدمت بالعديد من الإمارات والممالك التي أعاقت توسعها في الأندلس بداية من سنة540هـ/ 1147م تمثل أغلبها في إمارات إسلامية وممالك مسيحية وهذا هو موضوع دراستنا.

ويمكن القول أن اختيارنا لهذا الموضوع هو أن الفترة المدروسة تمثل نقطة مهمة في تـــاريخ الإسلام ببلاد المغرب ، بالإضافة أن أغلب الدراسات تناولت الدولة الموحدية بشكل عام و قد أهملت الجزئيات التي كان لها دور كبير في تحديد مصير الدولة الموحدية عامة و الأندلس بشكل خاص .

ونحن نهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- إبراز الأحداث التي ميزت فترة القرنين 6هـ/12م و 7هـ/13م بالأندلس.
- تبيين مدى الصعوبات التي واجهت الموحدين في بسط سلطانهم على الأندلس .
- محاولة إثراء الرصيد المكتبي بدراسة مفصلة عن تلك الأحداث.

ولدراسة هذا الموضوع طرحنا إشكالية تتمحور حول طبيعة علاقات الدولـــة الموحديـــة مـــع الإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس و مدى تأثير هذه العلاقات على مصـــيرها عامـــة و الأندلس بصفة خاصة ، وقد تفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي كالتالي:

- كيف كانت أوضاع المغرب و الأندلس في نهاية حكم المرابطين ؟
- كيف نشأت الدولة الموحدية في المغرب و كيف تمكنت من ضمِّ الأندلس ؟
- ماهي الإمارات الإسلامية في الأندلس التي واجهت الدولة الموحدية حربيا ؟
- كيف كانت أوضاع الممالك المسيحية في الأندلس غداة حكم الموحدين ، و ما هـــي طبيعة العلاقة بينهما ؟

ومحاولة منا لمعالجة الإشكالية والإجابة على التساؤلات اقترحنا خطة مكونة من مقدمـــة، فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة؛ في الفصل التمهيدي حاولنا أن نبين أوضاع بـــلاد المغـــرب و الأندلس في الفترة التي دبّ فيها الضّعف داخل أركان دولة المرابطين أي في مطلع القرن 6هـــ/12م.

ثم تناولنا في الفصل الأول نشأة الدولة الموحدية في بلاد المغرب و قضائها علـــى الدولـــة المرابطية و جهودها في توحيد تلك البلاد من الشرق إلى الغرب و كذلك عبـــور الموحـــدين نحـــو الأندلس من أجل ضمها و دفع خطر الممالك المسيحية عنها .

ثم حاولنا في الفصل الثاني أن نُضَمِّنَهُ العلاقات السياسية للدولة الموحديـــة مـــع الإمـــارات الإسلامية في الأندلس وهي إمارة "محمد ابن مردنيش" و إمارة "بني غانية" و بعض الإمارات المتأخرة مثل بني مردنيش ، بني هود و بني نصر .

و حاولنا أن نتطرق في الفصل الثالث للعلاقات السياسية للدولة الموحدية مع الممالك المسيحية كمملكة أراغون ، قشتالة وليون و ذلك بذكر ما كان بينهما من الحروب و المعارك تارة والمعاهدات و العلاقات السلمية تارة أخرى مع التركيز على معركتي الأرك و العقاب لما لهما من دور كـــبير في رسم مصير الأندلس الإسلامية ، دون إهمال دور البابوية التي كانت تذكى الصراع هناك.

وفي الأخير وضعنا لهذه الدراسة خاتمة أدرجنا فيها الاستنتاجات العامة و كـــذلك حاولنـــا أن نجيب فيها عن الإشكالية الرئيسية للبحث و التساؤلات.

أما المنهج المتبع في الدراسة فقد كان منهجا تاريخيا يعتمد على وصف الأحـــداث التاريخيـــة السياسية و عرض للمعارك الحربية المهمة في الفترة المدروسة .

و ككل بحث فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات هـــي عـــدم التوصـــل للمـــادة العلميـــة كالمخطوطات العربية الخاصة بتاريخ الدولة الموحدية و كذلك المصادر و المراجع باللغة الإسبانية فرغم استعانتنا بالمواقع الإلكترونية لكن ذلك لم يف بالغرض .

دراسة المصادر و المراجع :

إن طبيعة الموضوع تفرض على الباحث دراسة مادته العلمية التي كانت مرجعيته الأساسية في البحث و ذلك لإثرائه و كذلك تبيين مدى مصداقيته التاريخية ، و بالتالي كان من اللازم الاعتمـــاد علـــى بيبليوغرافيا متنوعة من مصادر و مراجع لعلنا بها نبلغ ولو جزء من الصواب .

أ- المصادر :

- كتاب **"المن بالإمامة"** لـــ "ابن صاحب الصلاة" (ت 594هـــ/ 1198م)و هو مصـــدر مهـــم لتاريخ الدولة الموحدية ذلك أن المؤلف شاهد عيان للفترة المدروسة خاصة أنه كان عاملا في الـــبلاط الموحدي و مقربا من الخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" ، ويتألف الكتاب من ثلاث أجزاء لكن الجزأين الأول والثالث ضاعا و بقي الجزء الثاني الذي حققه الأستاذ" عبد الهادي التازي" و ثمن كثيرا هوامشه حيث أفادنا كثيرا في هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق بالثورات الأولى على الموحـــدين كما يذكر بعض المعاهدات التي عقدها الموحدون مع الممالك المسيحية حتى أن أغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعده نقلوا عنه نصوص تلك المعاهدات كاملة مثل "ابن عذاري" و "ابن القطان" .

-كتاب " **أخبار المهدي بن تومرت** " لـــ "أبوبكر بن علي الصنهاجي" الملقب بـــــ"البيذق"(ت ق 6هـــ/ق 12م) وحققه الدكتور "عبد الحميد حاجيات" ، ويعتبر "البيذق" أحد تلامذة "المهدي بن تومرت" و عاصر كل مراحل بناء الدولة الموحدية منذ بداية الدعوة إلى توسعها في عهد الخليفة "عبد المؤمن بن علي" و ابنه " أبو يعقوب يوسف " كما شارك في الكثير من الأحداث و أشار للثـــورات على الموحدين و علاقات بعض الخلفاء الموحدين مع الممالك المسيحية.

-كتاب **"نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان "** و مؤلفه "الحسن بـــن علـــي الكتـــامي الفاسي" المعروف بـــ "ابن القطان"الفاسي(ت 628هـــ/ 1230م) وقام بتحقيقه الدكتور "محمود علي مكي" ، و يعتبر المؤلِف أحد كتّاب الدولة الموحدية ومعاصرا للخليفة "المرتضى" ، هذا و لم يبق من الكتاب سوى السِفْر الثالث عشر الذي يحتوي على معلومات هامة حول أوضاع الدولة المرابطية في أواخر أيامها و ابتداء دولة الموحدين وكذا تنظيمها في عهد "محمد بن تومرت" و "عبد المؤمن بن علي" .

-كتاب " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" الجزء الخاص بالموحدين و مؤلفه " أبو العباس أحمد بن محمد " المعروف بـــ "ابن عِذاري" ، قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين ، يعتبر هذا الكتـــاب مصدرا مهما لكثير من الأحداث في أوخر الدولة المرابطية إلى انهيار الدولة الموحدية ذلك أنـــه كـــان شاهدا على هذه الفترة كما أنه اطلع على الكثير من المصادر التي هي في عداد المفقود حاليا ككتـــب ابن صاحـــب الصلاة و ابن القطـــان و ابن الصيرفي .

-كتاب " **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" لـــ"عبد الواحد المراكشي" (حي ســـنة 613هـــــ/ 1216م)الذي يتناول كل تاريخ بلاد المغرب منذالفتح و حتى اواخر الدولة الموحدية و هذا ما يزيد من قيمته كونه عاصر الفترة التي نريد دراستها ، كما يتميز هذا الكتاب بنوع من الموضوعية ذلك أنه ألّف في بغداد بعيد عن نفوذ و تأثير السلطة الموحدية ، وهو يفيد في كل مراحل نشـــأة و تطـــور الدولة الموحدية بما فيها العلاقات مع الإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس .

-كتاب " **كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم مـــن ذوي السلطان الأكبر**" لـــ"ابن خلدون" محمد(ت 808هـــ/ 1405م)حيث يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا خاصة الجزء الرابع و السادس و السابع ، وقد أفادنا كثيرا في كل ما يتعلق بالقبائل البربرية التي كان لها دور في تاريخ الدولة الموحدية وحتى الكثير من الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب سواء قبل نشوء الدولة الموحدية أو بعد النشأة .

ب-كتب التراجم و السير :

و بالنسبة للمصادر المتعلقة بالتراجم و السير فقد اعتمدنا على كتب ابن الأبـــار القضـــاعي (ت658هـــ/ 1260 م) و أهمها:

كتاب " **التكملة لكتاب الصلة**" و كتاب " **الحلة السيراء** " حيث أفادتنا كثيرا هـــذه الكتـــب في الترجمة للشخصيات التي عاصرت الدولة الموحدية و كان لها دور كبير في صنع الأحداث آنذاك ذلك أن ابن الأبار كان معاصرا لهذه الفترة مشاركا في أحداثها و قد خصص لها حيزا كيرا من كتبه.

كتب ابن الخطيب(ت 776هـــ/ 1291م)، و أهمها كتاب " **الإحاطـــة في أخبـــار غرناطـــة**" و كتاب "**أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**" خاصة الجزء المتعلق بتـــاريخ الأندلس الذي قام بتحقيقه ليفي بروفنسال و المسمى بـــ" **تاريخ إسبانيا الإسلامية**" حيث أفادنا هذان

الكتابان كثيرا فيما يتعلق بالرجال الذين كانت لهم علاقة بالأحداث في الدولة الموحدية ، وكـــذلك استخلصنا منه بعض المواضيع حول علاقة الموحدين بالثوار الأندلسيين و حتى مع الدول المسيحية.

ج- كتب الجغرافيا و الرحلات:

وفيما يخص الكتب الجغرافية فقد اعتنينا بها و اعتدمنا على مجموعة كبيرة منـــها للتعريـــف بالمـــدن و الأقاليم الجغرافية قيد الدراسة حيث اعتمدنا على:

- كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**" لـــ "عبيـــد الله البكـــري"الله)(ت 487هـــــ/ 1094م)

- كتاب "**نزهة المشتاق في خبر الآفاق**" لـــ "الإدريسي" (ت 560هـــ/ 1162م)و خاصة الجزء الذي قام بتحقيقه "إسماعيل العربي" حيث يعرفنا بالمدن المغربية و أحوالها خلال الفتـــرة الـــتي نقـــوم بدراستها .

- كتاب " **الروض المعطار في خبر الأقطار**" لـــ " عبد المنعم الحميري" (ت 866هـــ/ 1381م) الذي اعتمد في كتابه على مصادر أصلية تعود لفترة الموحدين أو قريبا منها و قد أفادنـــا كـــثيرا في التعريف بالمدن التي لم تتطرق لها بعض المصادر السابقة .

د- المراجع :

والمراجع فقد تنوعت أهمها:

- كتاب " **دولة الإسلام في الأندلس**" لـــ"محمد عبد عنان" وهو كتاب يفيد كثيرا في دراسة تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح و حتى السقوط لكننا نحن اصطغينا منه ما يخص دراستنا ، حيث يتميـــز الكتاب بوفرة المعلومات و اعتماده على الكثير من المخطوطات والمراجع الاسبانية مما يتيح له الحصول على الكثير من المعلومات التي قلما وجدت عند غيره .

- كتاب " **سقوط دولة الموحدين** " لـــ "مراجع عقيلة الغناي" و هو مرجع مهم يتنـــاول الدولـــة الموحدية منذ النشأة و حتى السقوط حيث يتضمن الكثير من الإستنتاجات و الأسباب حول ضـــعف و انهيار الدولة الموحدية كما تطرق الكتاب لكل الثورات الـــتي قامـــت عـــلى الموحدين في المغرب و الأندلس و كذلك الحروب التي خاضها الموحدون في الأندلس ضد الممالك المسيـــحية .

-كتاب " **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي** " لـــ " علي عبد الله علام " حيث أفادنا الكتاب كثيرا في دارسة سقوط دولة المرابطين و قيام دولة الموحدين في المغرب و الأندلس ، وقد

تضمن معلومات وفيرة مفصلة حول دعوة محمد بن تومرت ، و الحروب التي نشبت بـــين المـــرابطين و الموحدين ، وثورات الأندلسيين على المرابطين أواخر عهدهم و كذلك جواز الموحدين إلى الأندلس وضم معظم البلاد .

كما اعتمدنا على الكتب الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية و أهمها:

- كتاب "**الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين**" للمستشرق الألماني " يوسف أشـــباخ" و قـــام بترجمته "محمد عبد الله عنان" حيث أن الكتاب يقع في جزأين يتناول التاريخ العام للمغرب والأندلس في عهدي المرابطين و الموحدين وقد أفادنا الكتاب كثيرا فيما يتعلق بالتاريخ السياسي للأندلس في عهد الموحدين و علاقتهم بالممالك لمسيحية و يتصف الكتاب بنوع من الحياد و الموضوعية وكـــذلك الشمولية دون التدقيق في الأحداث لمعرفة أسبابها و النتائج المترتبة عنها .

- كتاب "**التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية** لـــ" أمبروسيو هويثي ميراندا" الذي تناول كافة الأحداث السياسية للدولة الموحدية و قد أفادنا كثيرا فيما يتعلق بنشأة الدولة الموحديـــة و كـــذلك علاقاتها مع الممالك المسيحية في الأندلس وخاصة مع البابوية التي أورد عنها ملعومات لم توجد عنـــد غيره من الباحثين .

هذا إضافة إلى بعض المراجع باللغات الأجنبيـــة مثـــل كتـــاب les **Almoravides : le djihade Andalou** لـــ" فنسنت لاجاردار" و هو كتاب يبين بصفة دقيقة حالة الأندلس بعد انهيار الدولة المرابطية و كذلك كتاب **Les Almohades** لـــ "روني ميي" الذي يتناول دراسة الدولة الموحدية منذ نشأها و إلى غاية سقوطها مرورا بعدة محطات تهم دراستنا كعلاقـــة الموحـــدين بمملكـــــة قشـــــتالة و كـــــذلك حـــــروبهم مـــــع ابـــــن مـــــردنيش .

أولا : أوضاع بلاد المغرب في نهاية حكم المرابطين:

1- الخريطة السياسية لبلاد المغرب :

إن بلاد المغرب[1] في مطلع القرن 6 هـ/ 12م كانت تضم مجموعة من الكيانات السياسية أهمها الدولة الزيرية في المغرب الأدنى و الدولة الحمادية في معظم أجزاء بلاد المغرب الأوسط بصحبة الدولة المرابطية التي حكمت أجزاء من المغرب الأوسط و كل المغرب الأقصى و الأندلس[2].

و فيما يخص الدولة الزيرية فإنها تنسب إلى بني زيري الذين ولاّهم الفاطميون[3] ولاية بلاد المغرب بعد رحيلهم إلى مصر[4] ، وذلك من أجل محاربة زناتة[5] الموالين للأمويين في الأندلس و كان المذهب الشيعي الإسماعيلي[6] مذهبا رسميا للدولة ، كما أن الدولة كانت ملزمة إجباريا

---

[1]- بلاد المغرب: ونقصد بها البلاد الواقعة من مصر شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا وتنقسم إلى المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ويضاف إليها الأندلس ؛شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دار الكتب العلمية ، لبنان ،2002 ،ص ص 179ـــ189

[2]- الأندلس: يُراد بهذا اللفظ "إسبانيا الإسلامية" "اشتقه العرب من كلمة "واندلوس" نسبة إلى القبائل القوطية الوندالية ذات الأصول الجرمانية التي اجتاحت جنوب أوروبا خلال القرن 5م، في بادئ الأمر كان يعم كافة شبه الجزيرة الأيبيرية لكن بدأ يتقلص جغرافيا حتى أصبح حاليا يطلق على مقاطعة جنوب إسبانيا، أبو القاسم ابن عبيد بن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889،ص ص 80-90 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط دولة الموحدين ،ط2، منشورات قاريونس ، بنغازي ، 2008، ص15.

[3]- الفاطميون: من الأسر التي حكمت بلاد المغرب في فترة القرن 4هـ/10م و يجعلون نسبهم يصل إلى "فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم" ، وكان "أبو عبد الله الداعي" وفد إلى بلاد المغرب مع حجيج كتامة و استطاع أن يمهد الأوضاع ويجند بعض القبائل البربرية لخدمة أفكاره الشيعية الإسماعيلية فقضى على حكم الأغالبة في المغرب الأدنى و استدعى الخليفة "أبو عبيد الله المهدي" ليتولى زمام الأمور في بلاد المغرب ، و قد لاق الفاطميون معارضة شديدة من قبل القبائل البربرية البترية و على رأسها زناتة بقيادة" أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار" و المدعوم من الأمويين في الأندلس ؛أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007، ص ص 32-35 .

[4]- مصر: هي بلاد من شمال إفريقيا غربها تمتد بلاد المغرب و تتصل مع بلاد السودان في الجنوب وبلاد الشام في الشرق كما تطل على البحر الأحمر من الشرق و البحر المتوسط من الشمال ، يجري بها النيل على طول السنة و حوله أراض خصبة مزروعة بمختلف الأنواع و هي أرض الأقباط ، انتزعها الأيوبيون من يد الفاطميين ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، دار صادر لبنان، 1979، ص 137.

[5]-زناتة : قبيلة من قبائل البربر ببلاد المغرب و هي من أكبرها ، سكنوا كل المنطقة الممتدة من غدامس شرقا إلى السوس الأقصى غربا و يتميزون بكثرة الفروع كبني زيان وبني مرين و بني مطهر و بني يفرن ...و قد ملكوا بلاد المغرب في كثير من الأحيان ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1992، ص ص3-6.

[6]- المذهب الشيعي الإسماعيلي : هو من أكثر المذاهب تطرفا ، لأتباعه عقائد غريبة جدا وصلوا فيها إلى حد إنكار وجود الله عز و جل كما يرون بعصمة أئمتهم لدرجة إحلالهم مرتبة النبوة و الألوهية مثلما فعل الدروز مع الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وبصفة عامة ينسب الإسماعليون أنفسهم إلى "إسماعيل بن جعفر الصادق" ، حيث يظهرون التشيع لآل البيت رضي الله عنهم و لهم ألقابا عديدة أهمها : الباطنية لأنهم يرون بأن للنصوص الشرعية بواطن خفية و أسرار و إشارات تخالف ظواهرها كما يسمون بالسبعية لأنهم يرون بأن الإمامة تنتهي عند الإمام السابع هو

بدفع نصيب من أموالها لخزينة الخلافة الفاطمية في مصر ، لكن هذه التبعية لم تدم طويلا فأميرهم"المنصور بن بلكين"[1] أعلن صراحة حقه و حق أسرته في حكم بلاد المغرب عندما قال: "و ما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب و يعزل بكتاب ، لأني ورثته عن أبائي و أجدادي وورثوه عن آبائهم و أجدادهم."[2]

إن هذا لدليل صريح على رغبة الزيريين في الاستقلال حيث كانوا يرون أنهم أحق بتلك الأموال التي تذهب لخزينة الدولة الفاطمية ، حتى يتمكنوا من إستغلالها في تطوير بلادهم وإنفاقها على شعبهم ، أما من الناحية السياسية فقد حاولوا إظهار أنفسهم على أساس أنهم ملاك بلاد المغرب بدون منازع عندما منحوا ولاية بلاد المغرب الأوسط لعمهم "حماد" وجعلوها وراثية في نسله [3].

ثم إن الزيريين أكدوا هذا الإستقلال عندما قاموا في عهد "باديس بن المنصور" بمقاتلة جيش الفاطميين لما أرادوا إسترداد ولاية طرابلس في عهد "الحاكم بأمر الله الفاطمي"[4] فانتصر الزيريون و لم يتمكن الفاطميون من فعل أي شيء حيال ذلك بل رضخوا للأمر الواقع ، هذا ولكي يكون الاستقلال نهائي قام الأمير الحمادي "المعز بن باديس" بإلغاء المذهب الإسماعيلي

= "إسماعيل بن جعفر" ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تح : محمد محي الدين ، الكتبة العصرية ، بيروت ، 1995، ص63 ؛ صابر طعيمة ، الشيعة "معتقدا و مذهبا " ، ط1 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1988 ، ص ص 41-50.

[1]- هو ثاني الأمراء الزيريين حكم بعد والده بلكين بن زيري الصنهاجي في الفترة الممتدة من 374هـ-984م/386هـ-996م وواصل أثناء حكمه الإصلاحات التي أقرها والده من قبله كما تواصلت مسيرة الازدهار و الرفاهية و الأمن ، أهم ما ميّز فترة حكمه هو الحملة التي قادها من أجل إخضاع بلاد المغرب الأقصى و كذلك ثورة كتامة ؛ رشيد بورويبة و آخرون ، الجزائر في التاريخ : العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984،ص ص163-165.

[2]- مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص16 ؛ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص ص 158-160.

[3]- مراجع عقيلة الغناي ، نفس المرجع ،ص160.

[4]- الحاكم بأمر الله الفاطمي: هو احد الخلفاء الفاطميون ولد يوم 23 ربيع الأول 375هـ/13أوت 985م من أم ولد هي جارية رومية و أبوه الخليفة العزيز بالله ، تولى الخلافة وهو ابن أثنا عشرة سنة ، في عهده شهدت مصر أوج قوتها حيث بعد هذه الفترة سوف تبدأ فترة انحطاط الدولة الفاطمية كما أن الحاكم بأمر الله عرف بالسطوة و الاستبداد حتى أن فرقة من فرق الباطنية يظنون انه إلها و لا يزال هذا اعتقادهم إلى يومنا هذا ، توفي الحاكم بأمر الله يوم 27شوال 411هـ/13فبراير1021م إثر جريمة غامضة تبيّنها مختلف الروايات على أساس إختفاء ؛ محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله الفاطمي و أسرار الدعوة الفاطمية ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1983، ص233؛ جميل أبو ترابي ، من هم الموحدين الدروز ، ط2 ، منشورات دار العلاء للنشر و التوزيع ، دمشق ، 2007، ص9.

سنة 440 هـ/1148م[1] و تم استبداله بمذهب أهل السنة و الجماعة و هو المذهب المالكي السني[2].

و بطبيعة الحال لم يرض الفاطميون بهذه الأوضاع و كانت ردة فعلهم قاسية نوعا ما و ذلك عندما سمحوا لقبائل "بني هلال و بني سليم"[3] بالعبور نحو بلاد المغرب انتقاما من "بني زيري" ، فدمر "بنو هلال و بنو سليم" كل ما جاء في طريقهم من المدن و الحواضر [4]، و وجد الطامعون في الحكم و السلطة الفرصة مواتية لتحقيق مآربهم فأعلن كل أميرٍ أو والٍ أو زعيم نفسه حاكما على الجهة التي تقع في مجال نفوذه و دخلوا في حماية تلك القبائل مشترين خدماتها[5].

لقد كان لتلك القبائل أثر سلبي على أوضاع الدولة الزيرية حيث هلكت جميع قواتها في التصدي لتلك الجحافل و تداعى سلطانهم حتى أن السلطان الزيري لم يكن يسيطر إلا على عاصمته و أحوازها ، و قد استغل ملوك صقلية[6] هذه المحنة و بعثوا بأساطيلهم لغزو بلاد المغرب

---

[1]– طارق بن زاوي ، استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2008-2009 ، ص 160.

[2]– شهدت بلاد المغرب صراعا عنيفا بين مرجعيات المذهب الرافضي الإسماعيلي و أنصار المذهب المالكي السني الذي ينسب إلى "مالك بن أنس"(93هـ/712م- 179هـ/795م) فقيه المدينة النبوية و الذي أصر على أن يكون التشريع الإسلامي نابعا من الكتاب و السنة عن طريق فهم الصحابة رضي الله عنه، وقد استحسن المغاربة هذا المذهب و اعتنقوه و برز منهم جم غفير من العلماء اجتهدوا فيه وصنفوا أمهات الكتب حول هذا المذهب مثل : "عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي المعرف" بـ"سحنون"(160هـ/776م-240هـ /854م) و "أسد بن الفرات"(142هـ/759م-213هـ/828م) ؛ المهدي بن محمد السعيدي ، حركة الإصلاح المالكي بالمغرب و دور وكاك بن زلوا اللمطي خلالها ، مجلة التاريخ العربي ، عدد 49 ، الرباط ، 2009 ، ص ص 7-8 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق، ص 17

[3]– بنو هلال وبنو سليم : هما فرعين من فروع القبائل الأعرابية كان موطنها في بلاد اليمن ثم توجهوا شمالا إلى بلاد الشام و صعيد مصر إلى أن سمح لهم الفاطميون بالعبور نحو بلاد المغرب انتقاما من بني زيري ، فبني هلال يقسمون إلى عدة قبائل مثل بني رياح ، بني عامر و بني عقبة؛ أما بنو سليم فهم من بطون "مضر" و هم أكثرهم جموعا ينتسبون إلى "سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر"؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج6 ، دار الكتب العلمية، بيروت1992،ص141؛ مارمول كاربخال ، إفريقيا، ج1 ، تر : محمد حجي و آخرون ، مكتبة المعارف للنشرو التوزيع ، الرباط ، 1984، ص 98-105 ؛ أبو الفوز محمد أمين البغدادي "السويدي" ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979 ، ص74.

[4]– عيسى قوراري ، قبيلة حميان من القرن 5هـ/8م – 09هـ/14م دراسة تاريخية و ثقافية ، أطروحة دكتوراه ، قسم الثقافة الشعبية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة تلمسان ، 2005-2006، ص 124.

[5]– مراجع عقيلة الغناي، نفس المرجع ، ص 18 ؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص ص 671-672.

[6]– صقلية : جزيرة بالبحر المتوسط قريبة من المغرب الأدنى و من إيطاليا و هي تنسب إلى مدينة بها ومعناها باللغة القديم " تين و زيتون "، افتتحها الأغالبة بقيادة العالم الجليل "أسد بن الفرات " أميرا و قاضيا ، سقطت في أيدي الصليبيين و أميرهم روجار الأول سنة 453هـ/1060م؛ محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، لبنان، 1979، ص366.

المغرب الأدنى فتمكنوا من السيطرة على جميع البلاد التي كانت بيد الزيريين و انتهت باستيلاء النورمانديين[1] على "المهدية" عاصمة الزيريين سنة 543هـ/1148م من يد أميرها "الحسين بن علي الصنهاجي".[2]

أما بالنسبة للدولة الحمادية فقد تأسست بعدما سمح "المنصور بن باديس" لعمه "حماد بن بلكين" بتأسيس إمارته في بلاد المغرب الأوسط و ما يفتحه من بلاد المغرب الأقصى سنة 387هـ/988م على أن يكون تابعا للزيريين و هذا ما لم يدم طويلا فاستقل الحماديون تماما عن الزيريين و ألغوا التبعية للدولة الفاطمية و تم إلغاء المذهب الإسماعيلي و استبدل بالمذهب المالكي السني[3] .

لقد كانت الإمارة الحمادية في بادئ الأمر إمارة حربية مهمتها الوقوف في وجه الزناتيين والأمويين فاشتهر رجالها بأنهم رجال حرب فكثرت حروبهم سواء داخل الإمارة بين الأسر ذات النفوذ أو مع بني عمومتهم من الزيريين ، و هكذا أدت التنافسات الأسرية و الحروب الطاحنة التي خاضها بنو حماد في المغرب الأوسط و المغرب الأقصى و ضد بني زيري إلى إهلاك الرجال و إضعاف شوكتهم كما مهدت السبيل لسقوط دولتهم [4].

هذا إضافة إلى الرخاء المادي الذي عرفته الإمارة فانغمس السكان في حياة اللهو والمجون و تميع الشباب كما أهدرت القيم ، ومما زاد الأمر سوءا هو اعتلاء عرش الإمارة أمراء ضعاف الشخصية لا يهمهم سوى العيش في السلام والدعة متمتعين بجميع الملذات و أهملوا شؤون الرعية و أمور مجابهة الأعداء الذين يتحينون الفرص [5].

---

[1]– النورمانديون : و تعني السكان الشماليون كما يطلق عليهم اسم " النورمان" و " المجوس" و هم جنس آري قديم ، سكن البلاد الإسكندينافية و ما يجاروها من الجزر ، ومنذ مطلع القرن 3هـ/9م توسعوا جنوبا نحو بلاد الإنجليز و فرنسا و الأندلس و بعض المناطق في روسيا وكذلك الجزر الإيطالية عند بداية الحروب الصليبية ، و كانت صقلية قاعدة ملكهم في البحر المتوسط و منها أغاروا على البلاد الإسلامية في شمال إفريقيا فاحتلـــوا " تونس" و "المهدية " و أغاروا على بجاية ؛ السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت ،1969، ص ص152-153.

[2]– مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص18.

[3]– رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية : تاريخها و حضارتها ، ط1 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977، ص36.

[4]– مراجع عقيلة الغناي ،نفس المرجع ، ص27.

[5]– نفس المرجع ، ص 28.

و تتوجت حالة الضعف و الوهن هذه بوصول الهجرات البشرية من أعراب "بني هلال" و"بني سليم" التي تجاوزت المغرب الأدنى و المغرب الأوسط حيث دمرت البلاد و قضت على دعائم اقتصادها و جيشها و زادت من وهن أجهزة حكمها فكانت على شفير السقوط [1].

2- أوضاع الدولة المرابطية في بلاد المغرب:

إن ضعف الدّولة المُرابطية بدأ بعد وفاة مؤسّسها "يوسف بن تاشفين"[2] صانع معركة الزلاقة[3] الّتي تبرز قوّة الدّولة المُرابطيّة على عدّة أصعدة عسكريّة، سياسيّة و دينيّة[4]، رغم أنّ الدّولة المُرابطية انطلقت قويّة بدعوة "عبد الله بن ياسين الجزولي"[5] إلاّ أنّ الضعف سرعان ما دبّ في أوصالها بعد وفاة "يوسف بن تاشفين"، حيث انحرف نظام الحُكم من شوري إلى وِراثي[6].

فبعد أن كان العُلماء و الصّالحون يقومون بتعيين الحاكم الجديد، أصبح الأمير يكتب بولاية العهد لابنه مثلما فعل "يوسف بن تاشفين" حين ورّث الإمارة لابنه "علي" و الّذي ورّثها بنفسه لابنه "تاشفين"، حيث سبّب هذا الأمر صِراعًا عائليًا بين أولاد "علي بن يوسف"، كما تطلّع مجموعة من الأمراء إلى منصب الأمير "علي" و نازعوه في سلطانه[7] ممّا سبّب تمزقًا داخليًا و كثُرت الحركات الانفصالية عن جسم الدولة المرابطية و بالتالي ساهمت هذه العوامل

---

[1]- مراجع عقيلة الغناي ،المرجع السابق ، ص29؛ رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 72

[2] - يوسف بن تاشفين: (398هـ/1006م -500هـ/ 1106م) هو "يوسف بن تاشفين الصنهاجي" كنيته "أبو يعقوب" من أوائل الذين تبعوا دعوة "عبد الله بن ياسين" عرف بالشجاعة و البسالة و العلم و التقوى و الورع، استطاع خلال حكمه للمرابطين بأن ينشأ لهم دولة مترامية الأطراف بين نهر السنغال جنوبا إلى طليطلة شمالا من المحيط الاطلسي غربا إلى جزائر بني مزغنة شرقا، مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979، ص 24 ؛ علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، ط8 ،دار المنارة ، جدة، 1990، ص277.

[3] - معركة الزلاقة: سهل بالأندلس يقع شمالي بطليوس جرت فيه معركة بين جيوش المسلمين من المرابطين و الأندلسيين بقيادة "يوسف بن تاشفين" و جيوش النصارى بقيادة "ألفونسو السادس" سنة 479هـ/ 1086م؛ مجهول ، الحلل الموشية ، ص 56

[4]- عيسى بن الذيب ، التجارة في عصر الدولة المرابطية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، مصر ، 1990، ص9.

[5] - عبد الله بن ياسين: هو "عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي"، درس على يد الفقيه "وكاك بن زلو اللمطي"، اصطحبه معه الأمير "يحي بن إبراهيم الجدالي" عام 430هـ/ 1038م إلى ديار جدالة لإصلاح حال الإسلام بها و بعد معاناة كبيرة مع أهلها تمكّن من تأسيس دولة المرابطين و يعتبر الزعيم الروحي للمرابطين و منظّرهم الشرعي ؛ علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، ص 124 ؛ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م ، ص ص21-40.

[6] - علي محمد الصلابي، دولة المرابطين ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، 2009 ، ص 98.

[7] - نفس المرجع، ص100.

مجتمعة في إضعاف الوِحدة السياسيّة للدّولة المُرابطيّة و إسقاط هيبتها خاصّة في عيون رعاياها الجدد و نقصد بهم "الأندلسيين" و البربر من غير صنهاجة[1] .

كما وجدت عوامل أخرى ذات صلة بضعف الحكم المرابطي و هي فقدان الدولة المرابطية لكثير من قياداتها و علمائها أمثال: سير بن أبي بكر، محمد بن مزدلي، محمد ابن فاطمة، و أبي بكر بن واسينو. و داوود بن عائشة... فمن لم يستشهد منهم أدركه الموت الطبيعي، و الجيل الّذي أتى بعدهم لم يكن يمثل فضائل سابقيه بل انغمس في الملذات و الشهوات، ممّا أجج الرعية ضد العلماء و الحكام[2].

كما إنّ ضم الأندلس رغم ما يُمثله من انتصار و توسّع في الحكم إلاّ أنّ له انعكاسات سلبيّة بسبب الفرق الحضاري الشاسع بين المغرب و الأندلس آنذاك حيث يقول مونتغمري وات :

".... لم يبق سلطان هذه الدّولة البربريّة طويلاً في أوجه فقد امتلأ القواد و غيرهم من الضباط و الرّجال إعجابًا بحضارة الأندلس و ترفها المادي الذين فاقا كثيرًا ما عرفته مدن شمال إفريقيا، و بخاصّة ما عرفه السهب المُجاور لها الّذي قدموا منه في الأصل و إذا لم يكن هذا الإعجاب أدّى إلى فساد أخلاقي فإنّه على الأقل أدّى إلى إضعاف المتانة الخلقيّة"،[3] و من مظاهر مظاهر هذا الفساد الأخلاقي الّذي انتشر في المُجتمع الأندلسي المرابطي أنّ الجميع صار يهتم بمصلحته الخاصّة دون أخذ الاعتبار بمصالح الأمّة و بهذا فقد الضباط الرقابة على من تحت إمرتهم و قلّ التماسك في مؤسّسات الحُكم[4].

كما ظهر السفور و الاختلاط بين الرّجال و النّساء ، و بدأت دولة المُرابطين تفقد طهرهـــا و صفاءها خاصّة عندما أصاب هذا الفساد فئة العُلماء و الفُقهاء الّذين كانوا يعتبرون

---

[1]– صناهجة : قبيلة من قبائل البرانس لها بطون كثيرة منها : بلكانة و أنجفة و شرطة و لمتونة و مسوفة ولمطة كما يقسمها البعض إلى فرعين كبيرين هما صنهاجة الشمال و صنهاجة الجنوب حيث الفرع الأول هو الذي حكم المغرب الأدنى و بعض من المغرب الأوسط بقيادة "بني زيري" و "بني حماد" أما الفرع الثاني فقد انحدر منه المرابطون ملوك المغرب و الأندلس ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 6، ص ص 309-316.

[2] – عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة النهضة، القاهرة، ص 361.

[3]– مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاريرا)، تر: محمد رضا، ط2، شركة المطبوعات، لبنان ، 1998، ص 11.

[4] – نفس المرجع، ص 12؛ Vincente Largardére , les Almoravides : le djihade Andalou ,l'armattan , France , 1998, p299-301.

إحدى الركائز الأساسيّة في الحكم المرابطي، حيث استغلّ بعض الفقهاء و القضاة نفوذهم من أجل جمع المال و بناء الدور و امتلاك الأرض و عاشوا حياة البذخ و الرفاهيّة المفرطة و كان ذلك سببًا في تذمر الرعيـــة[1] ، و أفضل وصف لحالة الفقهاء و القضاة في المجتمع الأندلسي المرابطي قول الشاعر ابن البني:[2]

أَهْلَ الرِيَّاءِ لَبِسْتُمْ نَامُوسَكُـــمُ كَالذِّئْبِ أَدْلَجَ فِي الظَلاَمِ العَاتِـــمِ
فَمَلَكْتُمُ الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِـــكٍ وَ قَسَمْتُـــمُ الأَمْوَالَ بِابْنِ القَاسِـــمِ
وَرَكِبْتُمُ شُهْبَ الدَّوَابَ بِأَشْهَبٍ وَ بِأَصْبَغٍ صَبَغَتْ لَكُمُ فِي العَالَـــمِ[3]

ثانيا: أوضاع بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطين:

[1]- محمد علي الصلابي، المرجع السابق ، ص 137.

[2]- ابن البني: "هو أبو جعفر أحمد بن محمّد" شاعر من أهل الأندلس ؛ مجهول ، الحلل الموشية ، ص 75.

[3]- نفس المصدر ، ص 76.

1- الأوضاع العامة :

يُمثل مطلع القرن 6هـ/12م بداية الثورات على المُرابطين في الأندلس، خاصّة في نهاية عهد الأمير المُرابطي "علي بن يوسف" ثم خُلفائه، ويرجع ذلك إلى عدة مظاهر سادت بلاد الأندلس علاوة على العوامل السابقة حيث يمكن إدراج عامل انتشار الزهد[1] و التصوّف[2] في بلاد الأندلس بعد أن كثر الفساد في المجتمع الأندلسي، و تعرّضت البلاد لهجمات الممالك المسيحيّة و تسلط الفقهاء و القضاة على النّاس و ضعف الحُكام المرابطين حيث لجأت جماعات كبيرة إلى العزلة عن هذه الحياة و الزّهد فيها [3] .

كما أن وصول كتاب "أبي حامد الغزالي"[4] و المعروف بـــ" إحياء علوم الدين" إلى الأندلس أذكى فكر هؤلاء الزهاد و شجعهم على الأخذ بالآراء الصوفية خاصة فيما يتعلق بالروحانيات و الأمور الغيبية [5]، و ظهرت عدّة فرق لعلّ أهمها في الشّرق الأندلسي و بصفة خاصّة مدرسة "أبو العباس موسى بن عطاء الله الصنهاجي" المعروف بـــ : "ابن العريف"[6] في

---

[1]- الزهد : هو الترك و الإعراض عن كل ملذات الدنيا و عدم التفكير فيها و الالتفات إليها وقد ارتبط هذا المصطلح ارتباطا وثيقا بالتصوف و الصوفية ؛ أيمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصوفي ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص70.

[2]- التصوف: يختلف تعريفه من باحث لآخر و يمكن التوفيق بين كل هذه الآراء بالقول : هو التنبه من سنة الغفلة و ترك مألوفات النفس و مرادات الطبع و هجران أخدان السوء و مفارقة المكان الذي خولف فيه أمر الله تعالى و الرجوع بالنفس إلى طرق أهل الصلاح ، و يظهر أن التصوف بدأ في عصر الصحابة الكرام والتابعين على شكل ترك الدنيا و الإقبال على الآخرة ثم تطور في العصور اللاحقة متأثرا بعلم الكلام، كما طرأ على التصوف عقائد جديدة كانت تخرج به أحيانا من الإسلام السمح إلى حد الغلو والابتداع و ادعاء المهدوية والنبوة ؛ محمد الأمين بلغيث ، دولة المرابطين بالأندلس : من مدينة السياسة إلى مدينة العلم ، ط1، دار الوعي ، الجزائر ، 2009، ص ص 222-223.

[3]- محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1996، ص 81

[4]- أبو حامد الغزالي ، من العلماء المسلمين السنيين ولد سنة 450هـ/1058م، له عدة مؤلفات في الفقه و الأصول و علم الكلام على طريق الأشاعرة ، عرف عنه قوة الحافظة و استخلاصه للنتائج بطريقة سلسة أعطته حجة في البيان ، درس بالمدرسة النظامية في بغداد ثم انسحب منها و التفت للتأليف ثم مال نوعا ما للتصوف و ألف كتابه الذائع الصيت " إحياء علوم الدين الذي لاق انتقادات جمة من مختلف علماء عصره خاصة فيما يتعلق بتخريج الأحاديث التي كان فيها خلل كبير فيما يخص سندها لكن رغم ذلك يستفاد من ذلك الكتاب فوائد جمة خاصة ما يتعلق بترويض النفس و العبر و العضات ، توفي الإمام الغزالي سنة 505هـ/1111م ؛ أبو حامد محمد الغزالي الطوسي ، إحياء علوم الدين ، مج1، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والتشر و التوزيع ، بيروت ، 1998، ص ص أ-ج

[5]- عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية الكبرى ، ط1، دار الرشاد ، القاهرة ، 1991، ص292 .

[6]- "ابن العريف" : هو أبو العباس موسى بن عطاء الله الصنهاجي (481هـ/1088م -536هـ/1141م) يظهر من خلال اسم أبيه أنه كان عريفا بمعنى كبير رجال الشرطة في طنجة ثم انتقل إلى ألمرية و هناك ولد ابنه موسى ، ويعتبر "ابن العريف" من كبار المتصوفة الأندلسيين له كتاب في التصوف "محاسن المجالس" الذي اعتبره المتصوف الأندلسي "ابن عربي " من أهم الكتب التي اعتمد عليها في تأصيل مذهبه ؛ نفس المرجع ، ص292 .

مدينة ألمرية[1]، و كانت هناك فرق أخرى تميل للمذهب الظاهري[2] و أخرى للمذهب الباطني[3]، و تورط المريدون[4] في بعض حوادث الاغتيالات مثل قتل بعض القضاة الأمر الّذي شدّد من ملاحقة السلطة الحاكمة لهم، و قد حاول" ابن العريف" أن يدعو المريدين بمهارته إلى نبذ التطرّف و العنف ، و من جهة أخرى رأى كيان الدّولة المرابطية التصدي لـــ"ابن العريف" و أتباعه بموقف حازم و حذر حيث أمر "علي بن يوسف" بعدم التساهل معهم ، فاشتدّت الدّولة في مطاردتهم و تصدت لهم و انقطعت الرسائل فيما بينهم ، كما تصدى الفقهاء لـــ"ابن العريف" و سفهوا آراءه و أنكروا عليه مذهبه ، فأمر "علي بن يوسف"نفي "ابن العريف" إلى مراكش[5] لكنّه عفا عنه و أرجعه إلى الأندلس إلى أن تُوفي سنة 536هـ/1141م[6].

536هـ/1141م[6].

[1]– ألمرية : مدينة بالأندلس تقع على شاطئ المتوسط جنوب شرق غرناطة ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، م4، مكتبة الخانجي، القاهرة 1977،ص 99.

[2] – المذهب الظاهري: و هو ينسب لصاحبه "ابن حزم الظاهري الأندلسي" (384هـــ/494م- 956هـــ/1063م) و يقوم أساسًا على فهم النصوص الشرعية على ظاهرها ذلك أن الأخذ بباطنها فيه ظن و أن الظن مناف للعلم و استدل بقوله تعالى: " إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا" (النجم/28) و قوله صلى الله عليه و سلّم :"إِيَّاكُمْ و الظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبَ الحَدِيثِ" و إذا كان الظن بنص القرآن ليس حقا و بنص الحديث كذبا، فإنه باطل و الباطل لا يكون أساسا للحق؛ عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 38.

[3] – المذهب الباطني: الباطنية فرقة من الشيعة الإسماعيلية، يزعمون أن لظواهر النصوص الشرعية من الكتاب و السنة بواطن خفية و أسرار و رموز و إشارات تخالف الظاهر، حيث جعلوا الظاهر لناقصي الفهم و الجهلة (أي أهل السنة) أما الباطن فهو للأذكياء و العقلاء و يعني علماءهم، كما أن هذا الفكر انتقل إلى الصوفية؛ عبد المجيد النجار ، نفس المرجع ، ص 154 ؛ محمود المراكبي ، ظاهر الدين وباطنه "السلف –الباطنية –الشيعة –الصوفية" ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 1996، ص ص11-18.

[4]– المريدون: يطلق اسم المريدون في هذا العصر على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية التي كثرت إذ ذاك و مصدرها كان "ابن العريف" في ألمرية ثم تحولت بقية الجماعات الصوفية إلى مجموعات حربية هدفها الأساسي إسقاط ملك المرابطين ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ،تح : حسين مؤنس ، ط2، ج2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985، ص 204؛أحمد بن يوسف الراشدي ، بستان الأزهار في مناقب الأخبار و معدن الأنوار ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1707 ، ص 110.

[5]– مُرَاكُشُ: أعظم مدينة بالمغرب وأجلُها وبها سرير ملك "بني عبد المؤمن" وهي في البرّ الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر وكان أول من اختطها "يوسف بن تاشفين" أمير المرابطين سنة 470هـــ /1077م و قيل سنة 759هـــ/166، وبينها وبين جبل درَن الذي ظهر منه "ابن تومرت" المسمى بـــ"المهدي" مسافة قريبة وهو في جنوبها وكان موضع مراكش قبل ذلك مكانا يقطع فيه اللصوص على القوافل لذا كانوا إذا انتهووا إليه قالوا مراكش معناه بالبربرية أسرع المشي ؛ أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس" ، تح : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1983 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص540.

[6] – عصام عبد الرءوف الفقي، المرجع السابق، ص ص 262-263.

و يلاحظ أن عدم تصدي المرابطين لهؤلاء المتصوفة و المريدين و على رأسهم "ابن العريف" بالقوّة و الصرامة اللازمة أظهر الدولة مظهر الضعف في أعين رعيتها و شجّع آخرين في سلك مسلك الثورة الّتي سيكون أثرها بالغًا في انهيار دولة المرابطين حيث سوف تكون أكثر عنفًا و دموية و تأثيرًا.

2 – أهم الثورات:

كما تمّت الإشارة سابقًا أنّه لما أخذت الدولة المرابطية في الضعف و الوهن و ظهر للنّاس ليونتهم في التعامل مع المتصوفة و المريدين الّذين شقوا عصى الطاعة، ظهر ما يشبه "ملوك الطوائف" حيث استقل كلّ قاضي أو والي بالمدينة الّتي وُلي عليها و يُمكن تقسيم هذه الثورات حسب مناطق انتشارها:

2 – 1. ثورات غربي الأندلس:

كانت أوّل ثورة على المُرابطين في غرب الأندلس بزعامة "أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي"[1] الذي قام في بادئ الأمر ببناء رباط للصوفية في قرية جلة و جعله لطلب العلم و الزهد لكن ما لبث أن جمع عددًا كبيرًا من الطُلاّب الّذين عرفوا بالمريدين و سُميت ثورته باسم "ثورة المريدين"[2].

ادعى "ابن قسي" الولاية و تسمى بالمهدي و بالإمام، و بمُساعدة أتباعه المريدين بدأ يحرض النّاس على الثورة ضد المرابطين، لكن تفطّن هؤلاء و إحساسهم بخطر دعوته فقرروا القضاء عليها قبل أن تتفشى في سائر البلاد، فألقوا القبض على بعض أنصاره من المريدين

[1] – أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي: أصله رومي من بادية شلب تولى فيها الإشراف على الأعمال المخزنية ثم مال إلى الزهد و التصوف ، درس على يد شيخ الصوفية في الأندلس "أبو العباس بن العريف" في ألمرية، ثم أقبل على كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي و قام بتدريسه و نشر أفكاره، له كتاب في التصوف "خلع النعلين " ، أبو القاسم بن قسي، خلع النعلين والتماس النورين من موضع القدمين ، تح : محمد الأمراني ، ط1، جامعة القاضي عياض ، مراكش ، 1997، ص 22.

[2] – لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، 2006، ص ص 248 – 249 ؛ أمّا عن "ثورة المريدين" هناك كتاب لـــ "عبد الملك ابن صاحب الصلاة" و هو بهذا الاسم "تاريخ المريدين" لكنه مفقود و قد أشار له في كتابه "المن بالإمامة"؛ عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين و ظهور الإمام المهدي بالموحدين و ما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين و أخيرا بعض الخلفاء الراشدين، تح: عبد الهادي التازي ، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 92.

و نفوهم إلى إشبيليّة[1]، و لكن "ابن قسي" فرّ إلى حصن ميرتلة[2] أواخر سنة 538هـ/1144م، بعد ذلك استطاع أحد أخلص رِجاله وهو "ابن القابلة"[3] في أوائل سنة 539هـ/1145م الاستيلاء على حصون أخرى قريبة من حصن ميرتلة فكانت هذه نقطة اِنطلاق حقيقية لثورة ابن قسي[4] .

أعاد "ابن قسي" تجميع أتباعه المريدين ثمّ راسل أعيان غربي الأندلس يحثُّهم على الثورة، فاستجاب له "سيد راي بن وزير" في يابرة[5] و "محمّد بن عمر بن المنذر"[6] في شلب[7] أمّا ردُ المرابطين على هذه الثورة فقد كان عنيفًا ، حيث اعتدوا على النّاس و خرّبوا المزروعات و المُدُن و سيروا جيوشا لإخمادها ، فنظر الأندلسيون إلى هذا الرد بأنّه إساءة لهم ممّا زاد من التفاف النّاس حول "ابن قسي"[8].

إنّ دخول "سيد راي بن وزير "و "محمد بن عمر بن المنذر" في ثورة ابن قسي زاد من اتساع رقعتها حيث سيطرة قوات "ابن قسي" على حصن مرجيق في شلب و على مدينة باجة[9]و استولى بعد ذلك "ابن وزير" على مدينة ولبة[10] ثم مدينة لبلة[11] بمعاونة "يوسف بن أحمد

---

[1] – إشبيلية: تقع جنوب غرب قرطبة على بعد 138كلم منها، اتخذها المرابطون و الموحدون مركزا لهم في الأندلس و ذلك لسهولة الاتصال منها بالمدن المجاورة الأخرى و كذلك لوفرة المياه بها (الوادي الكبير) و كذلك الأرض الخصبة، المنتوجات الزراعية الوفيرة؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 18–20.

[2] – حصن ميرتلة : يقع في مدينة باجة حاليا تقع هذه المدينة في شرق البرتغال، الحميري، الروض المعطار ، ص 191.

[3] – ابن القابلة : هو "محمد بن يحي السلطايسي" الشهير بالدهاء و الشجاعة و البلاغة لذلك اصطفاه "ابن قسي" و سماه المصطفى و اتخذه كاتم سره، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، ج2، دار المعارف، لبنان، 1985، ص 197 ؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تح: ليفي بروفنسال ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة 2006، ص 249.

[4]– لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام ، ص 249.

[5] – يابرة: مدينة من كورة تاجة فيها أطلال قديمة و مسورة جيدا، الحميري، نفس المصدر، ص 187.

[6]– محمد بن عمر بن المنذر : كنيته أبو الوليد و هو من المولدين تميز المعارف الأدبية و الفقهية حتى ولي خطة الشورى في شلب ثم انزوى عن حياة الناس و تزهد ، و لما أعلن "ابن قسي" الثورة على المرابطين صدقه وقام معه عليهم ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج2،ص202.

[7] – شلب: تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي، غربي جنوب باجة، و شمال غرب شنتمرية عليها صور حصين ؛ الحميري، نفس المصدر، ص ص 106–107.

[8] – لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ص 150 – 151.

[9] – باجة: من أقدم مدن الأندلس تقع في غرب قرطبة حاليا في البرتغال، لها معاقل و حصون منيعة ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 36.

[10] – ولبة : هي مدينة صغيرة متحضرة عليها سور من حجارة و بها أسواق و صناعات و هي مطلّة على جزيرة شلطيش الّتي يحيط بها البحر من كلّ ناحية و لها من ناحية الغرب الاتصال بأحد طريقها إلى مقربة من البر ؛ أبو عبد الله الإدريسي، المصدر السابق ، ص 260.

[11] – لبلة: مدينة غربي قرطبة بينها ثلاثون فرسخا و كانت قديما فيما يزعم بعضهم قاعدة ملك الروم و بها كان كرسيهم الأعظم، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5 ، ص 73.

أحمد البطروجي" بعدها سار "ابن وزير" نحو إشبيليّة قاعدة الأندلس في عهد المرابطين لكي يضمّها، فاصطدم مع قوات المرابطين بقيادة "يحي بن غانية"[1] الّذي ألحق هزيمة نكراء بقوات "سيد راي بن وزير" و لاحق فلوله حتّى مدينة لبلة و حاصرها لمدّة ثلاثة أشهر لكنّه فكّ الحصار عنها و قفل راجعًا إلى قرطبة بعد أن ثار بها القاضي "ابن حمدين"[2].

2- 2 . ثورات جنوبي الأندلس:

بعد أن اندلعت الثورات في غرب الأندلس توسّعت نحو باقي المناطق حيث شبّت نار الثورة في كلّ من مدينة رندة[3] و شريش[4] و قادس[5] و مالقة[6] و ألمرية[7].

ففي رندة ثار أهلها بزعامة "أخيل بن إدريس الرندي"[8]، فبعد انتصار المرابطين على "ابن حمدين" توجه "أخيل بن إدريس" إلى رندة و استبد بها لكنّه لقي معارضة من أهلها[9] أمّا مدينة قادس فقد استبد بها قائد الأسطول البحري المرابطي "علي بن عيسى بن ميمون"، حيث خلع طاعة المرابطين إثر وفاة "تاشفين بن علي"، كما استقلّ بمدينة شريش واليها المرابطي "أبو الغمر

---

[1]- يحي بن غانية: هو من أعظم قواد المرابطين خاصة في عهد "علي بن يوسف" و خلفائه و يسمى بابن غانية نسبة لأمه و هذا كثيرا ما كان يسمي المرابطون باسم أمهات لهم مثل "داوود بن عائشة" و "محمد بن فاطمة"، "ابن الصحراوية"...؛ مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 168

[2]- هشام أبو رميلة ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن، 1984، ص 73.

[3]- رندة: مدينة قديمة من مدن تاكرنا بها أنهار كثيرة و أرزاق واسعة ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 73؛ الحميري، الروض المعطار ، ص 79.

[4]- شريش: مدينة بالأندلس قريبة من البحر يكثر مائها و زروعها كالزيتون و الكروم و التين و الحنطة ؛ الإدريسي ،المصدر السابق ،ص257؛عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص 340.

[5]- قادس: مدينة بالأندلس قريبة من إشبيلية كثيرة الزروع و الثمار أهم غاباتها الصنوبر و ماشية أهلها الماعز التي ترعى من شجر خروب فيصير لبنها حلواً و لهذا يقال أن معنى كلمة قادس هو الحلو ، و كذلك يقال أن "قادس" إنما هو صنم بهذه المدينة فسميت عليه ؛ الحميري، الروض المعطار،ص447 ؛ محمد بن أبي طالب الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ، تح :عبد الرزاق الأصفر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1983، ص 227.

[6]- مالقة: مدينة بالأندلس جنوب غرناطة ، مطلة على البحر المتوسط و هي عامرة كثيرة مبانيها يسافر منها إلى مصر و المغرب و الشام ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 517.

[7]- محمد أحمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص 82.

[8] - أخيل بن إدريس الرندي: كان كاتبا للمرابطين و لما ضعف سلطانهم تزعم الثورة في مدينة رندة و في عهد الدولة الموحدية اتصل بالوزير "ابن عطية" فولاه الموحدون بعض الوظائف منها قضاء إشبيلية و قرطبة توفي سنة 560-561هـ/1164-1165م؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص ص 242-243.

[9] - هشام أبو رملية ، نفس المرجع ، ص 75.

العلاء بن عزون"[1] و ذلك لّما علم بنشوب الثورات في غرب الأندلس، كما سار بقواته و قام بالاستيلاء على عدّة مدن أهمها أركش[2] و رندة حيث استدعاه إليها أهلها فسجن "أخيل" و استولى على دياره و أمواله ثمّ أطلق سراحه بعد مدة فاتجه إلى ألمرية و بقي بها مدّة من الزّمن[3].

و تزعم الثورة في المدينة مالقة "أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي" حيث كان قاضيا في المدينة فحاصر جند المرابطين في قصبة المدينة إلى أن استسلموا له، ثمّ دخل القصبة و اتّخذ لقب الأمير وقّام بوظيفتي القضاء و الإمارة معا و جعل أخاه "أبا الحسن" قائدًا للجُند و نائبه في قرطبة و ما جاورها، لكن المرابطين في الأندلس لم يستكينوا له و إنما قاموا بشن العديد من الغارات عليه خاصة في مالقة من أجل استردادها فعجز "ابن حسون" على مقاومتهم فاستعان بالجند المرتزقة النصارى ففرض العديد من الضرائب على رعيته لدفع نفقات الجند[4].

و في ألمرية ثار أهلها على المرابطين فأخرجوهم من المدينة و أرادوا تولية "أبو عبد الله عيسى بن ميمون" أميرًا عليهم لكنّه رفض قائلا: " إنما أنا رجل منكم و وظيفتي البحر و به عرفت، فإن عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري"، ثمّ عينوا على أنفسهم رجلا منهم يُسمّى "عبد الله بن محمّد" يعرف بـــ "ابن الرميمي"، و جعلوه أميرًا عليهم، و بقي الحال كذلك إلاّ أن هاجمتهم جيوش النصارى في حملة كبيرة و ارتكبت مجزرة كبيرة في المدينة[5] .

كما ثار أهل غرناطة[6] على المرابطين و تزعم ثورتهم القاضي "أبو الحسن علي بن عمر بن بن أضحى"[1] وقاموا بحصار المرابطين في قصبة المدينة ودارت بين الجانبين حروب كثيرة قاد

---

[1]– أبو العلاء بن عزون: شيخ الرؤساء بالأندلس و المستشار الناصح لعبد المؤمن ولايته من بعده و قد انتدب لعد مهمات حتى أنه نعت بناصح بناصح الحركة المهدية، حضر غزوة "و بذة" مع الخليفة أبو يعقوب المنصور و هو من الرواة لابن صاحب الصلاة ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة، ص 351.

[2]– أركش : حصن بالأندلس على وادي لكه وهو مدينة أزلية ؛الإدريسي، المصدر السابق ،ص27

[3]– هشام أبو رملية ، نفس المرجع ،ص76 .

[4] – يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان،ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ص 218. 218.

[5] – عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية بيروت ، ص 135؛ يوسف أشباخ ، نفس المرجع ، ج1، ص 219.

[6] – غرناطة: مدينة في جنوب الأندلس تقع جنوب مدينة جيان و شمال مالقه ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة ، م1، ص 99.

المرابطين فيها "علي بن أبي بكر" المعروف بـــ"ابن فتو"، حيث لم يستطع الثوار التغلب على المرابطين فاستعانوا بابن حمدين و "ابن حمود" لكن هذه الجموع لم تنجح في التغلب على المرابطين ثم ظهر بعدها القاضي" ابن أبي جعفر" بألفي جندي، تمكن المرابطون خلالها إلحاق هزائم كبرى بهذه الجيوش المجتمعة ممّا أدى إلى تفرقة هذه الجموع و تصالح المرابطون مع أهل "غرناطة" و عادت المدينة لسلطانهم[2].

2. 3 – ثورات وسط الأندلس:

في أوائل شهر رمضان 539هـ/1145م شبّت نار الثورة من جديد في أهم قواعد وسط الأندلس و هي مدينة قرطبة حيث لم يكد القائد المرابطي "يحي بن غانية" الخروج لقتال الثوار في غرب الأندلس حتّى ثار القرطبيون على واليها "أبي عمر اللمتوني" و بايعوا القاضي "ابن حمدين" أميرا عليهم و ذلك في المسجد الكبير بقرطبة[3]، فتحصن الوالي المرابطي بالقصبة بينما استقر "ابن حمدين" بقصر الخلافة و تسمى بأمير المسلمين و ناصر الدين و اتخذ لقب المنصور بالله، ثمّ دعي له على منبر قرطبة و معظم منابر المدن الأندلسية[4] فاستجاب له عدد من الثوار الأندلسيين مثل: "ابن عزون" في شريش و "ابن الحاج اللورقي" في مرسية[5].

وفي سنة 540 هـ/1145م سار" يحي بن غانية" إلى قرطبة و حاصر ابن حمدين واستطاع أن ينتصر عليه و يدخل قرطبة لكن "ابن حمدين" فر من المدينة و التجأ إلى ملك قشتالة الّذي قرّر أن يقدِّم نجدته لـــ"ابن حمدين" و يسير معه لاسترجاع قرطبة، فحاصروا المدينة و دخلوها عنوة فاستباح الجند المسيحيون المدينة و مساجدها و مزّقوا المصاحف و أحرقوا الأسواق، أمّا "يحي بن غانية" فقد لجأ إلى قصبة المدينة و تحصن بها[6].

---

[1]- ROSSEEUW ST-HILAIRE, Histoire d'Espagne depuis les premier temps jusqu'à la mort de Ferdinand VII, Tome4, paris 1844, p454

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 77 – 78.

[3]–قرطبة : قاعدة بلاد الأندلس وكانت عاصمة البلاد في عهد ملوك بني أمية و الحجاب العامريون ، كما كانت محل صراع كبير أثناء فترة الطوائف ، تمتاز بجامعها الشهير تقع شرقي أشبيلية على بعد 138كلم، الحميري، الروض المعطار ، ص ص 153-158.

[4] – محمد عبد الله علام، الدولة الموحدية، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص154.

[5] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 78.

[6]– نفس المرجع ، ص 79.

و في مدينة قرمونة قامت الثورة أيضا حيث استبد بها أحد الثوار يدعى "دردوش"،كما استبد "ابن مروان" بحصن فرنجلوش، و في حصن شقوبش ثار "إبراهيم بن أحمد" فقاتل المرابطين و استولى على مدينة شقورة[1]، أمّا أهل جيان فثاروا كذلك على المرابطين و قدّموا على أنفسهم رجلا منهم يدعى:"يوسف بن عبد الرحمن بن جزي" و تلقب بالرئيس[2].

و في خضم هذه الأحداث انتهز "سيف الدولة بن هود" شمولية الثورات في بلاد الأندلس فالتحم بقواته مع المرابطين و هزمهم بالثغور العليا[3] ثمّ استولى على جيان و استدعاه أهل قرطبة و ولّوه على أنفسهم فسار بقواته و قاتل المرابطين في غرناطة و كاد أن يحصل على المدينة لولا استماتة الجند المرابطي في الدفاع عنها[4].

2 – 4. ثورات شرق الأندلس:

في شرق الأندلس ثار على المرابطين رجل اسمه "أحمد بن محمد بن ملحان الطائي" بوادي آش[5] الّذي تلقّب بالمستأيد بالله، و قد استبد في حكمه و اشتهر بكثرة أمواله و سلاحه و استطاع توسيع نفوذه على مدينة بسطة و غيرها[6].

كما كان لثورة "ابن حمدين" في قرطبة أثر على أهل بلنسية[7] فقرّر والي المدينة "أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي" أن يتصدى للثوار لكن جل محاولاته باءت بالفشل و لهذا قرّر ترك المدينة و فر منها إلى المغرب[8]، ثمّ تولاها بعد ذلك "أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز"[9] الّذي

---

[1]– شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مُرسية وبها كانت دار إمارة "ابن همشك" أحد ملوك تلك النواحي، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3،ص55.

[2] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص 259 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 81.

[3]– الثغر الأعلى: و هو الحدود الشمالية الشرقية للأندلس المسلمة مع ممالك إسبانيا المسيحية ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص 149.

[4]– ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص ص 213 – 214.

[5] – وادي آش: مدينة شمال غرناطة، تجري حولها الأنهار و المياه و تكثر بها الزروع و الثمار، الحميري، الروض المعطار ، ص 192 – 193؛ 193؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، ج1، دار الكتب العلمية، 1997، ص 126.

[6] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 264؛ بسطة: مدينة تقع في الشمال الشرقي من غرناطة بالغرب من وادي آش، الحميري، الروض المعطار ، ص ص 44 – 45.

[7]– بلنسية : من أهم قواعد شرق الأندلس قريبة نوعًا ما من قرطبة و هو مدينة سهلية قريبة من الشاطئ، كثيرة التجارات و لها بساتين و جنات و عمارات متعالية، و لها نهر تدخله السفن و لأهلها حسن الزي و كرم الطباع، الحميري، الروض المعطار ، ص 98.

[8] – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ع3، ق1، ط2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1992، ص ص 255-356.

[9]– أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز : هو واحد من رجال شرق الأندلس ولي القضاء في عهد "علي بن يوسف بن تاشفين" و لما قامت الثورة على المرابطن أخذ بحظه منها عندما أمّره أهل بلنسية على أنفسهم بمبادرة "ابن عياض" و "عبد الله بن مردنيش" ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2،ص 220.

الّذي بقي فيها حتّى أوائل 540هـ/1145م ، إذ ثار عليه أهلها و فر منها إلى ألمرية حيث صفد بالأغلال إلى أن افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال و انتقل إلى المغرب و عاش في كنف الموحدين فيما بعد ، أمّا المدينة فقد وقعت تحت سيطرة ابن عياض[1].

و في مرسية تولى الأمر هناك قائد الجند و هو" أبو محمد عبد الرحمن بن عياض"[2] الّذي أذعن له سائر الثوار في الحصون المجاورة له ، حيث أصبح أمير أغلب قواعد شرق الأندلس إلا مدينة بلنسية الّتي كانت تحت سلطان "أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز"[3].

و قام ابن عياض بالدعاء لابن هود الّذي أرسل ابنه "أبا بكر" إلى "ابن عياض" فاحتفى به و اصطحبه معه إلى بلنسية ثمّ سار "ابن هود" بنفسه إلى مرسية و دخلها فعجل "ابن عياض" اللحاق به و أعلن الطاعة له و الامتثال لأوامره فعهد "ابن هود" إليه بالأمور كلّها و أسبغ عليه لقب الرئيس مكتفيا هو بلقب الإمارة، و كان ذلك في أواخر رجب 540هـ/1146م[4].

[1] – ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 256؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، 223.

[2] – ابن عياض: هو من كبار الجند الأندلسي له صولات و جولات في شرق الأندلس ضد النصارى، لم يظهر إلاّ بعد اضمحلال سيادة المرابطين في تلك النواحي، يقول فيه ابن الخطيب، "كان جنديا عظيما، و فارسا ذات نخوة و نجدة و رئيسا وافر الحزم و كان فوق ذلك رجلا صالحا ورعا، كان إذا رآه النصارى قالوا هذه مائة فارس"، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 260.

[3] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق1، ص 357.

[4] – ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ص 261.

ثالثـــــا: أوضاع الممالك الإسبانيّة المسيحيّة:

إنّ تلك الثلة القليلة الّتي تركها المسلمون الفاتحون في أوائل فتح الأندلس تمكّنت من إنشاء ممالك على الأطراف البعيدة لبلاد الأندلس في ما وراء جبال البرتات[1]، و في خضم الصراع القائم بين العرب و البربر[2] حول "من يسكن المناطق القاحلة و من يسكن المناطق الخصبة" فأدى هذا الصراع بالبربر الأندلسيين إلى التروح من مناطقهم في شمال و وسط الأندلس، فوجدت تلك الممالك المكان المناسب للاستقرار على حدود الدّولة الإسلاميّة هناك و أصبحت مصدرًا للخطر يُهدّد المسلمين في تلك البلاد، و لعلّ أهم تلك الممالك: قتشالة و ليون و نافار و جليقية[3].

1- الأوضاع الداخليّة للممالك الإسبانيّة:

لقد كانت قشتالة[4] أقوى الممالك الإسبانيّة خاصّة عهد "سانشو"الذي تسميه المصادر الإسلامية "شانجة" و مكنته قواته العسكريّة من حُكم جميع البلاد الإسبانيّة من جبال البرانس إلى ما وراء شنت ياقب[5] و من بحر بسكونس حتّى نهر دورو[6] ممّا يلي هضبة الجزيرة الوُسطى عند وادي الرملة[7].

---

[1]- جبال البرتات أو جبال البرينيه: يقصد بها جبال البرانس الّتي تحد الأندلس مع بلاد الإفرنج ، الحميري ، الروض المعطار ، ص435.

[2]- البربر: هم المجموعة البشرية التي تسكن شمال إفريقيا إلى حدود خط الاستواء و هم يعيشون في البلاد و يخالطون العناصر الأخرى و قد انتقل كثير منهم إلى الأندلس بعد الفتوحات الإسلامية حتى أن الجيش الذي فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد كان يتألف أكثره من البربر و قد استقروا في مواطن متعددة من الأندلس لكن أغلبها كانت قاحلة لهذا ما لبثوا أن أخلوا تلك المناطق و نزحوا جنوبا نحو المناطق الخصبة ؛ عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 23.

[3]- مجهول ، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2005، ص ص 77-93.

[4]- قشتالة : هي كل البلاد الواقعة شمال جبال الشارات و تنسب هذه البلاد كلها لمدينة قشتالة و هي أعظم مملكة من بين الممالك المسيحية في الأندلس ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص483.

[5]- شنت ياقب : و يسميها الحميري شنت ياقوب حيث يقول أنها سميت على كنيسة شنت ياقوب و هو يعقوب حواري عيسى عليه السلام؛ مدفون تحت تلك الكنيسة و يأتيها كل نصارى روما و القسطنطينية و غيرهم و هي مدينة مقدسة لدى الإسبان غزا "المنصور ابن أبي عامر" ثم ابنه عبد الرحمن ثم لم يهددها المسلمون بعد ذلك إلى غاية سقوط الأندلس ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص348.

[6]- نهر دويرو: هو واحد من أهم الأنهار في الأندلس تصب فيه الكثير من الأودية و الروافد وهو صالح للملاحة ويساهم مع مجموعة من الأودية الأخرى بفصل شمال الجزيرة الإيبرية عن جنوبها ؛ عبد المحسن طه رمضان ، الحروب الصليبية في الأندلس ، مكتبة الإنجلو مصرية ، القاهرة، 2001 ، ص130.

[7]- يوسف أشباخ ، المرجع السابق ،ج1 ، ص 155

لكنّ بوفاة الملك "سانشو" تمّ تقسيم مملكته بين أبنائه الأربعة: فحصل ابنه "فرديناند" على ملك قشتالة و أشتوريش[1] و صار بذلك أقْوى ملك في إسبانيا، أمّا إخوته الثلاثة فحصلوا على ممالك صغيرة لا تكاد تعدل ثلث مملكته[2].

و بعد فترة هلك "راميرو" و "جارسيا" ملكا أراجون و ليون في الحرب و قتل "كونزالوا "في كمين غادر، فصار "فرديناند" الملك الفعلي لكلّ البلاد الإسبانيّة المسيحيّة و لم تخرج عنه إلاّ كونتية برشلونة[3] الّتي كانت تحت ملك ريموند برنجار[4].

و خلف "ألفونسو السادس"[5] أباه "فرديناند" على عرش مملكة قشتالة، و قد تمكّن من بسط سلطانه على كافة الممالك الإسبانيّة، و حارب المسلمين في الأندلس و قاتلهم قتالاً شديدًا، حيث كان المُسلمون يمرون بظروف صعبة و هي اِنهيار الخلافة الأُمويّة في الأندلس و انقسام البلاد إلى عدّة ممالك و هو ما اِصطلح عليه بفترة ملوك الطوائف، و صارت قشتالة

---

[1]– أشتوريش : هي بلاد في وسط الأندلس وسميت بهذا الإسم نسبة لوادي أشتورا و الذي تسميه المصادر الإسلامية بوادي أشتروا ، و يعتبر هذا الإقليم مركز المقاومة المسيحية ضد الإسلام منذ البداية ومنه انبثقت الممالك المسيحية التي حاربت المسلمين لإخراجهم من الأندلس ؛ عبد المحسن طه رمضان ، المرجع السابق ، ص131.

[2]– ج.س.كولان ، الأندلس ، تر: إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1980 ،ص ص111-112

[3]– برشلونة:هي مدينة تقع شمال شرق الأندلس،بين جرندة وطركونة سقطت في يد الفرنجة وقائدهم "شارلمان " وذلك خلال حكم الأمير "الحكم بن هشام الربضي الأموي" سنة 185هـ/801م ، و أصبحت إمارة مستقلة بذاتها عندما غادر الفرنجة بلاد الأندلس؛ الحميري، الروض المعطار ، ص87؛ محمد محمود النشار ، علاقة مملكتي قشتالة و أراجون بسلطنة المماليك ، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، القاهرة ، ص 30.

[4]– ريموند برينجار : حكم كونتية برشلونة بين (1035م427هـ/1076م-469هـ) و هو الذي استطاع أن يوحد أقاليم قطلونية و يجعلها إمارة مستقلة ، وحرص على ربط علاقات طيبة مع ملوك فرنسا عن طريق الزواج السياسي و الهدايا فتدفقت عليه الجيوش الصليبية الفرنسية المتلهفة لقتال المسلمين حيث استعان بهم لغزو الكثير من المدن في شرق الأندلس ؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق ،ج1، ص 156؛ محمد محمود النشار ، نفس المرجع ، ص 31.

[5]– ألفونسو السادس : هو "ألفونسو بن فرديناند" حكم مملكة قشتالة بعد وفاة والده وهو المشهور بحروبه لملوك الطوائف و الذي عرف عهده عهده أزهى فترات حروب الاسترداد حيث حصل على العديد من المدن و الحصون من المسلمين ، كما تمكن بضرب أمراء الطوائف كل واحد بالآخر لإضعافهم جميعا ثم حيث حصل على مدينة طليلطة من صاحبها "القادر بن ذي النون" فاستنجد الأندلسيون بالمرابطين و أميرهم "يوسف بن تاشفين" و كانت الوقيعة الكبرى للمسلمين على النصارى في معركة الزلاقة ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 98 وما بعدها .

تمتد إلى ما وراء طليطلة[1] الّتي غزاها "ألفونسو السادس" و دخلها عنوة يوم 27 محرّم478هـ/25 ماي 1085 و صارت كلّ الحصون و القلاع المجاورة لها ملكًا له[2].

و بهذا الإستيلاء القشتالي لطليطلة أدرك ملوك الطوائف أنّ الأندلس صارت مهدّدة بالسقوط فتم الاستنجاد بأمير المرابطين "يوسف بن تاشفين" الّذي استطاع أن يوقف زحف " ألفونسو السادس" و جميع الإسبان نحو الأندلس الإسلاميّة فترة طويلة بعد أن هزمهم في معركة الزلاقة (479هـ/1087م)[3].

و بعد وفاة "ألفونسو السّادس" ملك قشتالة تزوّجت ابنته "أوراكا" ملك أراجون "ألفونسو سانشيز"[4] و هكذا توحدت أغلب أراضي إسبانيا المسيحيّة و لم تبق إلاّ إمارة قطلونية خارجة عن هذه الوحدة، لكنها كانت وحدة هشة سرعان ما سوف تدخل جميع الأطراف في حرب طويلة الأمد[5].

2- الحروب الداخليّة:

كما تمّت الإشارة سابقًا أنّ "أوراكا" ابنة "ألفونسو السّادس" تزوجّت بـــ "ألفونسو سانشيز" ملك أراجون ، لكنّ هذا الزّواج لم يدم طويلاً بسبب أطماع كلّ واحد منها في السّلطة و بملك إسبانيا المسيحيّة، لذا و بعد فترة قصيرة فرّت" أوراكا" إلى قشتالة و استقلّت بها عن أراجون، فكان لزامًا على "ألفونسو سانشيز" أن يردّها إلى طاعته طالما أنّها مرتبطة معه بعقد زواج فهو الوريث الشّرعي لكلّ الأراضي الإسبانيّة، خصوصًا أنّها أقالت كلّ الأمراء

---

[1]- طليطلة:هي مدينة تتوسط الأندلس وبها كانت عاصمة مملكة القوط قبل الفتح الإسلامي وهي مدينة شاهقة العمران كثيرة المياه وافرة الزروع ، استقل بها "بنو ذي النون" أيام الطوائف ثم أخذها منهم "ألفونسو السادس القشتالي" و لم يستردها بعد ذلك المسلمون أبدا رغم المحاولات الكثيرة التي قام بها المرابطون ثم الموحدون بعدهم ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 393.

[2]- يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ج1، ص157

[3] - ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب و الأندلس ، تر: السيد عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1990، 239.

[4]- ألفونسو سانشيز : ويسمى أيضا الفونسو الأول و المحارب ، حكم أراغون بين (1104م-498هـ/1134م-518هـ) حيث يعتبر هو المؤسس الحقيقي لمملكة أراغون و بذل في سبيل توسيعها جهدا كبيرا طيلة 30 سنة و لم يتوان في سبيل تحقيق ذلك قتال أي طرف سواء المسلمين أو أبناء جلدته ، قتل في معركة إفراغة على يد المرابطين ؛ محمد محمود النشار ، المرجع السابق ، ص 35.

[5] - يوسف أشباخ ، نفس المرجع ، ج1، ص 158.

و رجال الدّين الّذين اعتقدت أنّ ولاءهم للملك يفوق ولاءهم لها، و رفعت آخرين إلى مناصب عليا في الدّولة ممن كانت معهم في علاقات غرامية[1].

فقام الملك "ألفونسو سانشيز" بتعبئة الجُند الأراجوني و ملأ الحصون و القلاع بالسلاح و الجند و الأقوات، و من جهة أخرى كانت الملكة الّتي فرّت من إقامتها الجبريّة تحث الشعب القشتالي على الثورة ضد الملك و استطاعت أن تحشد لنفسها جيوشًا من المناصرين خاصّة بعد أن هدّدت بسحب الامتيازات من الأمراء المؤيدين لملك أراجون، و في هذه الأثناء انضم "الكونت هنري"[2] أمير البرتغال إلى جيش "ألفونسو سانشيز"[3] لكنّ رجال الدّين حاولوا التهدئة بين الجانبين تفاديًا لإراقة الدّماء لكنّ الحرب كانت وشيكة و فشلت بذلك مساعيهم ليتلقي الجمعان في 26 أكتوبر 1110م/ 504هـ بمنطقة "كامبودي سيينا"[4].

انتهت المعركة بهزيمة القشتاليين الّذين كان يقودهم "الكونت جومز" و"بدرو دي لارا" عشيقي الملكة، حيث هلك "جومز" مع آلاف من جيشه و لاذ "بيدرو دي لارا" في فلول الجـــيش و تمكن الملك الأراجوني بالاستيلاء على عدّة مدن أهمها: "ليون، ساهاجون، برغش، كاربون..." نهب خلالها كنوز الكنائس من أجل سد نفقات الحرب[5].

هذا الأمر جعل رِجال الدّين يصورون الملك أراجوني و جيشه في صورة القتلة الناهبين لأموال الكنائس و النّاس، فهبّ الشّعب القشتالي للتصدي لجيش أراجون يرأسهم في ذلك الأسقف "دييغو جوميز" الّذي اِستطاع أن يقنع الشّعب و الملكة بضرورة تتويج ابنها "ألفونسو ريموندز"[6] ملكًا عليهم في جيليقية و ليون و تمّ له ذلك بعد مساع حثيثة[7].

---

[1] – يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ج1، ص ص 158 – 159؛ عرفت الملكة "أوراكا" بعلاقات غرامية مع "الكونت جومز" و "الكونت بدرو دي لارا" الذي أنجبت معه العديد من الأولاد و البنات غير الشرعيين ؛ يوسف أشباخ، نفس المرجع ، ج1، ص159.

[2] – ج.س.كولان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 237.

[3] – يوسف أشباخ، نفس المرجع ، ج1، ص 160.

[4] – نفس المرجع ، ج1،ص 161.

[5] – نفس المرجع، ج2، ص 161.

[6] – ألفونسو ريموندز: هو ابن "أوراكا" من زوجها السابق "الكونت ريموند البورجوني" أمير جيليقية و "ألفونسو" هذا يسمى في المصادر التاريخيّة العربيّة بالسليطين لأنه كان يحكم مكان صغير جدا أو لصغر سنه ، كما يسمى أحيانا بـــ "ألفونسو السابع" كما تلقب فيما بعد بالقيصر و سوف تكون له معارك كثيرة مع الموحدين في الأندلس؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 125؛ محمد محمود النشار، المرجع السابق ،ص 36.

[7] –عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ط1،المقطم للنشر و التوزيع ، مصر ، 1983، ص 51.

إنّ المتمعن لهذه الأحداث يرى أنّ إسبانيا المسيحيّة انقسمت إلى ثلاثة فرق متحاربة أقواها فريق الملك "ألفونسو سانشيز الأراغوني" يليه فريق الملكة "أوراكا" في قشتالة ثمّ فريق الملك الطّفل "ألفونسو رموندیز" الّذي لم يتجاوز السادسة من عمره، حيث جرت حُروب و مُواجهات دمويّة بين هذه الفرق لمدّة تزيد عن عشر سنين و كانت أعنف هذه الحُروب بين الملكة "أوراكا" و زوجها الملك "ألفونسو سانشيز"[1].

و لم يأت السّلام إلى إسبانيا المسيحيّة إلا بموت الملكة المفاجئ حيث توفيت في "سالدانيا" يوم 07 مارس 1126/ 520هـ إثر عمليّة إجهاض ، حتّى أنّ المؤرخين الإسبان يصفون موتها بالعِقاب من الله على أفعالها المشينة و استئثارها بذخائر كنسية "القديس إيزدور" في ليون و أفضل قول حول شخصية هذه الملكة ما قاله المؤرخ يوسف أشباخ : "و يبدو من المحقّق لجميع الروايات، أنّ الملكة أوراكا كانت امرأة مغامرة مسترجلة و كان السلطان أعظم شهواتها، و قد ضحّت في سبيله بالزّوج و الولد و لم تحجم مدى عشرين عامًا على أن تدفع إسبانيا النصرانيّة إلى غمار الحرب و الخراب لكي تستبقي زِمام الحُكم لنفسها، و لم تكن إسبانيا قد عرفت حكم النّساء من قبل، فكان حُكم أوراكا أحدوثة لم يستحسنها سوى الأشراف الثائرين و أكابر رجال الدّين طمعًا في أن يسمو شأنهم في ظلالها"[2].

و بوفاة "الملكة أوراكا" صار ابنها "ألفونسو ريموندیز" يحكم قشتالة و ليون و جليقية أي المملكة الّتي تركها جده "ألفونسو السّادس"، و صار بذلك ندا قويًا لملك أراجون و أرغمه في الأخير أن يتنازل عن لقب قيصر إسبانيا و كذلك الحصون الّتي احتلّها في قشتالة و نظير ذلك تنازل "ألفونسو ريموندیز" عن مدينة "ريويا"[3] الّتي انتزعها "ألفونسو السّادس" من نافارا، و هكذا عمّ السّلام بين الجانبين و حقنت دماء المسيحيين و بالتّالي حولوا شهوة الحرب إلى وجهة أخرى و هي محاربة المسلمين في الأندلس[4].

سار "ألفونسو الأرجوني" للإستلاء على بعض المُدُن و الحُصون المُجاورة لمملكته بعد أن انتزع مدينة سرقسطة من يد بني هود و توغل وصولا إلى مدينة إفراغة فقام بحصارها و هبّ

---

[1] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص ص161 – 167.

[2] – نفس المرجع ، ج1، ص 165.

[3]– ريويا : تسميها المصادر العربية باسم رية و هي مدينة شمال قرطبة نزل بها جند الأردن عند بداية الفتح و هي مدينة كثيرة الزروع وافرة المياه ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 279.

[4] – يوسف أشباخ، نفس المرجع، ج1، ص 173.

المرابطون لنجدتها فقتل "ألفونسو الأراجوني" خلالها الّذي لم يخلف ولدًا يرث عرشه فانقسمت بلاده إلى عدّة إمارات و بذلك أصبح "ألفونسو ريموندير القشتالي"أقوى رجل في إسبانيا المسيحية و سوف يبذل الكثير من الجهد والصراع الطويل من أجل إعادة توحيد إسبانيا[1].

3- استفادتها من الأوضاع في الأندلس الإسلاميّة:

لقد تمّت الإشارة سابقًا أنّ الثّورة عمت كافة أرجاء الأندلس و كان من ورائها الملوك المسيحيين بذكون نارها و يشدون أزر زعمائها الفرقاء و انتخبوا منهم أخلصهم مثل "ابن هود" و "ابن حمدين" و غيرهم.

و يظهر من خلال النصوص التاريخيّة أنّ المسيحيين كان لهم النصيب الأوفر من هذه الثورات من جهة فقد تمكّن الثوار من إزالة الدّولة المُرابطيّة العتيدة الّتي قاتلت الممالك المسيحيّة في الأندلس زهاء قرن من الزّمن و كانت تذوذ عن حمى المسلمين في تلك البلاد البعيدة و هزمتهم في معارك كثيرة لعلّ أهمها: موقعة الزلاقة و أقليش و إفراغة و.... و أخروا نهاية الأندلس بأربعمائة سنة أخرى[2].

و من جهة أخرى فقد انتهزوا انشغال المرابطين بهذه الثورات و انقضوا على كثير من أجزاء الأندلس الهامّة و سهل عليهم هذا الأمر تغافل كثير من ثوار الأندلس المُسلمين و ولائهم للمُلوك المسيحيين، فابتدءوا بالاستيلاء على ثغر ألمرية الّذي يتمتّع بأهميّة استراتيجيّة و اقتصاديّة حتّى أنّ الإسبان كانوا يصفونها بمدينة القراصنة حيث يقول يوسف أشباخ: "... و كانت ألمرية يومئذ أهم ملجأ للقرصان يخرجون منها للإغارة على شواطئ إسبانيا و جليقية و أشتوريش و برشلونة و البرتغال و شواطئ فرنسا وإيطاليا الجنوبيّة و أحيانًا تمتد غاراتهم إلى الشواطئ البيزنطيّة..."[3].

قام النصارى بمُحاصرة المدينة برا وبحرا بمساعدة ثمانية جيوش من قطلونية و فرنسا و أساطيل بحريّة من جنوة وبيزة[4] وكلّها تحت قيادة "ألفونسو ريموندير" ملك قشتالة و امتد هذا

---

[1] – يوسف أشباخ ،المرجع السابق ، ج1، ص 167.

[2] – عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 174.

[3] – يوسف أشباخ، نفس المرجع ، ج1، ص ص 223 – 224.

[4]– جنوة : مدينة في بلاد الروم على ساحل البحر المتوسط ، و هي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات وافرة البشر كثيرة المزارع و القرى، و هي على قرب نهر صغير و أهلها تجار يسافرون ليلا و نهارا برا و بحرا و لهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية و الآلات السلطانية ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 173 .؛ بيزا : و تسميها المصادر العربية "بيشا" حيث يقول عنها الحميري هي من قواعد بلاد الروم مشهورة الذكر

الحصار لمدّة ثلاثة أشهر صمد أهلها دون أن ينجدهم أحد فسلموا المدينة يوم عشرين جمادي 542هـ/ أكتوبر 1147[1].

و لم يقف المسيحيون عند هذا الحد فبعد سنة تقريبّا من سقوط ألمرية وجهوا جيوشهم للاستيلاء على "طرطوشة"[2] بدعوة من البابا "أيوجين الثالث"[3] و جعلها حملة صليبيّة تتكوّن من جيوش أراجون و بيزة و جنوة و برشلونة بقيادة "الكونت رامون برنجير" أمير برشلونة و هاجموا المدينة من البر و البحر فصمد أهلها أربعين يومًا ينظرون عون إخوانهم ، و لما انقطع رجاءهم اضطروا إلى التفاوض فسلموا المدينة صلحًا محتفظين بأملاكهم و لهم حرية مُمارسة شعائرهم و كان ذلك يوم 16 شعبان 543 هـ /31 ديسمبر 1148م[4].

و أخذت بقية المدن و الحُصون تسقط في أيديهم واحدة تلو الأخرى، فسقطت لاردة[5] و إفراغة و مكناسة[6] و إقليش[7] و إشبونة[8]، الظاهر في هذه الفترة أنّ الجيوش الصليبيّة الّتي كانت تتّجه نحو المقدس و القادمة من إنجلترا و هولندا شاركت بصفة رسميّة و فعّالة في سُقوط الكثير من المدن لعلّ أهمها ألمرية و طرطوشة و إشبونة ، إذ أنّ دعوات البابا للمسيحيين في كلّ أرجاء أوروبا كانت بمثل صك الغفران لكلّ من يموت في حرب ضد المسلمين أعدائهم في الدّين سواء في بيت المقدس أو الأندلس أو شمال إفريقيا[9].

=كثيرة القطر عامرة الأسواق و الديار كثيرة البساتين و الجنات معاقله كثيرة و آثارها عجيبة و لأهلها مراكب و استعداد لركوب البحر وقصد السفر ؛ الحميري ، الروض المعطار،ص 120.

[1] – عبد الله على علام، المرجع السابق ، ص 176.

[2]– طرطوشة: مدينة قريبة من بلنسية قريبة من البحر لها أسواق كثيرة و عمران لها أسوار ضخمة بنيت في عهد بني أمية،تشتهر جبالها بأشجار الصنوبر مما يسمح بصناعة السفن ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 391.

[3]– البابا أيوجين الثالث : كانت له نزعة صليبية و همة عالية في مقاتلة المسلمين في جميع نواحي الأرض ، كما عرف عنه حث الممالك المسيحية في الأندلس على التوحد و قتال المسلمين دون تراجع ؛ سعيد عبد الفتاح ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 ، 348.

[4] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ج1، ص 236 ؛ علي عبد الله علام، نفس المرجع ، ص 177.

[5] – لاردة: مدينة بالأندلس من أعمال ماردة، على نهر سنكا جنوب غربي لاردة، كثيرة الزيتون و الزروع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1،ص227.

[6] – مكناسة: هي قاعدة حصينة في بلاد الأندلس و يتشابه اسمها مع موضع آخر في المغرب ، عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 178.

[7]– أقليش: مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة ظهر بها علماء و محدثين و فيها كان آخر انتصارات المرابطين على القشتاليين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص 237.

[8]– إشبونة : مدينة بالأندلس يقال لها لشبونة أيضا و هي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط (هي عاصمة البرتغال في وقتنا الحاضر) ، ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج1 ، ص 195 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 61.

[9]– مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 24.

أوّلاً: المهدي ابن تومرت و الدّعوة الموحديّة:

1- التعريف بابن تومرت:

هو "محمّد بن تومرت الهرغي " وُلِد في مدينة إيجلي[1] على سفح جبل إيجليز[2] من أسرة ذات علم و دين فهو كان يُلقّب باسم "أسافو" يعني كثير الضياء لأنّه كان يشعل السراج كثيرًا من أجل حفظ القرآن و طلب العلم[3]، و اختلف الكثير من المؤرّخين حول نسبه لكنّهم اتفقوا على صيغة واحدة و هي أنّه "محمّد بن تومرت السوسي الهرغي"[4] و "تومرت" والده اسمه الحقيقي "عبد الله" و إنّما ذلك كنية له ، و يتصل نسبه بـــ "سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه" و "سليمان" هذا هو أخ "إدريس الأكبر"[5] عاش في كنف قبائل البربر في بلاد السوس[6].

و مثلما حدث الخلاف حول نسبه وجِد خلاف آخر حول سنة ولادته، حيث يرى"ابن الأثير"[7] أنّ مولده كان في سنة 469 هـــ/ 1076م أو 473هـــ/ 1080م. أمّا "ابن خلكان" فيري أنّه ولد يوم 10 محرم 485هـــ/22فبراير 1092م و هذا الّذي ارتضاه "عبد الله كنون" ذلك أنّ "ابن تومرت" خرج في طلب العلم سنة 500 هـــ/1106م وهو ابن 15 سنة[8].

و تشير المصادر التاريخيّة إلى أنّ "ابن تومرت" جاز إلى الأندلس و طلب العلم في قرطبة وهي حينئذ حاضرة العلوم و المعرفة و لبث هناك مدّة من الزمن تتلمذ فيها على يد القاضي"أبو

---

[1]- إيجلي : و تكتب أيضا إيكلي و هي قاعدة بلاد السوس الأقصى جنوب المغرب الأقصى و هي مدينة عامرة كثيرة الزروع و الثمار و منها منها الطريق لبلاد السودان ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 71.

[2] - عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 44.

[3] - ابن خلدون، العبر ، مج6، ص 465.

[4]- لخضر عبدلي ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005،ص 26.

[5]- إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن علي بن أبي طالب عاش فترة في بلاد الحجاز ثم فر منها إلى بلاد المغرب بعد اضطهاد اضطهاد العباسيين للعلويين فاتجه نحو مصر ثم بلاد المغرب و اتصل هناك بالقبائل البربرية في المغرب الأقصى و تحديدا عند قبائل أوربة و أميرهم "عبد الحميد الأَوْرَبِي" وتمكن من تأسيس دولة له سنة 172هـــ/888م ولنسله من بعده ، سقطت تحت ضربات الزناتيين ثم المرابطين ، محمود إسماعيل ، دولة الأدارسة حقائق جديدة ، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991، ص ص55-56.

[6] -ابن خلدون ، العبر ، مج6، ص ص 404 – 465.

[7] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، 1966، ص354.

[8]- عبد الله كنون، مدخل إلى تاريخ المغرب ، تطوان، 1955، ص 48.

جعفر حمدين بن محمد بن حمدين"[1] ثم توجه نحو الإسكندرية[2] ببلاد مصر ثمّ أدى فريضة الحج و اتّجه نحو بغداد[3] عاصمة الخلافة العباسية من أجل لقاء فحول العلماء و تلقي العلوم الشرعيّة[4] الشرعيّة[4] و تروي الكثير من المصادر الموحدية أنّه التقى بالإمام "أبي حامد الغزالي" صاحب "كتاب إحياء علوم الدّين" و بشره بأن تكون له دولة على أنقاض دولة المرابطين[5].

و يشير صاحب كتاب" الروض القرطاس" أنّ {...."ابن تومرت" لازم الإمام" الغزالي" ثلاث سنين و كان إذا دخل "ابن تومرت" على إمامه ينظر إليه و يفحصه فإذا خرج قال" الغزالي" لجلسائه : "لابدّ لهذا البربري من دولة، أمّا أنّه يثور بالمغرب الأقصى و يظهر أمره و يعلو سلطانه و يتّسع ملكه فإنّ ذلك ظاهر عليه في صفاته و بائن عليه في شمائله وردت بذلك الأخبار و دلّت عليه العلامات و الآثار" ؛ فنقل إليه الخبر بعض الأصحاب و أخبروه أنّ ذلك عند الشيخ في كتاب فلم يزل يجتهد في خدمة الشيخ و يتقرّب إليه، حتّى أطلعه على العلم الّذي كان عنده فيه، فلما تحقّقت عنده الحال استخار الله تعالى و عزم على الترحال}[6].

كما ورد خبر آخر عن لقاء "ابن تومرت" بالإمام "الغزالي" حيث يشير صاحب كتاب الحلل الموشية أنّ { "محمّد بن تومرت" لما قدم على الإمام "الغزالي" و أخبره أنّ فقهاء المُرابطين أحرقوا كتاب إحياء علوم الدين و مزقوه فدعا عليهم قائلاً: "اللّهُمَ مزق ملكهم كما مزقوه و أذهب دولتهم كما أحرقوه فقال "ابن تومرت" أيها الإمام أدع الله أن يجعل ذلك على يدي فتغافل عنه، فلمّا كان بعد أيام أتى الحلقة شيخ آخر على شكل الأوّل فسأله الشيخ "أبو حامد"

---

[1]– أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين: هو من علماء الأندلس اشتغل بالتدريس و الفقه ، ولما اشتعلت نار الثورة بالأندلس التحق بالثوار و أخذ بنصيبه من الحكم والسلطة ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 204.

[2]– الإسكندرية : مدينة عظيمة من أعمال مصر وقواعدها بناها "الإسكندر المقدوني" خلال القرن 4ق.م ، تقع على ساحل البحر المتوسط بها ميناء بحري ترسو فيه السفن من شتى الأجناس و الأمم و به تتم المبادلات التجارية ؛ الحميري ، الروض المعطار ،ص ص54-55

[3]– بغداد : دار مملكة بني العباس و معناها بالفارسية البستان الكثير الشجر الوافر الخيرات ، استقر بها "أبو جعفر المنصور" ثاني خلفاء بني العباس و جعلها عاصمة لدولته بعد أن كانت قرية صغيرة بين نهري دجلة و الفرات وذلك في الفترة 145هـ-149هـ/762م-766م ، لها عدة أسماء دار السلام و مدينة المنصور ، وكانت مركزا للعلم و العلماء منذ نشأتها إلى أن اجتاحتها القبائل المغولية و التتارية سنة 656هـ/ 1258 م وقتلت حوالي مليون مسلم و أتلفت ملايين الكتب التي كانت ستساهم في تقدم المعرفة البشرية بعشرات السنين، الحميري ، الروض المعطار ، ص 109-111؛حسن حلاق ، مدن و شعوب إسلامية ، دار الراتب الجامعية ، بيروت 1992، ص 107.

[4]– البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 64.

[5] – عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص136 ؛ ابن خلدون، العبر، مج6، ص 966.

[6] – علي بن أبي زرع الفاسي، الروض القرطاس، ص 172.

فأخبره بصحة الخبر المتقدّم فدعا بمثل دعائه الأوّل؛ فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله، فقال : "اللهم اجعله على يديه" }[1].

لكن نصوص أخرى تشير أنّ "ابن تومرت" لم يلتق بالإمام "أبي حامد الغزالي" و إنّما ادعى ذلك ليضفي على نفسه نوعًا من الشرعيّة الدينيّة خاصّة فيما بعد عندما سيدعي المهدويّة، و الدليل على ذلك أنّ "ابن القطان"[2] يشير أنّ إحراق كتاب إحياء علوم الدّين تمّ سنة (503هـ/1109م)أي بعد رحيل ابن تومرت بثلاث سنوات، أمّا "ابن الأثير" فيشير صراحة إلى أنّ "ابن تومرت" لم يلتق بالإمام" الغزالي" كما أن "ابن الخطيب" و "ابن خلدون" شككا في هذا اللّقاء دون نفيه[3]، لكن الظاهر أن "ابن تومرت" كان متأثرا بفكر "أبي حامد الغزالي" سواء درس على يديه أو على تلامذته وكان "كتاب الإحياء" من أهم الكتب التي استند عليها "ابن تومرت" في دعوته .

كما تتلمذ "ابن تومرت" على يد مشايخ آخرين أهمهم: "أبو الحسن علي بن محمّد" و المعروف بـــ "إلكيا الهراسي"[4] (ت 504هـ/1110م)، فقد كان عالمًا في الفِقـــه و الأصول الأصول و التّفسير له كتاب يُسمّى "أحكام القُرآن"، كما تتلمذ على يد الشيخ "أبو بكر الشاشي"[5] (ت507هـ/1114م)، الّذي اشتهر في علم الأُصول، كما كان على رأس الفقهاء الشّافعيّة في بغداد و له كِتاب في الفِقْه الشّافعي "المستظهري" و من شيوخه كذلك "أبو بكر مُحمّد بن الوليد الطرطوشي"[6](ت 521هـ/1229م)، حيث درس عنده ابن تومرت في

---

[1] – مجهول، الحلل الموشية ، ص 104.

[2] – ابن القطان أبو محمد الحسن بن علي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي المكي، ج11، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.ص 70.

[3] – روجي لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب ، تر : أمين طيبي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1982، ص15

[4] – "أبو الحسن علي بن محمد" المعروف بـــ"إلكيا الهراسي"(ت 504هـ/1110م) شافعي المذهب بغدادي الولادة و المنشأ و الوفاة و أشيع أنه باطني إسماعيلي لكنه كان بريئا منها له كتاب في التفسير "أحكام القرآن" ؛ مصطفى بن عبد الله "حاجي خليفة" ، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، مج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت،1992،ص 132.

[5] – أبوبكر الشاشي : هو محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارقي المولد ، الملقب بفخر الإسلام ، هو فقيه شافعي درس على يد عدة علماء منهم الشيرازي ثم تولى رئاسة الفقهاء الشافعية في بغداد ليتولى بعدها التدريس بالمدرسة النظامية ، له عدة مؤلفات منها "حلية العلماء" و "المستظهري" توفي سنة (507هـــ/1114م)؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تح : إحسان عباس ، ج4 ، دار العلم للملايين ، ص ص219-221.

[6] – أبو بكر الطرطوشي : هو أبو الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي ولد بثغر طرطوشة بالأندلس سنة سنة (450هـــ/1059م) وكان من أكابر عصره ، شغف بدراسة الفلسفة و الفلك و الرياضيات ، اشتهر بورعه وزهده و هو الذي أدخل علم القراءات إلى مصر حيث استقر بمدينة الإسكندرية و بها أقبل طلبة العلم عليه ينهلون من علمه في الحديث و الفقه وكان من بينهم "ابن

الإسكندريّة و كان شيخًا متميّزًا في الفِقْه و مُتمكّنًا في السياسة الشرعيّة الّتي ألّف فيها كِتاب "سراج المُلوك" ، كما كان الطرطوشي مهتمّا بنشر السُنّة و محاربة البدعة و ألّف في ذلك كتابًا أسماه "الحوادث و البِدع"[1].

و بهذا يظهر أنّ ابن تومرت قد تأثر فعلاً بالتيارات الفكرية و المذهبية في المشرق و حصل على قدر كبير من العلم الدّيني و الفقه السياسي طيلة عشر سنوات حتّى قال فيه ابن خلدون: "... انطلق هذا الإمام راجعًا إلى المغرب بحرًا منفجرًا من العلم، وشهابا وارياً من الدين..."[2].

2- أسس و مبادئ الدّعوة الموحديّة:

إنّ الدارس للدّعوة الموحديّة يجدها قد بنيت على أساسين: ديني و سياسي، فمن النّاحية الدينيّة بنا "ابن تومرت" دعوته على أساس التوحيد أي توحيد الله عزّ و جلّ و تنزهيه عن التشبيه و التمثيل و التجسيم و لهذا سُمي أتباعه بالموحدين[3]، و لكي ينشأ صراعًا عقائديا مع أعدائه المُرابطين كان لزامًا عليه أن ينعتهم بالكفر و إلاّ فهم مسلمون لا يجوز قتالهم أو الخروج عن سلطانهم، فرماهم بتهمة التجسيم أي أنّهم يجسمون ذات الله عزّ و جلّ و يجعلون صفاته كصفات خلقه و لهذا كان ينعتهم بالمجسمين و أحيانا بالزراجنة[4].

و قد عرَّف "ابن تومرت" التوحيد بقوله: "التوحيد هو إثبات الواحد و نفي ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت.... لا تحده الأذهان و لا تصوره الأوهام و لا تلحقه الأفـــكار و لا تكفيه العقول"[5]، و يظهر جليا مفهوم التوحيد عند "ابن تومرت" و كذلك تصنيفه للمجسمين حين يقول مخاطبًا أتباعه : " واشتغلوا بعلم التوحيد فإنّه أساس دينكم حتّى تنفوا عن الخالق الشبيه و الشريك و النقائص و الآفات و الحدود و الجهات و لا تحلوه في

=تومرت" ، توفي الطرطوشي بالإسكندرية سنة (520هـــ/1126م) ترك مؤلفات عديدة لعل أهمها كتاب "الحوادث و البدع" و "سراج الملوك" ؛ إبراهيم بن نورالدين "ابن فرحون" ، الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996، ص 371.

[1]- محمد علي الصلابي ، دولة الموحدين ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة ،2003،ص 18.

[2] - ابن خلدون، العبر، مج6، ص 966.

[3]- مجهول ، رسالة في التوحيد ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 687 ، ورقة رقم 2.

[4] - نسبة لطائر الزرجان الذي أعلاه أبيض و أسفله أسود أي أن المرابطين يظهرون الصلاح و التقوى بينما باطنهم يخفي شركهم بالله تعالى و ذلك بتجسميه و بأنهم يخفون المعصية و النشر ؛ عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1995، ص 89.

[5]- محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، تح : عمار طالبي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007، ص 216

مكان و لا في جهة فإنّه تعالى موجود قبل الأمكنة و الجهات فمن جعله في جهة و مكان فقد جسمه و من جسمه فقد جعله مخلوقًا و من جعله مخلوقًا فهو كعابد وثن"[1].

و في هذا النّص يظهر تأثير "المعتزلة"[2] واضحًا و جليًا دون أي ريب أو شك فهو يرى بقولهم في التنزيه المطلق للخالق الّذي يقوم أساسًا على النّفي و السّلب لكلّ ما من شأنه أن يكون تشبيهًا أو تجسيمًا لذات الله[3]، و هكذا كان ميلاد "طائفة الموحدين" الّذين يتزهون الخالق عن أي شريك أو من تجسيم و تمثيل لذاته جلّ و علا ، و عكسهم المُرابطون المجسمون لله تعالى الّذين وجب عليه حسب اجتهاده قتالهم فاستباح دمائهم و أموالهم و أعراضهم و أنّ الجهاد في حقهم واجب كجهاد "النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم" في قريش[4].

من ناحية أخرى ركّز "ابن تومرت" على الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر حتّى كاد أن يكون الفصل الثاني بعد التوحيد و قد عبّر عنه بالقيام بأمر الله و قال فيه: " القيام بأمر الله واجب و أنّه على الفور لا يجوز فيه التأخير"، حتّى أنّه رفعه إلى درجة الوجوب العيني إذ يقول "إن الفساد يجب دفعه على الكافة ، و إنّ الفساد لا يجوز التمادي على قليلـــه و كثيره" و لم يقف عند هذا الحد في الغلو في الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر بل جعل تعنيف ولاة الأمور و زجرهم أساسًا لتغيير المنكر و إقامةً لشرع الله فيقول: "أجمعت الأمّة قاطبة خلفها و سلفها على أنّ الظالم لا يعان على ظلمه، و لا يجوز طاعة في معصية الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... و تحريم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الأمّة ضرورة" [5]

---

[1]- محمد بن تومرت ، المصدر السابق ، ص 217

[2]- المعتزلة : ينسبون لـــ"واصل بن عطاء الغزال" الذي كان تلميذا لدى التابعي المشهور " الحسن البصري " لكنه لم يتفق معه بالنسبة لحكم مرتكب الكبيرة من المسلمين فمال عن أراء الحسن البصري فسمي هذا الفعل بالاعتزال ويقال أنه بعد هذا اعتزل هو و أصحابه مجالس "الحسن البصري" فأطلق عليهم اسم المعتزلة و لهم خمسة أصول هي : توحيد الله عز وجل و تنزيهه كما أن للإنسان القدرة على القيام بأفعاله و ليس مجبرا على ذلك و أن مرتكب الكبيرة من المسلمين هو بين منزلتين لا مؤمن و لا كافر لكنه مخلد في النار ؛ المؤسسة العربية للدراسات و النشر، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، ط2، ج2، دار فارس للنشر و التوزيع ، الأردن ،1995، ص ص 458-461.

[3]- عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص 91.

[4]- نفس المرجع ، ص 92.

[5]- نفس المرجع ، ص ص104-108.

و هو بهذا يُخالف أهل السنّة في كيفية دعوة أولي الأمر و الحُكام و يتشبه بـــ"الخوارج"[1] حيث أغفل كثير من الباحثين هذا الأصل في الدّعوة الموحديّة ذلك أنّ "ابن تومرت" خرج عن الحكام المرابطين ولاة الأمر الشرعيين في بلاد المغرب قولا و عملاً[2].

و من النّاحية المنهجية حاول" ابن تومرت" أن يغيّر المفهوم الّذي كان سائدًا في المغرب و هو الإلتزام بكتب الفروع و ترك كتب الأصول للعلماء المجتهدين و كبار الفقهاء فقرر أن يعود بالنّاس إلى كتب الأصول[3] و خاصّة كتاب الله عزّ و جلّ و سنّة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و ذلك بتوجيه الأدلة و البيانات للعلماء المُرابطين مبينا لهم فساد منهج إتباع الفروع و إهمال الأصول ، و أنّ الأحكام الشرعيّة يجب لها أن تستمدّ من الكتاب و السنّة فقط و لكي يرسخ هذه الفكرة في أذهان أتباعه عمد إلى التشديد على حفظ القرآن و الحديث و جعل منها أحزابًا لازمة لهم و ألّف مختصرين لاثنين من أهم مدونات الحديث هما: مختصر الموطأ للإمام "مالك بن أنس" شيخ المحدثين بالمدينة النبوية و مختصر مسلم للإمام "مسلم" و اقتصر فيها على النّص دون السند تسهيلاً لشيوعهما بين النّاس حفظًا و تداولا[4].

كما لقي أئمة الأشعرية من أهل السنّة و أخذ عنهم و استحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية و الذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدور أهل البدعة ، و ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي و الحديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل

---

[1]– الخوارج : وهم ثوار أعلنوا رفضهم لسياسة توريث ولاية العهد خاصة على الأمويين ثم شملت كل البلاد الإسلامية و استعملوا في حربهم هذه كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة سواء بالسيف و الفكر سموا بالخوارج لخروجهم عن طاعة الحكام و الأمراء، و تعود جذورهم الفكرية إلى عهد النبي صلى الله عليه و سلم و خلفائه رضي الله عنهم لكن بعد انهيار الخلافة الراشدة ظهرت هذه الفرقة إلى الوجود تطالب بإلغاء الوراثة في الحكم وجعلها شورية بين كل المسلمين و لو كان عبدا أسودا ويقسم الخوراج من حيث الفكر إلى ثلاث فرق رئيسية هي : الأزارقة و الصفرية و الإباضية ؛ المؤسسة العربية للدراسات و النشر، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، ط2، ج2، ص459؛ أحمد مختاري العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2003، ص 45.

[2]– من الناحية الشرعية يعتبر المرابطون ولاة الأمر الشرعيون في بلاد المغرب خلال تلك الفترة ذلك أن كتب الخلافة العباسية كانت تصل باستمرار تزكيهم و تضفي عليهم الصبغة الشرعية و قد كانت لهم منجزات كثيرة تزيد من أحقيتهم؛ كتثبيت الإسلام الصحيح في نفوس المغاربة الذين ارتد كثير منهم عن الإسلام مثل قبائل برغواطة و كذلك دفع خطر المسيحين في الأندلس و إنقاذ الجزيرة من السقوط الأكيد ؛ الناصري، الإستقصا ، ج2 ، ص ص 3-5.

[3]– وهنا نجد أن "ابن تومرت" و خلفائه كانوا يقومون بإحراق كتب الفروع كلها بعد أخذ الأحاديث الصحيحة منها و بأسانيدها كي لا تضيع الروايات بينما تركوا كتب الأصول و أمروا الناس الأخذ بها بينما أهملوا كتب الفروع ؛ عبد المجيد النجار ، المهدي ابن تومرت ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983،ص ص 356-360.

[4]– نفس المرجع ، ص 361. René Millet , Les Almohades : hidtoire d'une dynastie Berbère , société d'édition géographique Maritimes et coloniales , paris , 1923 , p13-23.

و الأخذ برأيهم فيه اقتداءً بالسّلف في ترك التأويل و إمرار المتشابهات كما جاءت فطعن على أهل المغرب في ذلك و حملهم على القول بالتأويل[1].

أمّا عن قراءته للأدلة، فقد اِتّبع طريق الظاهريّة و جعل يفسّر النّصوص بظواهرها[2] و هكذا يمكن رؤية أصول المذهب الموحدي الّذي يقوم أساسًا على منهج المعتزلة في التوحيد و الأشاعرة في العقيدة و الظاهريّة في استبيان الأحكام الشرعيّة و الخوارج في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، ويلاحظ أن من نتائج دعوة ابن تومرت في بلاد المغرب هو ظهور التصوف بصورة لم تعرفه البلاد قبله في أي فترة من الفترات [3]

فلم يبق له إلاّ الأمر الأخير لكي يثبت لنفسه الإمامة و هو أن يتخذ حجة المهدوية سالكًا في ذلك مسلك الشيعة الإماميّة[4] حيث قال في إحدى خطبه: "الحمد لله الفاعل لما يريد، القاضي بما يشاء لا راد لأمره و لا معقب لحكمه، و صلّى الله على سيّدنا محمّد المبشر بالمهدي الّذي يملأ الأرض قسطًا و عدلاً، كما ملئت جورًا، يبعثه الله إذا نُسِخ الحق بالباطل و أزيل العدل بالجور، مكانه بالمغرب الأقصى و اسمه اسم النّبيّ و نسبه نسب النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم و قد ظهر جور الأمراء، و امتلأت الأرض بالفساد، و هذا آخر الزمان و الاسم الاسم و النّسب النّسب و الفعل الفعل".[5] و ينقل "ابن القطان" عن "عبد المؤمن بن علي" قوله حينئذ: "لما فرغ الإمام المهدي من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا فقلت له: هذه الصّفة لا توجد إلاّ فيك فأنت المهدي، فبايعناه على ذلك"[6].

---

[1]– ابن خلدون ، العبر ، مج4 ، 967.

[2]– عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص ص360-362.

[3]– الطاهر بوناني ، التصوف في الجزائر خلال القرنين ، 6هـ-7هـ/12م-13م، ط1، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع ، الجزائر،ص ص 88-90.

[4]– الشيعة الإمامية : و يسمون أحيانا بالشيعة الرافضية لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما و قيل لرفضهم إمامة "زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب" فسموا روافض ، كما أطلق عليهم اسم الإمامية لأنهم يعتقدون بعصمة الأئمة و أن الإمامة تنال بالنسب للنبي صلى الله عليه و سلم عن طريق "علي بن أبي طالب" و نسله من بعده ؛ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1، مكتبة النهضة الإسلامية ، القاهرة ، 1950 ، ص 87-88.

[5] – ابن القطان، نظر الجمان، ص ص 124 – 125.

[6] – نفس المصدر، ص 125.

ثانيّـــا: تأسيس الدّولة و توسعها بالمغرب:

1- تأسيس الدّولة و تنظيمها:

بعد أن انتهى "ابن تومرت" من دراسته في المشرق قرر التوجه إلى بلاد المغرب و كلما مرَّ على قرية أو مدينة أخذ "ابن تومرت" يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يَصْحَبُهُ في ذلك جمع من الطّلبة و المريدين ، حتى وصل إلى مدينة ملالة[1] و فيها التقى مع "عبد المُؤمن بن علي" الّذي كان متوجها نحو المشرق لطلب العلم ، فتمكّن "ابن تومرت" أن يصرفه عن وجهته و قال له :" العلم الّذي تريده في المشرق أتاك إلى المغرب"[2].

و قد رأى "ابن تومرت" في "عبد المؤمن" علامات الذكاء و صفات النبوغ و ملامح الفطنة ثمّ أخبره بما يريد فبايعه "عبد المؤمن" على مؤازرته في الشدّة و الرخاء و الأمن و الخوف و العسر و اليُسر و المنشط و المكره[3].

و من ملالة سار حتّى وصل إلى تلمسان[4] و منها إلى فاس[5] ثم إلى مراكش، لا يغير من سيرته و هي الأمر بالمعروف و النّهي عن المُنكر في كلّ مكان، و حتّى في مراكش رأى مناكر عظيمة و هي إذاك عاصمة المُرابطين و حاضرة ملكهم فحاول تغيير المنكر و الأمر بالمعروف لكن فقهائها و أمرائها ذاقوا به ذرعا فاستدعاه أمير المسلمين "علي بن يوسف" و جمع له فقهاء و علماء المرابطين ليناظروه فلم يقدروا أن يجاروه في علمه[6].

---

[1]- ملالة : هي مدينة من أعمال المغرب الأدنى بالقرب من بجاية ؛ عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب – مقتطف من كتاب المسالك و الممالك- ،دار الكتاب المصري ، القاهرة ، د ت ، ص 85 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص189.

[2]- البيذق ، المصدر السابق ،ص33

[3]- محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 22

[4]-تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط و هي مدينة عظيمة فيها آثار للأول تدل على أنها كانت دار مملكة للأمم السابقة و هي في سفح جبل أكثره شجر الجوز و كان لها ماء مجلوب من مكان يسمى لوريط كما يوجد بجانبها وادي كبير هو وادي سطفطيف ، و كانت تلمسان دار مملكـــة زناتة و يسكن بجوارها قبائل كثيرة من البربر و هي كثيرة الخصب و الرخاء ، وقد كانت مدينة واحدة تسمى أغادير ثم جاء المرابطون و قاموا ببناء مدينة جديدة بالقرب من القديمة و سموها تاجرارت بمعنى المحلة و هي لا تزال كذلك حتى جاء الموحدون فوحدوا المدينتين ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 135.

[5]- فاس: مدينة من أهم و أجل مدن المغرب الأقصى بنيت في عهد "إدريس الأول" لتكون حاضرة دولته الفتية وهي مدينتان كما تسمى كل واحدة منها بالعدوة "عدوة الاندلسيين و عدوة القرويين" بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة ، و الحنطة فيها رخيصة الأسعار جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها ؛ الإدريسي، المصدر السابق ، ص 94؛ أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تح : إسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982،ص ص 141-142

[6]- البيذق ، نفس المصدر ، ص37-47.

لكن رجلا منهم يُدعى "مالك بن وهيب"[1] أشار على أمير المسلمين "علي بن يوسف" أنْ يقتله أو يسجُنه قائلا له: "إِنّي أخافُ عليك من هذا الرّجل و أرى أن تعْتقِله و أصحابه و تنفق عليهم دينارًا لتكفي شره، و إن لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلّها ثمّ لا ينفعك ذلك. "[2] حيث تفطن "مالك بن وهيب" لــ" ابن تومرت" أنّه لا يريد بعلمه الآخرة و إنّما هو طالب دنيا و ملك و سلطان.

فأخذ "علي بن يوسف" برأي "مالك بن وهيب" و أمر بأن يوضع "ابن تومرت" و أصحابه في السّجن، لكن وزيره "عُمر بن ينتان" أشار عليه بتركِه قائلاً له : " يا أمير المسلمين ماذا يُقال عنك في البلاد، أتسجُنُ رجُلاً يعرف الله و هو أعرف أهل الأرض بالله تعالى... فقال له علي بن يوسف "مُرْه أن يخرج من بلادنا " [3]

فخرج "ابن تومرت" من مراكش و استقرّ في إحدى المقابر خارج المدينة يُعلّم النّاس و كثر حوله الأتباع و الطّلبة و هنا يُشير "البيذق" أنّ "ابن تومرت" خرج منها إلى بلاد السوس طواعية لكن الظاهر أنّ "علي بن يوسف" ضاق به ذرعا و أرسل في طلبِه كي يُسجنه أو يُقتله ففرّ من مراكش إلى بلاد السوس حيث سيقيم دولته المنشودة[4].

بعد أن خرج ابن تومرت من مراكش توجه نحو مدينة أغمات و منها نحو بلاد السوس برفقة أصحابه و مريديه و كلّما وصل مدينة أو قبيلة يدعوهم إلى الخير و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يبني الأربطة من أجل طلب العلم و التفقه في الدّين[5].

و في بلاد السوس ارتأى ابن تومرت أن يترل بمكان حصين كي لا يصل إليه المُرابطون فترل في جبل إيجليز "و أمر بتحصين موضعه لأنّه ما كان له إلاّ طريقًا واحدًا، و ذلك الطريق لا يمشي فيه إلاّ راكب بعد راكب من كثرة توعره"[6]، و أقام هناك ثلاث سنين من

---

[1]– مالك بن وهيب: هو رجل من أهل الأندلس قيل انه اشبيلي المولد و المنشأ ، تولى عدة مناصب في الدولة المرابطية اللمتونية ، عرف عنه الحكمة و العلم و الأدب كما له أبيات شعرية يغلب عليها طابع التصوف ؛ مصطفى بن عبد الله "حاجي خليفة" ، كشف الظنون ، ج1 ، ص 421.

[2]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص48.

[3]– البيذق ، المصدر السابق، ص 49.

[4]– نفس المصدر و الصفحة.

[5] – نفس المصدر ، ص 48 – 49.

[6] – ابن القطان، نظم الجمان، ص 124.

515هـ/1121م إلى 518هـ/1124م و هناك بيوع له بالإمامة سنة 515هـ/1124م، و بدأ ينظم أصحابه في فرق لكي يسهل عليه قيادتهم و مُراقبتهم[1] .

فقسّمهم إلى 13 طبقة فأوّل هذه الطبقات هي طبقة العشرة و أحيانا يُسمون أهل الجماعة و تظم أوّل من بايع "ابن تومرت" و نصره و هم أهل مشورته و محل سره ، ثمّ طبقة أهل الخمسين و تضم العشرة السابقين وباقي زعماء القبائل المصامدة [2] ثمّ طبقة أهل السبعين وتضم الخمسين السابقين بالإضافة لعشرين آخرين من غير المصامدة ثمّ طبقة الطّلبة وتضم العُلماء و مشايخ المُوحدين ثمّ طبقة الحفاظ و يليها طبقة أهل الدار و هم من يخدمون المهدي و يسعون بين يديه و يقضون حوائجه ثمّ قبيلة هرغة و هي قبيلة "ابن تومرت" و يليها أهل تينملل[3] و بعدها جدميوة ثمّ جنفيسة فهنتاتة ثمّ أهل القبائل المتواجدون حول مراكش من مزمبر و هيلانة و هزرجة و في الأخيرة يوجد الغرات و هم الأطفال الصغار[4].

و جعل "ابن تومرت" لكلّ طبقة من هذه الطبقات وظيفة خاصّة بها في جميع الأحوال و لها رتبة لا تتعادها إلى غيرها و جعل عقوبة القتل لكلّ من يخالف هذه الأوامر، أمّا من يتخلّف عن الصلاة أو قراءة الحزب فله عقوبة الجلد[5].

كما وضع "ابن تومرت" نظامًا خاصًا للسير في المراكب و الاحتفالات و ذلك بأن ينادي المنادي، "الاستعانة بالله و التوكّل عليه" ، و إذا ما تحرّكوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه و بين الأمير مقدار ربع ميل ، و يكون الأمير متقدّمًا على النّاس خلف اللّواء المذكور في جملة من يختص به، ثمّ تتبعهم الرايات الكبار و الطبول و العسكر ثمّ كلّ قبيلة على ترتيب و حسن هيئة و في تلك الرايات تكتب في أحد أوجهها "الواحد الله محمّد

---

[1]– ابن القطان، نظم الجمان، ص 125.

[2]– المصامدة : نسبة لقبيلة مصمودة البربرية البرنسية التي تضم عدد لا يحصى من البطون و الفروع أهمها : هرغة ،جدميوة ، جنفيسة ، هنتاتة، مزمبر، هيلانة و هزرجة ، سميت مجموعها بقبائل المصامدة حيث اعتصموا بجبل درن من بلاد المغرب الأقصى و على عصبيتها قامت الدولة الموحدية ، شارك رجال هذه البطون و الفروع في الدعوة الموحدية منذ البداية و كان لهم مناصب قيادية في الدولة ؛ ابن خلدون ، العبر،مج6 ، ص 461.

[3]–تينملل: هذا الاسم يتألف من كلمتين: (تينما) بمعنى (ذات) و(إيمل) بمعنى (الحواجز) التي توضع في أراضي الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهو الجبل الذي كان مهد دولة الموحدين أول الأمر، وهي وعرة المسالك مما يجعل الوصول إليها صعبا ؛ الحميري ، الروض المعطار، ص155.

[4] – ابن القطان ، نظم الجمان، ص 82.

[5] – نفس المصدر ، ص 83 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 38.

رسول الله، المهدي خليفة الله"، و في الوجه الثاني:"وما من إله إلاّ الله، و ما توفيقي إلاّ بالله، وأُفوِضُ أمري إلى الله"[1].

بعد أن فرغ "ابن تومرت" تأسيس دولته الفتية وإرساء أركانها و نظمها كان لزامًا عليه أن يُواجه المُرابطين الّذين هم كفار على حسب رأيه إذ أنّهم يطلقون صفات بشريّة على ذات الله عزّ و جلّ، و أنّه هو و أصحابه على الصراط السوي بمعنى أنّهم هم المُوحدون و زاد فكرهم تطرُفا لما نعتهم المُرابطون بالخوارج و أنّهم لو مضوا في هذه الطريق سيقعون في الكفر فأمر "ابن تومرت" أصحابه أن ينعتوا المُرابطون بالمجسمين إي أنّهم يجسمون ذات الله عزّ و جلّ و بالتالي هم كفار يجب قتالهم كما قاتل النبي صلى الله عليه و سلم قريشا و كفار العرب[2] .

فجهّز المُرابطون جُيوشهم للقضاء على هذه الثورة الّتي أتتهم من بلاد السوس حيث أرسلوا ثلاث حملات على التوالي بقياد ة "إبراهيم بن تعشيت"[3] عاملهم على تلك البلاد و الثّانية بقيادة "أبي إبراهيم بن إسحاق" و الثالثة بقيادة "سير بن قودي" ، و قد فشلت كلّ هذه الحملات كما ألحق بها المُوحدون هزائم متتاليّة و استولوا على أسلابها و غنائمها[4].

بعد هذه الانتصارات قويت شوكة المُوحدين و اكتسبوا الثقة في أنفسهم و قرّروا أن يبادروا هم لقتال المُرابطين و إخضاع القبائل المُجاورة فأرسل "ابن تُومرت" تسع غزوات مُتتاليّة حيث كانت الغزوة الأولى ضد مدينة تارودانت[5] و هزم فيها المُرابطين الّذين كانوا بقيادة "ينتان بن عمر"، لكنّ الموحدين اِنهزموا في الغزوة الثانيّة حيث انتصر المُرابطون بقيادة "سليمان بن يكلد" و "ابن أبي فراس" و" عبد الرّحمن" قاضي السوس، لكن "ابن تومرت" تمكّن من إحراز النصر في الغزوة الثالثة عند موضع يُسمّى "تالات أن ميزك" ثمّ انتصر

---

[1] – هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 39.

[2] – ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 132.

[3] – إبراهيم بن تعشيت : هو "إبراهيم بن يوسف بن تاشفين" و "تعشيت" نسبة لأمه و أخوه الأمير المرابطي "علي بن يوسف" ولي عدة مناصب في الدولة من أهمها ولاية مرسية حيث أحسن الدفاع عنها في وجه النصارى و لما قامت الدعوة الموحدية في المغرب استنجد به "علي بن يوسف" لإخماد نارها لكنه قتل في أثناء تصديه للموحدين سنة 515هـ/1121م ؛ ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989 ، ص 187.

[4] – ابن القطان ، نظم الجمان ،ص ص 134 – 133.

[5] – تارودانت : مدينة بالمغرب الأقصى في جهة جبل درن و كانت قريبة من مركز الدعوة الموحدية لذا عمل "ابن تومرت" على ضم هذه المدينة منذ البداية ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 228.

كذلك في الغزوة الرّابعة و كان المُرابطون بقيادة "أكدي بن موسى" في موضع يُسمّى تيزي آن ماس، أمّا الغزوتين الخامسة و السّادسة فقد انتهت بتكافؤ لم ينتصر أي طرف على الآخر[1].

وفي الغزوة السّابعة فقد قادها "ابن تومرت" ضد قبيلة هسكورة[2] و هي من القبائل الّتي لم تعلن خضوعها للموحدين ، فنشبت المعركة في مكان يُسمّى أزليم حيث سقط خلالها "ابن تومرت" جريحًا و شج رأسه فحمله أصحابه إلى داره و أكمل الموحدون المعركة حتّى انتصروا فيها[3] ثمّ قام بغزوته الثامنة و استولى فيها على مدينة تازاكورت، و أخيرا غزوته التاسعة ضد المُرابطين و انتصر عليهم في مكان يُسمّى أسدوم آن الغزي[4].

بعد هذه الانتصارات رأى "ابن تومرت" نقل مركز عملياته من إيجليز إلى تينملل الّتي تتمتّع بحصانة طبيعية حيث لا يمكن دخولها إلاّ من شرقيها أو غربيها و هو الطريق إليها من مراكش و هو طريق ضيق جدًا فأوسعه أن يسير الفارس الواحد راكبًا[5] ، فأخذ "ابن تومرت" يسير بجيوشه لغزو بعض الجهات و إخضاع القبائل حيث تغلب على بلاد جدميوة و ركراكة و هزرجة[6] و وادي نفيس[7] حتّى وصل أغمات[8] و هي أقرب المدن لمراكش و بذلك أصبح مصدر تهديد لحاضرة المرابطين.

---

[1] – ابن القطان، نظم الجمان ، ص 133.

[2]– هسكورة : وهي كذلك بطن من بطون مصمودة وقد تخلفوا عن الالتحاق بدعوة "ابن تومرت" لذا أمر بالزحف عليهم لإخضاعهم ؛ ابن خلدون ، مج 6 ، ص 203.

[3] – البيذق، المصدر السابق ، ص 57.

[4] – نفس المصدر ، ص 58 ؛ ابن القطان، نظم الجمان ، ص 132.

[5] – مجهول، الحلل الموشية، ص 113 ، محمد بن معمر ، عبد المؤمن بن علي في مدرسة ابن تومرت العلمية والدينية و الحربية ، الملتقى الوطني الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية ،عدد 1998 ،ط1 ، (دون دار نشر) ، تلمسان ، ص 132.

[6]– جدميوة و ركراكة و هزرجة : هي مجموعة من القبائل التي كانت تستوطن سفوح جبل درن و سميت مضاربها باسمها و هذا كثيرا ما يلاحظ في تاريخ بلاد المغرب ؛ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 65.

[7]– وادي نفيس : هو احد روافد وادي تانسيفت (وادي أم الربيع) و هو على مقربة من مدينة مراكش ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص540.

[8]– أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش و هي مدينتان متقابلتان، من ورائها إلى حملة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل، و من سجلماسة ثمان مراحل، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج1 ، ص 152.

و في سنة 521هـ/1127م أرسلا "ابن تومرت" جيشًا كبيرًا بلغ نحو أربعين ألف يصحبهم أربع مائة فارس لغزو مدينة مراكش و جعل قيادته في يد "محمّد البشير"[1] و "عبد المؤمن بن علي" حتّى وصلوا مراكش و ضربوا عليها حصارًا دام 40 يومًا فاستنجد "علي بن يوسف" بجميع ولاته فجمع قوات كبيرة و نشبت المعركة بين الطرفين في مكان بالقرب من مراكش يُسمّى البحيرة اشترك فيها "علي بن يوسف" بنفسه فحلّت الهزيمة بالموحدين و قتل أكثر الجيش مع قائدهم "محمّد البشير" حيث لم ينج من الموحدين إلاّ عدد قليل حوالي أربع مائة اِنسحب بهم عبد المؤمن في جنح اللّيل و عاد إلى تينملل[2].

تلقّى "ابن تومرت" نبأ هذه الهزيمة الفادحة و حزن حزنًا شديدًا و المرض قد اشتدّ به و لكي يخفف أثر الهزيمة على نفسه صرح قائلاً: " إذا عاش عبد المؤمن بقي الأمر و ظهر"[3]، و بعدها بأيام توفي "ابن تومرت" يوم 25 رمضان 524/ أوت 1130م ، و تولى الأمر بعده "أبو محمّد عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي" الّذي قرّر مواصلة الحرب و توسيع جبهات الصّراع مع المُرابطين إلى أن ينهي دولتهم[4].

2- توسع الصِّراع و سقوط دولة المُرابطين:

رغم هزيمة المُوحدين في معركة البحيرة و وفاة "ابن تومرت" إلاّ أنّهم واصلوا حروبهم ضد المُرابطين من أجل إسقاط دولتهم ، ولما سمع المُرابطون نبأ وفاة "ابن تُومرت" أرسلوا جيشًا بقيادة "ابن تاعشيت" لإفنائهم لكنّه هزم و استولى الموحدون على غنائمه و أسلحته و شاع خبر هذا الانتصار في كامل بلاد المصامدة فأخذت الجموع تتوافد على الموحدين و تنظم إليهم[5].

---

[1]- محمد البشير الونشريسي : هو"عبد الله بن محسن الوانشريسي" حيث يعتبر من أخلص رجال ابن تومرت و كانت يتمتع بصفات قيادية قتل في معركة البحيرة و هناك من شير أنه كان بإمكانه تولي الخلافة الموحدية بدلا من "عبد المؤمن بن علي" ؛ البيذق ، نفس المرجع ، ص 38.

[2] - ابن القطان، نظم الجمان، ص 160 ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص 114

[3] - ابن القطان، نظم الجمان ، ص 165.

[4]- هناك ثلاث روايات بخصوص تولي عبد المؤمن أمر الموحدين، الأولى أنّه تولاها بعهد من "ابن تومرت" والثانية بإجماع مشيخة الموحدين على خلافته، أمّا الثالثة و هي الأضعف أنه تولاها بدهائه و احتال على بقية المشايخ و الطلبة الموحدين ؛ ابن القطان، نظم الجمان ، ص168؛ ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ،ط3، دار المسرة ، بيروت ، 1993، ص 122؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق1، ص ص 219-223.

[5] - البيذق، المصدر السابق ، ص 69.

انتهز "عبد المُؤمن" فُرصة تجمّع الجُيوش و أرسل سريتين لقتال المُرابطين حيث كانت الأولى بقيادة الشيخ "عُمر أصناك" و الثانيّة بقيادة "عُمر بن زجو" و عاداتا منتصرتين ظافرتين و غنموا خلالها الباب الحديدي لحصن تسغيموت حيث وضع عند الباب الفخارين في تينملل[1].

من جِهة أُخرى جعل "علي بن يوسف" إمارة الجيوش في يد ولي عهده "تاشفين" و أوكل إليه مهمّة القضاء على المُوحدين لكنّه كلّما واجههم إلاّ و حلّت به الهزيمة الواحدة تلو الأُخرى بدءًا بمعركة تاحكوط و إيمي تانورت و دامت هذه المناوشات أكثر من عام ثمّ أصبح القتال متكافئًا بين الجانبين حتّى أنّ هناك من المعارك ما دامت الشهر و الشهرين فتارة ينتصر "عبد المؤمن" و صحبه و تارة أخرى ينتصر "تاشفين" و جيوشه و عان كلا الطرفين الأمرين خلالها خاصّة في فصل الشّتاء عندما اِستقرّ المُوحدون في قمم الجبال حيث البرد القارص و نفذت منهم الأقوات، بينما غرق المُرابطون في الوحل و كثر فيهم الموتى حتّى أنّ الخيام كانت تربط بجثث الموتى سبب الوحل[2].

بعد أن مكث الموحدون مدّة من الزمن حول مراكش في بلاد المغرب الأقصى قرّروا نقل عملياتهم نحو الغرب و استقرّوا تحديدًا في ندومة ببلاد كومية[3] ثمّ نزحوا قليلا في تاجرا[4] ومنها أرسل "عبد المؤمن" ثلاث حملات: الأولى بقيادة "عبد الرحمن بن زجو" لغزو وهران، فانتصر و عاد بالغنائم و الثانية بقيادة" أبي إبراهيم إسماعيل" لغزو قبائل بني وانون ، و الثالثة بقيادة "يوسف بن واندوين" لإخضاع بلاد مديونة [5] القريبة من تلمسان و التقى هناك بجيش مرابطي فانتصر عليه و قتل قائده[6].

---

[1] – البيذق، المصدر السابق ، ص 69.

[2] – ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب :قسم الموحدين ، تح : محمد إبارهيم الكتاني و آخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1986 ، ص15 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 46-50.

[3] –بلاد كومية : وهي البلاد التي كانت تسكنها قبيلة كومية الممتدة من هنين شرقا إلى جبال وجدة غربا من بلاد المغرب الأقصى ، وتعتبر بلاد "عبد المؤمن" و موطن عشيرته ؛ أنيسة بركات درار ، شخصية عبد المؤمن بن علي سراج الموحدين ، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية ،عدد 1998 ،ط1 ، (دون دار نشر) ، تلمسان ،ص ص22-23.

[4]– تاجرا : و هي منطقة جبلية شمال تلمسان و شرقي ندرومة بالقرب من مرسى هنين و هي البلاد الأصلية لــ" عبد المؤمن بن علي " ؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب " مقتطف من المسالك والممالك" ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص 80.

[5]– مديونة : قبيلة بربرية من بني فاتن و قد هاجر الكثير من أفرادها إلى بلاد الأندلس لذا كانت تعاني من الضعف و تسلط عليها القبائل الأخرى كمصمودة و زناتة ؛ بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ،ص ص 118-119.

[6] – البيذق، نفس المصدر ، ص 82.

و في تاجرا وفد على "عبد المؤمن" زعماء القبائل المُجاورة و أعلنوا خُضوعهم وتوحيدهم فأكرمهم "عبد المؤمن" و استعمل بعضهم في قضاء شؤنه ، و من تاجرا انتقل إلى تفسرت بالقرب من تلمسان و تمكّن من إخضاع عدّة قبائل في تلك النواحي أهمها: بني يستين و بني سنوس و بني وردرسن و بني ستلتن[1].

لّما وصلت هذه الأنباء إلى "علي بن يوسف" و تأكّد أنّ ابنه و ولي عهده قد فشل في إخماد هذه الثورة فاغتم كثيرًا و مرض مرضًا شديدًا و قرّر خلع ابنه تاشفين من ولاية العهد و تقليدها لإبنه الأصغر "إسحاق" لكن الموت عاجله قبل أن يتمّ ذلك حيث توفي شهر رجب 537هـ/1143م[2] و من خلال ذلك ظهرت الخصومة بين قبيلتي مسوفة و لمتونة حين تولّى "تاشفين" الحُكم فخرج عليه بعض زعماء مسوفة و لاذوا بحماية الموحدين فكان منهم "يحي بن تاكفيت" و" براز بن محمد المسوفي" و عامل تلمسان "يحي بن إسحاق" المسمّى "أنكمار" و سار على نحوهم بعض زعماء زناتة من بني وامانوا[3].

و كما أشرنا سابقًا أنّ الموحدين استقروا بالقرب من تلمسان فقد لحق بهم "تاشفين بن علي" و دخل المدينة ثم بدأ يبعث سراياه لقتال الموحدين أهمها المعركة الّتي نشبت سنة 539هـ/1145م في منطقة وادي الزيتون حتّى أنّ عساكر بجاية[4] شاركت مع المُرابطين في هذه هذه المعركة بقيادة "ميمون بن المنتصر"[5]، لكنّ الهزيمة حلّت بهم و قتل في هذه المعركة القائد المرابطي "الربرتير "[6] فأرسل "تاشفين بن علي" إلى جميع قواته في المغرب و الأندلس، كما

---

[1] – البيذق، المصدر السابق ، ص 83 .

[2] – نفس المصدر ، ص 84.

[3]– بني وامانوا : هم بطن من بطون زناتة حيث تتحالفوا مع بني عمومتهم من بني يلومي و سيطروا على كافة بلاد المغرب الأوسط و لم ينافسهم في ذلك سوى بني يفرن و مغراوة و حتى لما اجبر الزيريون زناتة على ترك مواضعها في المغرب الأوسط و التوجه للمغرب الأقصى نجد أن بني وامانوا لم يتركوا مواضعهم ؛ بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ، ص ص 190-191.

[4]– بجاية : هي مدينة جليلة بالمغرب الأوسط لها جبل يحيط بها اسمه "أمسيول" يمنحها حصانة طبيعية ، كما تتوفر على عيون ماء عذب وتنمو بالقرب منها الكثير من الحشائش الطبية ، وقد اتخذها الحماديون قاعدة لمكلهم ، وتكثر بها التجارة و لها ميناء تدخله السفن و به تصنع المراكب ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 80-81.

[5]– ميمون بن المنتصر : هو قائد حمادي أرسله "يحي بن العزيز الحمادي الصنهاجي" لمساعدة المرابطين لكن الهزيمة حلت بهم كذلك فأرسل مرة أخرى القائد "طاهر بن كباب الصنهاجي" لكنه انهزم أيضا ؛ رشيد بورويبة ، المرجع السابق ،ص ص100-101.

[6]– الربرتير : و يكتبه "البيذق" "الأبرتير" و هو قائد قطلوني عمل في الجيوش المرابطية على شكل مرتزق وكان من فرسان برشلونة حيث أسره أسره "علي بن ميمون" قائد الأسطول المرابطي و أرسله إلى مراكش و بدأ الخدمة في فرقة المرتزقة النصارى في الجيش المرابطي ثم عينه "علي بن يوسف" أميرا على هذه الفرقة و كان له ابن هو " علي بن الربرتير" سوف يلتحق بخدمة الموحدين ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص193.

وفدت عليه مساعدات من الحماديين مرة أخرى بقيادة "طاهر بن كباب الصنهاجي" فاحتفل بها النّاس و تعجّب لكثرة الجند و حسن نظامهم.

لكنّ كانت هذه هي آخر حشود المُرابطين فخرجوا إلى المُوحدين ليقاتلوهم فأفنوهم و لم يبق مع "تاشفين بن علي" إلاّ نزر يسير من الرّجال و ابنه "إبراهيم" في صحبته، فقرّر أن يتوجّه من تلمسان إلى وهران[1] و منها نحو الأندلس لكي يعد العدّة و يرجع إلى المغرب كما بعث ابنه "إبراهيم" إلى مراكش و أوصاه أن يتحصّن بها و يشدّد في حراستها[2].

و في غضون ذلك وصلت عشر سُفُن بقيادة "محمّد بن ميمون اللمتوني" إلى وهران فوصل "تاشفين بن علي" إلى المدينة، و "عبد المؤمن" يلاحقه من تلمسان ، فاستقرّ تاشفين مدّة من الزّمن بوهران ثمّ أراد أن ينتقل إلى أحد الحصون في ربوة عالية أمام البحر كي يجوز منها إلى السفن لكن "عبد المؤمن" تفطّن لخطوته هذه فبادر إلى الحصن و أشعل النّار حوله، فأراد "تاشفين" الهرب ليلاً لكنّه سقط به فرسه من الحافة فمات ثمّ صلب و حزت رأسه و بعثوا بها إلى تينملل[3].

3 – توسّع الموحدين في باقي بلاد المغرب:

بعد أن استتب الأمر لـــ"عبد المُؤمن بن علي" في المغرب الأقصى و قضائه التّام على الدّولة المُرابطيّة حيث سيطر على أهم مدنه مثل فاس[4] كما قام بإخماد الثورات الأخرى قرّر أن أن يُوسّع مُلكه في بلاد المغرب و قرّر التوسّع نحو إفريقيّة[5] فشاور كبار مشايخ المُوحدين أمثال" أمثال" الشيخ أبو حفص الهنتاتي" [6]و "أبو إبراهيم"... فوافقوه و أحاط مشروعه هذا بسريّة تامّة[7].

---

[1]– وهران : مدينة شرقي تلمسان بها حصن منيع و مرسى ترسو به السفن الأندلسية من اجل التجارة و تقابل وهران من الأندلس مدينة ألمرية؛ البكري ، المغرب ،ص ص70–80؛ اسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 141.

[2]– البيذق ، المصدر السابق ، ص85.

[3]– نفس المصدر ، ص86 .

[4]– محمد بن غازي العثماني ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، ط1 ، 1999، ص24.

[5]– إفريقية:اسم لبلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية وتنتهي إلى قبالة جزيرة الأندلس، وسميت افريقية نسبا إلى افريقش بن صيفي بن سبأ القحطاني، القحطاني، وهو الذي اختطها، الحميري، الروض المعطار ، ص80.

[6]– أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي : يظهر من خلال اسمه انه من قبيلة هنتاتة المصمودية البربرية حيث يعتبر من أكابر شيوخ الموحدين و مقدميهم و هو من أبرز خاصة المهدي وله يرجع الفضل في تثبيت دعائم و أركان الدولة الموحدية و هو جد الملوك الحفصيين بتونس ؛ الناصري، الإستقصا ، ج2 ، ص 77–99–100.

[7]– هشام أبو رميلة ، المرجع السابق، ص 61.

في أواخر سنة 546هـ/1151م خرج "عبد المُؤمن بن علي" من مراكش بجُيوشه و استخلف على المدينة "الشيخ أبا حفص عُمر بن يحي الهنتاتي" قاصدًا مدينة سلا[1] ، فأقام بها شهرين و منها سار نحو مدينة سبتة[2] مظهرًا الجواز نحو الأندلس بغاية الجِهاد فاِستدعى فُقهاء الأندلس و علمائها و أعيانها و بعض رُؤسائها من الثُوّار فسألهم عن أحوال البلاد ثمّ أوصاهم بما فيه نجاحهم و حُسن سيرتهم ثمّ ودّعهم و لم يعبر معهم[3].

و في سبتة اِستعرض "عبد المُؤمن" جيشه و أظهر العودة نحو مراكش ثمّ فجأة سلك طريقًا غير معروف و أمر بالتوجّه نحو تلمسان و تزويدها بالمِياه و الأعلاف و الأقوات فوصلها و بقي فيها ليوم واحد ثمّ خرج سريعًا نحو جزائر بني مزغنة[4] حيث بادر إليها على حين غرة من أهلها أهلها فاِستولى عليها و هرب حاكمها "القائم بن يحي بن العزيز الحمادي" إلى بجاية و أبلغ أباه بهُجوم المُوحدين و سُقوط جزائر بني مزغنة في أيديهم[5].

فما كان من هذا الأخير إلاّ أن جمع أمواله و أهله و فرّ بحرًا نحو بونة[6] و منها سار نحو قسنطينة[7] فلحِق به "عبد المُؤمن" لكن "يحي بن العزيز الحمادي"[8] آثر التفاوض و أن يسلم ما

---

[1]– سلا: مدينة على ساحل البحر من إقليم المغرب الأقصى و هي مدينة جليلة حيث أن القديمة منها انهارت مبانيها فاستحدث الموحدون الجديدة منها ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 319.

[2]– سبتة : مدينة عظيمة على ساحل البحر الشامي (البحر المتوسط) لها أسوار و أسواق منها يعبر إلى الأندلس ، و قد عمرت سبة منذ القدم و تخرج منها العديد من العلماء ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 303.

[3] – هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 61.

[4]– جزائر بني مزغنة : وهي مدينة على ساحل البحر لها أسواق كثيرة و مسجد جامع و كانت دارا للملك فيما سبق ، وجدت بها كنيسة لم يبق منها سوى جدار (في نهاية القرن 4هـ/10م)، و يوجد بها مرسى آمن تدخله السفن من شتى البلاد الإسلامية و المسيحية ؛ البكري ، المغرب ، ص ص 65-66.

[5]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص103؛ Mohamed Seghir , Histoire de Tizi-Ouzou et de sa région , 2 2 édition , édition Hamouda , alger , 2002, p16.

[6]– بونة : (عتابة) مدينة من أعمال إفريقية ، و هي مدينة حصينة كثيرة الخيرات و بها معدن الحديد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ، ص 512.

[7]– قسنطينة : مدينة من أعمال إفريقية وجدت بها آثار قديمة و تعتبر من أحصن مدن المغرب بسبب الجبال المحيطة بها و الخندق الموجود حولها ، وهي كثيرة الخيرات تكثر بها الحنطة و السمن و العسل ، و يغلب على أهلها العرب ؛ الحميري ، الروض المعطار ،ص ص 480-481.

[8]– يحي بن العزيز الحمادي : هو آخر الملوك الحماديين حيث تلقى الملك من بعده والده "العزيز بن المنصو"ر ، لكن الدولة الحمادية كانت تمر بفترة صعبة جدا حيث أضعفتها الحروب مع الزيريين و القبائل الأعرابية التي وفدت إلى بلاد المغرب و كذلك الصقليين الذين شنوا الكثير من الغارات على السواحل ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ص ص 273-274 ؛ رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص ص 91-100.

بيديه صلحًا فقبل منه "عبد المُؤمن" و أمنه على نفسه و أهله و أمواله و أكرمه بأن أنزله أحد قُصور مراكش[1].

بعد ذلك توجّه "عبد المُؤمن" نحو بجاية فاِستولى عليها بدون قِتال و أعلن أهلها الولاء و الطّاعة ذلك أن حاكمها "أبو محمّد ميمون بن علي بن حمدون" وزير الحماديين اِتّصل بعبد المُؤمن سرًا و فتح له أبواب المدينة فدخلها "عبد المُؤمن" و اِستولى عليها بدون إراقة دماء[2].

لكن الأمر لم يكن نفسه بالنّسبة لـــ"قلعة بن حمّاد"[3] الّتي تحصّن بها جُند "ابن العزيز"و من من معه من صنهاجة حيث قرّروا مقاتلة "عبد المُؤمن" فأرسل هذا الأخير ابنه "أبا محمّد عبد الله " قائدًا على جيش كبير فأضرم النّار حول القلعة و اِقتحمها عنوة و قتل ثمانية عشر ألفًا من أهلها و غنم و سبى الكثير[4].

لكن أعراب الأثبج و رياح و هلال الّذين سكنوا تلك النواحي أخذهم العزّة بأنفسهم و لم يذعنوا لـــ"عبد المُؤمن" مستصغرين شأنه خاصّة بعدما اِنتصروا على أحد الجُيوش المُوحديّة و قتلوا قائده ، لذلك جهّز "عبد المُؤمن" جيشًا كبيرًا و قاده بنفسه و التحم معهم في معركة بالقُرب من سطيف فانتصر عليهم و فّرق جُموعهم و كان ذلك سنة 548هـ/1153م ثمّ نقل عبد المُؤمن بعض أشياخ العرب إلى مراكش و أحسن إليهم، ثم ردّ إليهم حريمهم و أموالهم وذلك لينال قلوبهم و يضمن مشاركتهم في حُروبه المُستقبليّة خاصّة في الأندلس[5].

بعد أن تمكّن "عبد المُؤمن بن علي" من استتبات الأمر في المغرب الأوسط قرّر العودة إلى مراكش عاصمة ملكه لكنّه عيّن ابنه" أبو محمّد عبد الله" واليًا على بجاية و اِستوزر له "أبا سعيد يخلف بن الحسين" و كلّفهما بشنّ الغارات على نواحي إفريقيّة و التضييق على تونس[6] و يمنع

---

[1] –محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تعليق : المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978 ، ص103 ؛ هشام أبو رميلة ، نفس المرجع ، ص 62.

[2] – البيذق، أخبار المهدي بن تومرت ، ص 107.

[3]– القلعة: بنيت قلعة بني حماد في سنة 398 هـ /1007م-1008م على منحدر وعر فوق سفوح جبل تافريست على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 26 كيلو متر من مسيلة أما الأرض التي نتيت عليها القلعة فهي عبارة عن مسطح ذي هبوط منظم ؛ إسماعيل العربي، المدن المغربية، ص 167؛ hassan Remoun , L'Agerie , édition la cassbah , alger , 2000, p24

[3] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص 108 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 63.

[4]– تونس : يشير الحميري أنها قاعدة بلاد المغرب الأدنى و أن أبو جعفر المنصور كانت يعتبرها كالقيروان ، ظهر بها العديد من العلماء و الصلحاء ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 143.

[5] –عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 168.

الماء و الأقوات من الوُصول إلى المدينة الّتي تحصن بها النورمان الصقليين و أمير المدينة عبد الله بن خراسان حيث سار عبد الله بجيش من المصامدة و العرب و ضرب الحصار على تونس فخرج إليه أمير المدينة و من معه من أهل تونس و تقاتلوا في ظاهر المدينة فانتصروا على عبد الله بن عبد المُؤمن الّذي عاد إلى بجاية و أرسل إلى أبيه يخبره بالهزيمة[1].

قرّر عبد المُؤمن بن علي التوجّه بنفسه نحو تونس و شجّعه على ذلك قيام أهلها و المناطق المُجاورة لها بالثّورة على الصقليين، خاصّة بعد وفاة ملك صقليّة "روجار" و خلفه ابنه "وليام" الّذي كان صغيرًا في السن فاضطربت أحوالهم ، فسار "عبد المُؤمن" من مراكش بجيش ضخم و رافقه الأسطول المُوحدي بـــ70 قطعة بحرية حتّى وصل إلى تونس و حاصرها برًا و بحرًا[2].

و قبل البدء بالعمليات الحربيّة بعث "عبد المُؤمن بن علي" إلى أهل المدينة يدعوهم لطاعته و الإمتثال لأوامره فرفضوا و استعدوا للمقاومة ، فهاجم "عبد المُؤمن" بكلّ عُنفٍ و قوّة في أوّل يوم حينئذٍ أدرك أهلها أنّ لا جدوى من مُقاومة المُوحدين فسار جمعٌ من أعيانها وأشياخها إليه فأمّنهم على أنفسهم و أهلهم و أموالهم أمّا سائر أهل تونس فقد أمّنهم على أنفسهم و أهلهم لكنه قاسمهم أموالهم ، كما وافق على خُروج واليها "عبد الله بن خراسان" بأهله حيث يُريد، أمّا اليهود و النصارى فقد صرّح لهم: "من أسلم سَلِم و من أبى قُتِل"[3].

أقام عبد المُؤمن في تونس ثلاثة أيام، ثمّ سار منها إلى المهدية الّتي تحصن بداخلها جُموع من الصقليين فحاصرها برًا و بحرًا حيث دام هذا الحِصار أكثر من شهرين ، و في خلال هذا الحصار أرسل عبد المُؤمن عدّة سرايا نحو الجهات القريبة ، فحضرت إليه الوفود تعلن الولاء و الطّاعة ، حيث جاءه "يحي بن مطروح" شيخ طرابلس الغرب [4] و تلاه "عمر بن الحسن القرباني" صاحب صفاقس[5] و "يحي بن تميم بن المعز" صاحب قفصه، فقبل "عبد المُؤمن" طاعتهم و أعادهم لبلادهم[6] .

---

[1] – مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 62 ؛ هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 64

[2] – René Millet , Les Almohades : histoire d'une dynastie Berbère , p62-69 .

[3] – عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 977.

[4] –طرابلس الغرب : و هي مدينة من أعمال إفريقية على ساحل البحر و تعنتي كلمة طرابلس المدن الثلاث و بها أسواق حافلة و حمامات كثيرة كثيرة ، الحميري ، الروض المعطار ، ص 390.

[5] – صفاقس : مدينة في إفريقية و هي كثيرة الخيرات عامرة لها أسواق كثيرة و على أبوابها صفائح من حديد منيعة و في أسوارها محاريس من أجل الرباط ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 365.

[6] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع ، ص 66.

كما أعلن بعض الثوار و المتغلبين على المُدن طاعتهم للموحدين فمن هؤلاء "عيسى بن مقرب بن طراد اللخمي" صاحب بترت[1] و "ضيّع الصنهاجي" صاحب طبرقة[2] فأرسل "عبد المؤمن" اِبنه "عبد الله" لإخضاع بعض الجهات عنوة حيث اِستولى على سوسة[3] و جبل نفوسة [4]و بلاد الجريد[5] و ما والاها ثمّ اِستولى على جبل زغوان[6] من "بني حماد بن خليفة" و شقبنارية[7] من بني عباد بن نصر الله كما اِستولى على مدينة الأربص من العرب، أمّا مدينة قابس[8] فقد اِستولى عليها بعد معركة ضارية مع "بني كامل"[9]

بعث وليم ملك صقلية أسطولا لإنقاذ قواته في المهدية لكنّه اِنهزم أمام الأسطول الموحدي الّذي أسر سبع قطع منه ، فيئس الملك من إمكانيّة إنقاذ المهدية فتركها لمصيرها، فضاق الصقليون داخل المدينة و أرسلوا إلى "عبد المُؤمن" يسألونه الأمان مُقابل خروجهم ، فوافق على ذلك و دخل المدينة في محرم سنة 555هـ/ يناير 1160م[10].

---

[1]–بترت : مدينة بإفريقية بين تونس و سطقورة ، و هي تعتبر حصن منيع و رباط للمجاهدين ضد الروم ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ،ص 500.

[2]– طبرقة : مدينة بين درنة و باجة من إفريقية بينها وبين بترت 70 ميلا ، ويمر بالقرب منها نهر تدخله السفن ، كما يوجد بها مرسى ترسو به السفن التي تتاجر المرجان الذي يستخلص من باطن بحرها ، ويروى أن السفن التي كانت تغزو بلاد الروم إنما صنعت في مرسى هذه المدينة ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 386.

[3]– سوسة : مدينة بالمغرب الأدنى و هي مدينة قديمة على ساحل البحر بها بنيان جميل و منها خرج أسد بن الفرات غازيا لصقلية ، كما تشتهر بالثياب الرقيقة المطلوبة من كل بلاد المغرب ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 331.

[4]– جبل نفوسة : هو جبل من بلاد المغرب الأدنى بالقرب من طرابلس شرقا و القيروان غربا ؛ وقد سمي هكذا نسبة إلى قبيلة نفوسة التي تسكنه و تعتصم به خاصة في فتنة الخوارج التي ضربت بلاد المغرب في مطلع القرن 2هـ/9م ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 578.

[5]– هي بلاد واسعة من إفريقية و تمتد حتى إلى أجزاء من المغرب الأوسط و بها عدة مدن و واحات ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 82-457.

[6]– جبل زغوان : هو جبل من بلاد إفريقية بين غدامس و جبل نفوسة في سفحه توجد بعض الفحاص الخصبة ا؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 436.

[7]– شقبنارية : مدينة من أعمال إفريقية بالمقربة من مدينة الأربص و يقال أنها كانت من أعظم مدن إفريقية و كانت بها كنيسة للنصارى ، كما اشتهرت المدينة بكثرة أموالها و كنوزها ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 348-350.

[8]– قابس : مدينة من إفريقية قريبة من القيروان و تعد من بلاد الجريد و لها حصن حصين و أرباض واسعة و فيها الحمامات و الفنادق؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 450-451.

[9]–أمبروسيو هويثي ميراندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تر: عبد الواحد أكمير ، ط1، منشورات الزمن ، 2004 ، ص174

[10]– نفس المرجع و الصفحة .

بقي عبد المؤمن في المهدية زهاء عشرين يومًا، فرتّب أحوالها و نقل إليها الأموال و الأقوات و الجُند و عيّن عليها "أبا محمد عبد الله الكومي" و جعل إلى جانبه "الحسن بن علي الصنهاجي الزيري" ثم قفل راجعًا إلى مراكش[1] ،

بعد أن تمكّن من توحيد جميع بلاد المغرب من برقة إلى المحيط و من الصحراء إلى البحر الّتي لم تتوحّد هكذا منذ بداية الفتح الإسلامي و عصر الولاة.

[1]– أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص 180.

ثالثا: الموحدون في الأندلس :

1- جواز الموحدين إلى الأندلس :

بعدما تمكن "عبد المؤمن بن علي" من بسط سلطانه على بلاد المغرب الأقصى و أجزاء من المغرب الأوسط و دانت له جل القبائل البربرية بالطاعة الولاء ، صرف نظره إلى الجزء المهم من تركة المرابطين ألا وهي بلاد الأندلس ، ولعل ذلك يرجع أساسا إلى عدة عوامل يمكن إجمال بعضها فيما يلي :

1-1. استنجاد الثوار الأندلسيين بالموحدين:

كنا قد أشرنا فيها سبق أن الأندلس قد انتشر فيها الناقمون على النظام المرابطي أعلنوا عدّة ثورات في مختلف المناطق ، وقد أعلن بعض قادة هذه الثورات الولاء والطاعة للموحدين خاصّة بعد سقوط دولة المرابطين في المغرب ، و قد استنجد بعضهم بالقوات الموحديّة لمساعدتهم في ثوراتهم، وهناك من عبر إلى حدود المغربيّة و قابل "عبد المؤمن "الخليفة الموحدي آنذاك شخصيّا لإعلان الولاء أو طلب المساعدة[1].

ومن بين أهم قادة الثورات في الأندلس الذين أعلنوا ولاءهم للموحدين، نذكر:" علي بن عيسى بن ميمون" قائد الأسطول في مدينة قادس، الذي بعد رجوعه إلى الأندلس خطب بجامع قادس للخليفة "عبد المؤمن" سنة 540هـ/1145م، فكانت أوّل خطبة للموحدين في الأندلس[2]، كذلك فعل "أبو الغمر بن عزون" الثائر في شريش، و "أخيل بن إدريس الرندي" الثائر في رندة[3].

ومن الذين طلبوا العون العسكري من الموحدين، القاضي "ابن حمدين" زعيم الثورة في قرطبة، الّذي قابل "عبد المؤمن" وهو على حصار مراكش سنة 541هـ/1146م فبلغه بيعة أهل قرطبة و طلب منه إعانته[4] وقد حث "أحمد بن قسي" الثائر في غربي الأندلس "عبد المؤمن" على العبور إلى الأندلس لإخضاع المرابطين وحتّى بقية الثوار[5].

---

[1]- Tahar Oussedik , La Berbérie , tome 2 , E M A G édition , Alger , 2005 , p105-106.

[2]- ابن خلدون، العبر، مج6، ص233.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ع3، ق1، ص322.

[4]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص254؛ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ع3، ق1، نفس الصفحة.

[5]- محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ع3، ق1، ص ص 310-311.

2-1. بحث الموحدين عن وحدة إسلاميّة تحت رايتهم:

بما أنّ الأندلس كانت امتدادا لدولة المرابطين فقد أصبحت بعد سقوط هذه الأخيرة في بلاد المغرب كما ذكرنا الامتداد الطبيعي لتوسع دولة الموحدية شمالا، بالإضافة إلى أنّ الموحدين كفروا كلّ من لم يعتنق أو يتّبع مذهبهم و ينضوي تحت لواءهم[1]، و بما أنّ الموحدين كانوا يرون أنّ المرابطين ظلوا فقد وجب جهادهم ثم حماية الأندلس أو ما تبقى منها من السقوط بأيدي الممالك المسيحية المتربّصة في الشمال.

كما أنّ عبورهم إلى الأندلس و منحهم فرصة جهاد النصارى سيقضي على احتمال عبور الجيوش المرابطية المتبقيّة في الأندلس إلى العدوة المغربيّة، لذلك كان الموحدون يبعثون سراياهم إلى الأندلس تباعا حتى قبل دخولهم مراكش[2].

2- مراحل إخضاع الأندلس:

سنحاول أن نعرض كيفية إخضاع الموحدين لبلاد الأندلس جهة بجهة قبل بداية مواجهة ثوار شرق الأندلس أمثال "ابن مردنيش" و" بني غانية".

2- 1. إخضاع جنوب الأندلس:

في أوائل سنة 541هـ/1146م عبر الموحدون إلى جنوب الأندلس في ثلاث جيوش، يتكوّن الأوّل من عشرة ألاف فارس وعشرين ألف راجل بقيادة "براز بن محمد المسوّفي"، والثاني بقيادة "موسى بن سعيد"، أمّا الثالث فكان قائده "عمر بن صالح الصنهاجي"، وقد أمر "عبد المؤمن" هذه الجيوش بالعبور إلى الأندلس و قتال كلّ من يرفض إعلان الولاء و الطّاعة للموحدين[3].

استولت هذه الجيوش على مدينة طريف[4] والجزيرة الخضراء[5] و شريش مدينة "أبو الغمر بن عزون" حليف الموحدين الذي أقروه على حكمها بعد إعلانه الولاء والطّاعة، فانظم إليهم

---

[1]- ابن القطان، نظم الجمان، ص ص 47-48؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص83.

[2]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، 1958، ص137

[3]- ابن خلدون، العبر، مج6 ، ص234؛ الناصري، نفس المصدر، ج2، ص104.

[4]- طريف: جزيرة تقع على البحر الشامي"البحر الأبيض المتوسط" في أول المجاز المسمي بالزقاق"مضيق جبل طارق"في أول مضيق جبل طارق ويتصل غربها ببحر الظلمة ويشقها نهر صغير وسميت باسم "طريف" مولى "موسى بن نصير" أيام الفتح، الحميري، المصدر السابق، ص392.

[5]- الجزيرة الخضراء: تقع غربي جبل طارق، وشرقي جزيرة طريف، الحميري، المصدر السابق، ص390.

بفرسانه، لذلك حفظ الموحدون هذا الصنيع لأهل شريش فأمنوهم على أملاكهم وأطلقوا عليهم اسم السابقون الأوّلون[1].

2 – 2. إخضاع غربي الأندلس:

عند بلوغ الجيوش الموحديّة مدينة لبلة أعلن حاكمها "يوسف بن أحمد البطروجي"[2] الولاء والطاعة للموحدين، ثمّ دخلوا حصن طلبيرة[3] وسيطروا على بطليوس[4] وميرتلة[5] وشلب[6]، وشلب[6]، أمّا مدينة باجة فقد أعلن صاحبها "سيد راي بن وزير"[7] الولاء و الطّاعة ؛ بعد ذلك ذلك و بمساعدة بعض الثوار على المرابطين أمثال "البطروجي" و "ابن وزير" حاصرت القوات الموحديّة مدينة اشبيلية أمنع وأكبر مدن غربي الأندلس ، وتم اقتحامها في شعبان 541هـ يناير 1147 عنوة[8]، وتجدر الإشارة هنا أنّ القاضي" أبا بكر بن العربي المعافري"[9] قاد وفدا إلى

---

[1]– ابن أبي الزرع، روض القرطاس، ص ص 122–123؛ الناصري، المصدر السابق، ج2، ص104؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص ص221–222

[2]–يوسف بن أحمد البطروجي : ثائر من ثوار الأندلس بعد انهيار سلطان المرابطين و يلاحظ أن أبوه كان ممن يشتغل بالعلم الشرعي خاصة فن القراءات لذا ابنه أخذ حظه من العلم و لما انهار المرابطون في الأندلس أخذ نصيبه ن الثورة و استولى على مدينة لبلة ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج2 ، ص325.

[3]– طلبيرة : مدينة بالأندلس على ضفاف نهر تاجة و في سفوح الجبال تنتشر حولها مطاحن الحبوب على الماء و هي أقصى ثغور المسلمين و منها يدخل إلى بلاد النصارى ؛ الحميري ، المصدر السابق، ص395.

[4]– ميرتلة : مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة قريبة من الشاطئ البحر و هو مرسى هاشم ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص569.

[5]– بطليوس : مدينة شمال أشبيلية شرقي يابرة، على ضفة نهرها أكبر المسمى "الفور" و الّذي ينتهي إلى حصن مرتلة؛ الحميري ، المصدر السابق، ص 46.

[6]– شلب : مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة هلا سهول فسيحة خصبة تخترقها الأنهار و الوديان الدائمة الجريان لذا هي مدينة كثيرة الخيرات الخيرات ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 342.

[7]– سيدراي بن وزير : كان أميرا بغرب الأندلس بعد انهيار سلطان المرابطين كما تغلب على "ابن قسي" لكنه دخل في الدعوة الموحدية وشارك بنفسه و رجاله في حصار إشبيلية و قتال المرابطين ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج2، ص ص 309–310.

[8]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص115؛ الناصري، الإستقصا ، ج2، ص105.

[9]– أبوبكر بن العربي : هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري" ولد سنة 468هـ/ 1175م رحل إلى بلاد المشرق فلقي صفوة العلماء آنذاك مثل "أبي حامد الغزالي و أبي بكر الطرطوشي و"أبي سعيد بن الفرات الدمشقي " فتعلم العلوم و الفنون و الآداب و رجع إلى بلاد الأندلس فاشتغل بالقضاء ثم عزل و كان متفهما ذو قلم فياض صنف التصانيف الكثيرة و تخرج على يديه الكثير من الطلبة لعل أهمهم" القاضي عياض السبتي " توفي في طريقه إلى فاس بعد خروجه من مراكش سنة543هـ/1248م؛ القاضي عياض ، الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض" ، تح : ماهر زهير جرار ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982، ص ص 27–30.

المغرب وقابل الخليفة الموحدي "عبد المؤمن" وقدم له بيعة أهل اشبيليّة، فقبلها منه وأكرمه و من معه[1].

رغم ذلك بعد فترة وجيزة ثار أهل اشبيليّة على الموحدين بسبب سوء معاملة قائدي الحامية الموحديّة "عيسى" و"عبد العزيز" أخوي "ابن تومرت" حيث هاجما والي لبلة "يوسف بن أحمد البطروجي" الّذي اتصل بالمرابطين لدعمه على قتال الموحدين ، هزّت هذه الحادثة ثقة الأندلسيين في الموحدين و أدت إلى خروج بعضهم على الطاعة[2] و لعل سبب هذا الخروج عن طاعة الموحدين أن له علاقة مباشرة بالأوضاع في المغرب فقد كانت الثورات تشتد على عبد المؤمن حتى كادت أن تعصف بسلطانه [3].

فقد استبد "أحمد بن قسي" بشلب و"علي بن عيسى بن ميمون" بجزيرة قادس و"محمد بن علي الحجام" ببطليوس، و لم يبقى سوى" أبو الغمر بن عزون" صاحب شريش، الّذي كان له دور كبير في إعادة سيادة الموحدين على المناطق الثائرة، وذلك حين قام بتسهيل مرور الجيش الّذي بعثه "عبد المؤمن" إلى الأندلس بعد استرداد الجزيرة الخضراء من المرابطين[4]؛ هذا الجيش الّذي كان بقيادة "يوسف بن سليمان" استطاع القضاء على الثوار و إعادة المناطق الّتي ثاروا بها إلى طاعة الموحدين بما في ذلك اشبيليّة[5].

2 – 3. إخضاع وسط الأندلس:

تعتبر مدن وسط الأندلس الأكثر امتناعا خاصّة بوجود "يحي بن غانية" في قرطبة ، لكن نقض ملك قشتالة اتفاقه مع "ابن غانية" حين استولى على مدينة جيان[6]، جعلت "ابن غانية" يعقد اتفاقا مع الموحدين و يسلمهم مدينتي قرطبة وقرمونة مقابل منحه أمان[7].

---

[1]–أبو عبد الله بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، نح : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص6 ، ابن أبي دينار، المرجع السابق ، ص110؛ Walter M. Galliban , The Story of Sevilla , Paints , aldine House , london , 1909 , p28

[2]– أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص 145.

[3]– نفس المرجع و الصفحة .

[4]– ابن خلدون، العبر، مج6، ص234.

[5]– عبد الله علام، المرجع السابق، ص184.

[6]– جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلى وسائر الحبوب ،الحميري ، الروض المعطار، ص183

[7]– الناصري، الإستقصا ، ج2، ص105.

بعد مرور سنوات تمكن الموحدون من تثبيت حكمهم على ما تحت أيديهم في الأندلس خلالها قرّروا استكمال إخضاع بقية أنحاء الأندلس، ففي سنة 547هـ/1252م فدخلوا مالقة و غرناطة مع مدينة أنقيره[1] و لم يبق من بلاد وسط الأندلس سوى مدينة ألمرية الّتي كانت بأيدي النصارى منذ سنة 542ه/1147[2]، ولذلك قام ولد الخليفة "عبد المؤمن" السيد "أبو سعيد" والي غرناطة مدعما بقوة أندلسية بقيادة "أحمد بن ملحان" وقوّة بحريّة من سبتة بقيادة "عبد الله بن سليمان" بمهاجمة ألمرية من اجل استردادها [3].

وبعد حصار دام سبعة أشهر في ألمرية ، دخل الموحدون المدينة سنة 552هـ/1157م رغم الدّعم الّذي قدمه ملك قشتالة "ألفونسو ريموندس" حين أرسل اثني عشر ألف فارس ومعه حليفه "محمد بن سعد بن مردنيش"، هذا الأخير الّذي ظل يستبد بشرقي الأندلس و أصبح الهدف التالي لقوات الموحدين[4].

[1]- نفس المصدر، ج2 ، نفس الصفحة.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 210-211.

[3]- صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2008، ص47

[4]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص415؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ع3، ق1، ص 346-347.

أوّلاً: العلاقات السياسية للدّولة المُوحديّة بإمارة ابن مردنيش:

1- قيام إمارة ابن مردنيش و بداية الصراع :

هو "محمد بن سعد بن أحمد بن محمد بن مردنيش الجذامي"، و ذلك باتفاق عدد كبير من المؤرخين و النسابة المتقدمين[1]، كان مولده عام 518 هـ/1124م في قلعة بنشكلة وهي إحدى قلاع طرطوشة المنيعة[2]، الرواية العربيّة تجعل ابن مردنيش من أصل عربي ذلك أنّه ينتمي إلى جذام[3]، غير أنّ بعض الباحثين يجعله من أصل إسباني ذلك أنّ اسم **"مردنيش"** ليس اسم عربيّا ممّا يقطع بأنّ نسبته الجذاميّة ليست صحيحة، و الواقع أنّ أصله من شبه الجزيرة الأيبيرية، و قد يكون جدّه "مردنيش" دخل في ولاء بعض الجذاميين و انتسب إليهم[4].

كان والده "سعد" واليا على إفراغه أيام المرابطين و قد أظهر كفاءة عاليّة و شجاعة فائقة، لما حاصر "ألفونسو" هذه المدينة في أواخر عام 527 هـ/جوان 1133م، فأحسن هذا القائد الدّفاع عن المدينة و اضّطر "ألفونسو" أن يرفع الحصار غير مرّة، إلى أن وفدت الإمداد المرابطة و معها الأمير "يحي بن غانية" فهاجم هذا الأخير جيش النصارى من الأمام ثمّ خرج سعد بن مردنيش من المدينة و هاجم جيش النصارى من الخلف فكثر فيهم القتل حتّى أنّه لم ينج إلاّ **"ألفونسو"** و بعض الفرسان من أصل 12 ألف مقاتل جلهم من الأشراف والنبلاء ورجال الدين[5].

---

[1]- القلقشندي أحمد بن علي، الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح : إبراهيم الأبياري، ط2،،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 16 ؛ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،ط 1، ج20، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص 41 ؛ محمد بن عبد الملك المراكشي، كتاب الذيـــل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، القسم الأوّلـــ ، السفر الثامن، تح: محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ص 192 ؛ شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ص ص 131-135 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ص 154-155، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، ج2، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1901، ص 85 ؛ نفس المؤلّف، أعمال الإعلام ، 2006، ص 259.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 108، طرطوشة مدينة يشرق الأندلس بينها و بين بلنسبة مسيرة أربعة أيام لها صور حصين و قصيتها من أمنع القصيات بالأندلس ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 233.

[3] – جذام: من القبائل العربية اليمنية بنسبون إلى جذام بن علي بن الحارث بن مرة بن أحمد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان؛ القلقشندي، الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ج1، ص15.

[4] – كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي و حضارته، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر، 2007، ص 285 ؛ هشام أبو رملية، نفس المرجع، ص 108.

[5] – محمّد عبد الله عنان، السابق المرجع، ع3، ق1، ص 122.

ولما أظهر "سعد بن مردنيش" هذه الشجاعة و البسالة قدمه المرابطون في جيوشهم وأحسنوا إليه و قدم معه ابنه "محمد" الّذي تدرب على القيادة و الرئاسة مع أبيه منذ ذلك الوقت[1].

وعندما قامت الثورات على المرابطين في أواخر أيامهم اتصل "محمد بن سعد بن مردنيش" بخدمة "ابن عياض" الذي أصابه سهم في بعض حروبه مع القشتاليين[2] فجمع الناس و أوصاهم بتقديم "محمد بن سعد بن مردنيش" لتولي أمرهم و أبى أن يوصي بها لابنه لأنّه كان يشرب الخمر و يغفل عن الصلاة[3]، و قيل أنّ أهل بلنسية بايعوا "ابن مردنيش" و نصبوه أميرا عليهم دون عهد سابق[4].

لما تولى ابن مردنيش إمارة شرقي الأندلس حرص كلّ الحرص على ربط علاقات وإبرام عدة معاهدات و اتفاقيات مع الممالك المسيحية و الإمارات المجاورة له منها ممكلة قشتالة و ليون و برشلونة و إمارة ابن همشك[5] و غيرها [6] ، و لقد كان للمعاهدات و الاتفاقيات التي التي أبرمها ابن مردنيش مع تلك الممالك النصرانية وكذلك سياسته الضريبية صدى عميق لدى كافة المسلمين في أنحاء إمارته فقد كانت هذه الأمور توحي بثورة الرعية عليه خاصة لما وصل الاستنكار إلى القضاة والأعيان، حيث بعد عام من إمضاء "ابن مردنيش" لمعاهدته مع ملك قشتالة قامت عليه ثورتان فالأولى في مدينة بلنسية قاعدة حكمه حيث تزعم هذه الثورة رجل من أهل بلنسية اسمه "عبد الملك بن شلبان" و لقبوه بالأمير[7] ، أمّا الثانية فقامت في لورقة

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 260.

[2] – ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج2، ص 232 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ع3،ق1، ص 364.

[3] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 115.

[4] – محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3،ق1، ص 364.

[5] – إبراهيم بن همشك هو صهر ابن مردنيش و ساعده الأيمن في ثورته هو نصراني الأصل ذلك أنّ جده "هَمُشْكْ" نصراني نزح إلى سرقسطة وأسلم على يد أحد ملوك بني هود في أواخر أيامهم، وكان مقطوع إحدى الأذنين، فكان النصارى إذا رأوه في القتال عرفوه و قالوا "هَامُشك" و معنى هذه العبارة "ترى مقطوع الأذن" إذ: ما في لغتهم قريب من "أما" في اللّغة العربيّة، و "مشك": معناها مقطوع الأذن "في لغتهم و باللّغة الإسبانية يقال "hemochico"، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 159 ؛ نفس المؤلف، أعمال الإعلام، ص 263 ؛ عبد الله علام، المرجع السابق، ص 193 ؛ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3،ق1، ص 368.

[6] – ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، تح : ألفرد بل و ابن أبي شنب ،ط2 ، ج2، الجزائر 1919 ،ص 220 ؛ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3،ق1، ص 335 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 110.

[7] – محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ع 3 ، ق1 ، ص 336.

و كادت هاتان الثورتان بأن تعصف بسلطان "ابن مردنيش" في كامل شرق الأندلس إلاّ أنّه تدخل سريعا و نكل بالثوار أشد التنكيل[1].

والدارس لهاتين الثورتين يجد نقص كبير في المادة ذلك أنّ جلّ المؤرخين لم يشيروا إليها إلا ابن الأبار في كتابه "التكملة"، أو في كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندى[2] و هي عبارة عن رسالة موجّهة من عبد المؤمن إلى ابن مردنيش و هي رسالة مهمّة تظهر أن الثورتين كانتا على مذهب الموحدين.

إن رد الفعل العنيف لـــ "ابن مردنيش" على الثورتين أثار غضب الموحدين حيث أرسل الخليفة الموحدي "عبد المؤمن بن علي" من مراكش رسالة مؤرخة في 16 جمادى الثانية 548هـ/1154م كتبها الوزير أبو جعفر بن عطية[3].

أما الرسالة فقد ابتدأت بالقول التالي: "من أمير المؤمنين أيده الله بنصره و أمدّه بمعونته إلى الشيخ أبي عبد الله محمّد بن سعد وفقه الله و يسره لما يرضاه، سلام عليكم و رحمة الله وبركاته"[4] ثم بعد ذلك حمد الله و صلّى على نبيّه – صلّى الله عليه و سلّم- ثم تطرق بالدعاء للمهدي و بين أمره وعظم شأن التوحيد.

كما أنّ عبد المؤمن دعا "ابن مردنيش" دعوة صريحة لإتباع منهج التوحيد[5]، وبالاتعاظ والاعتبار بالزعماء الأندلسيين المعاصرين له و الّذين حذوا حذوه في الثورة. و بالتالي فهذا تهديد غير مباشر لابن مردنيش ، لتنتهي الرّسالة بدعوة أخرى لموالاة طائفة الموحدين و أنّ ذلك من أسباب النجاة التي يجب عليه الأخذ بها[6].

و تعد هذه الرّسالة أوّل اتصال مباشر بين الموحدين و "ابن مردنيش" فقد خلقت جوّا من انعدام الثّقة بين الطرفين خاصّة من جهة "ابن مردنيش" الّذي وجد نفسه محاطا بالموحدين من

---

[1] – القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ج6، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 444.

[2] – نفس المصدر ، ج6 ، ص 445.

[3] – أبو جعفر بن عطية: ولد بمراكش سنة 517 هـ، كتب للسلطانين علي بن يوسف و ابنه تاشفين و بعد سقوط دولة المرابطين استكتبه عبد المؤمن ثم استوزره، و قد كان في كتابته سهل المأخذ، بليغ الفكر، فصيح اللّسان و قد أدرك مكانة مرموقة لدى عبد المؤمن، ثم جرت له محنة مع الخليفة فقتله مع أخيه أبوعقيل ابن عطية، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 156، هامش 4.

[4] – القلقشندي، نفس المصدر ، ج6، ص 444.

[5] – نفس المصدر ، ج6، ص 444.

[6] – نفس المصدر ، ج6، ص 445 .

كافة الجهات فقد كانوا في جيان و قرطبة و اشبيلية و غرناطة، فلم يبق له إلاّ اتصال بري مع ممالك النّصارى من الشمال أو واجهة بحرية ضيقة نوعا ما.

ومن أجل المحافظة على سلطانه رأى "ابن مردنيش" أن يحالف النصارى ضد الموحدين حيث يظهر ذلك جليا لما حاصر الموحدون ألمرية التي كانت بيد النصارى سار "ابن مردنيش" مع "ألفونسو" ملك قشتالة لنجدة الحامية النصرانية، لكن الموحدون هزموه ذلك في عام 552هـ/1157[1].

وهكذا يكون" ابن مردنيش" هو من أعلن العداوة للموحدين و ابتدأهم بالحرب لتنطلق المواجهة الفعلية بين الطرفين منذ غزوه لقرطبة و أيقن ألاّ مناص له من مواجهة الموحدين، فسار بقواته من مرسية عام 554هـ/1160 و بصحبته قوات نصرانية بغية الاستيلاء على مدينة جيان منتهزا انشغال "عبد المؤمن" بفتح إفريقيّة، و كان "محمد بن علي الكومي" واليا على المدنية فسلمها لـــ"ابن مردنيش" وانضوى تحت طاعته ناكثا بيعته لعبد المؤمن[2].

بعد ذلك سار "ابن مردنيش" للاستيلاء على مدينة قرطبة فوصلها و نازلها و دمر زرعها وعفا ربعها لكنّه لم يتمكّن من الاستيلاء عليها فقد أحسن واليها آنذاك "أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت"[3] تحصينها و برع في مقاومة ابن مردنيش"[4].

ضاق والي قرطبة ذرعا بالحصار المفروض عليه فتشاور مع القاضي "أخيل بن إدريس" حول الكيفية التي يمكن إجلاء "ابن مردنيش" عن قرطبة ، فكتبا كتابا على لسان "سيدراي بن وزير" يحث فيه "ابن مردنيش" بالتوجه إلى اشبيلية و الاستيلاء عليها و هو يقول له أنّ أشبيلية دون جيش يكفي لحمايتها و حراستها و أنّه يضمن له دخولها.[5]

فصدق هذا الأخير ما ورد في الكتاب و سار نحو اشبيلية مقلعا عن قرطبة، فنزل بقواته في موضع يسمى ألبونت [6] بعد ذلك بعث "ابن مردنيش" فرقة من جيشه لاقتحام المدينة من باب

---

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 237.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص 65-66 ؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 63.

[3] – أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت: و يكتب كذلك بخيت و بكيث و تخيت، عينه عبد المؤمن واليا على قرطبة عام 550هـــ/1155م و تيجيت بالبربرية معناها الشجرة الصغيرة ؛ عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مج6، ص 492.

[4] – ابن عذراي المراكشي ، نفس المصدر، ص 65 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 112.

[5] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ، ص66 ؛ سعدون نصر الله ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت 1998 ، ص325

[6] – البونت: و نكتب كذلك الفونت على ميل شرقي اشبيلية ، أميروسير هويثي ميراندا ميرا ندا ، المرجع السابق ص 184.

قرمونة لكن دون جدوى ، و واصل إرهاقه لاشبيلية طوال ثلاث أيام و لّما لم ير شيئا ممّا ورد في الكتاب علم أنّها خدعة ففك الحصار و أقفل راجعا إلى مقر إمارته [1].

2- توسع جبهات الصراع:

بحلول سنة 555هـ/1160 تتوسع جبهات الصراع والاقتتال بين قوات ابن مردنيش المدعومة من الممالك النصرانية في الأندلس و الموحدين لتشمل المدن الكبرى كقرطبة و اشبيلية وغرناطة حيث أرسل "ابن مردنيش" جيشا بقيادة صهره "ابن همشك" للاستيلاء على قرطبة، فنازلها و دمّر زرعها و خرّب أحوازها فخرج والي قرطبة آنذاك "عبد الرّحمان بن تيجيت" لكن كمائن "ابن همشك" ألحقت به الهزيمة وسقط قتيلا أما باقي قوّات الموحدين فقد ارتدت إلى المدينة و تحصنت بها[2].

بعد ذلك سار "ابن همشك" بقواته إلى مدينة قرمونة ليحتلها لكنه فشل ثم سار للاستيلاء على مدينة اشبيلية فظل يواصل غزوها لكن دون جدوى وقد ألحق بها أفدح الخسائر و عاث في أحوازها تخريبا و إفسادا[3].

و على إثر هذه الأحداث أرسل "عبد المؤمن" من محلته بقسنطينة برسالة مؤرخة في شهر ربيع الأوّل 555هـ/1160 يبشر فيها أبناءه و ولاته في الأندلس بانتصاره على أعراب بني رياح وأعوانهم في موقعة قرب قسنطينة و اعترافهم بطاعته، كما عبّر "عبد المؤمن" عن نيته في الجواز إلى الأندلس بغية الجهاد و القضاء على زعماء الفتنة كـ"ابن مردنيش" و أشباهه[4].

وبعد الرّسالة الأولى أردف "عبد المؤمن" برسالة ثانية مؤرخ بـ 9 ربيع الأوّل 555هـ/مارس 1160 تتضمن قرارا بإنشاء مدينة كبرى في جبل الفتح[5] و أمر بأن يتولى

---

[1] – ابن صاحب الصلاة المصدر السابق ،ص ص 63ـ70 ؛ ابن عذراي المراكشي ، المصدر السابق ، ص64 ، هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص110

[2] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر ، ص 75، ابن عذراي المراكشي، نفس المصدر ، ص 60، francisco codera , decadencia y desparicion de los Almoravides en España , Zaragoza , España , 1889, p127.

[3]– لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 261.

[4] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر، ص 79 ؛ ابن عذراي المراكشي، نفس المصدر، ص 62 ؛ هشام أبو رميلة، نفس المرجع، ص 115. 115.

[5] – جبل الفتح: هو جبل بعد مضيق جبل طارق و هو الّذي نزل فيه طارق بن زياد من أجل فتح الأندلس و لذلك سمي بجبل الفتح، الحميري، نفس المصدر ، ص 381.

المشروع ابنه "أبو يعقوب يوسف" والي اشبيلية و بمساعدة أخيه "أبو سعيد عثمان" والي غرناطة[1].

وكان هدف الخليفة من بناء هذه المدينة هو جعلها قاعدة خلفية لتموين الجيوش الموحدية المحاربة في الأندلس خاصة ضد ابن مردنيش و الممالك المسيحية و كذلك لردع الفتن و الثورات الداخلية و كانت مهمتها الأساسية أن يستقر بها القادة الموحدون الآتون من المغرب لإدارة الحرب في الأندلس وكذلك إمداد الجيوش الموحدية بالمؤن[2] .

و قبل أن يرجع "عبد المؤمن" إلى المغرب عين ولده "أبا يعقوب يوسف" واليا على اشبيلية و ابنه "أبا سعيد عثمان" واليا على غرناطة، و أوصاهم بمواصلة حرب "ابن مردنيش" و ترك جيشا من الموحدين تحت قيادة "ابن الشرقي"[3] و أرسل جيشا بقيادة "أبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي" فأقلع هذا الجيش وعسكر في قلعة جابر[4] و كانت هناك فرقة من الأندلسيين تساند الموحدين بقيادة "أبو العلاء بن عزون"[5].

أمّا "ابن همشك" فقد غادر قرمونة بعد أن نظم شؤونها و اتجه نحو جيان تاركا عليها واليا يدعى" ابن أبي جعفر" ، وفي هذه الأثناء وصلت الإمدادات الموحديّة بقيادة "أبو يعقوب يوسف بن سليمان"[6]، وكانت تحمل الكثير من الأغذية و الآلات الحربيّة و هذا ما ساعد الموحدين في حربهم إلاّ أنّهم رجعوا إلى اشبيليّة بسبب أن واليها استدعي من قبل الخليفة و كذلك تمّ تنصيب قائد الجيش "بن أبي حفص" واليا على اشبيلية[7].

و بعد أيام من توليته سار "ابن أبي حفص" و معه "ابن عزون" زعيم الجند الأندلسي نحو قرمونة ومنها نحو قلعة جابر فعسكر فيها و بعث بسراياه لغزو قرمونة ثمّ اتجه نحو حصارها فنزل

---

[1] – أحمد عزاوي، رسائل موحديه : مجموعة جديدة، ط1، ج1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب 1995، ص 79.

[2] – Charles Romey ,Histoire d'Espagne,tome 6, university du michigan ,USA1858,p80-

[3] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ع3، ق1، ص 386.

[4] – قلعة جابر: الظاهر أنّها بالغرب من قرمونة في طريق اشبيلية و لم تذكرها المصادر الجغرافية و حتى التاريخية ما عدا كتاب المن بالإمامة ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 86، هامش 5.

[5] – نفس المصدر ، ص 351.

[6] – أبو يعقوب يوسف بن سليمان: من الأوائل الذين آمنوا بدعوة المهدي بن تومرت ولذلك جعله من جماعة الخمسين الذين هم خاصة المهدي، كما تولى عدة قيادات في الجيوش الموحدية و لهذا اختر به عبد المؤمن و قرّبه منه و جعله من أهم رجاله ، نفس المصدر ، ص 120، هامش 2

[7] – أمبروسيو هويتي ، المرجع السابق ، ص 386.

في فحص ابن سلام و أحكم الحصار عليها[1] ولما ضاق أهل المدينة بالحصار أرسلوا رجلا منهم لمفاوضة الموحدين من أجل رفع الحصار واتفقوا أن يفتح هذا الأخير أبواب المدينة فتدخلها الجيوش الموحدية مقابل تأمين أهلها[2].

بعد ذلك قام الوالي "أبو محمد عبد الله بن أبي حفص" وهو قائد الجيش بتطهير قرمونة وغسل جامعها ذلك أنّ الموحدين يعتبرون كلّ أعدائهم كفار، ويصف لنا ابن صاحب الصلاة هذا الأمر فيقول: "...ولقد مشيت إليه فيها وهنيته على الفتح وهو في الجامع يغسله وهو جالس مستند إلى الحائط الشرقي من جامع قرمونة و الرّجال يغسلون الجامع بمرأى منه، و أقام فيها حتى أمنها وانصرف إلى اشبيلية"[3].

لقد كان لتعزيز الموحدين لجبهتهم في اشبيلية و قرطبة، أن شعر "ابن همشك" بضرورة مباغتتهم في جهة أخرى و فتح جبهة قتالية جديدة تكون على مقربة من مقر حكمه في جيان وكذلك لعاصمة الشرق مرسية و هكذا استقر رأيه على مهاجمة غرناطة فاتفق سرا مع اليهود الذين أسلموا ظاهرا وهم لا يزالون يبطنون العداء للإسلام و المسلمين و قائدهم "ابن دهري" من أجل فتح الأبواب له[4].

وهكذا دخل "ابن همشك" و أصحابه للمدينة و تنادى اليهود "ياللأصحاب" [5] عندئذ فرت الحامية الموحدية إلى القصبة و لحقتها جموع من أهل غرناطة الموالين للموحدين ، و لما عاين "ابن همشك" ذلك و وجد أنّ الحامية الموحدية في غاية القوة أرسل في طلب صهره "ابن مردنيش" الّذي قرّر السير نحو غرناطة و معه فرقة من النصارى ، واستقر "ابن همشك" بالقصبة الحمراء التي في جبل السبيكة الموازية لقصبة غرناطة ، حيث شرع منها في قتال الموحدين المحصورين و أقام كذلك المنجنيقات لرمي الحجارة على الحامية الموحديّة داخل القصبة كما أنّه عذب من وقع في يده من الموحدين حتى أنه أحرقهم بالنّار وقذفهم من المنجنيقات[6].

---

[1] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص 119 ؛ هشام أبو رميلة، السابق المرجع ، ص 115.

[2] – ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 121 ؛ ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب ، ص 73.

[3] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر و الصفحة.

[4] - ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب ، ص73.

[5] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص 123 ؛ ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب ، ص 74.

[6] – لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 262.

أمّا الحامية الموحدية داخل القصبة فقد قطعت القنطرة المتصلة بالقصبة الحمراء الّتي بها عسكر "ابن همشك" وبعثت برسالة نجدة إلى الخليفة عبد المؤمن وكذلك إلى الشيخ" أبي محمد عبد الله بن أبي حفص" والي اشبيلية وبعد أيام وصلت الإمدادات من "ابن مردنيش" لصهره "ابن همشك" و معها الفرقة النصرانيّة[1]..

بدوره استجاب "عبد المؤمن" للموحدين المحاصرين داخل قصبة غرناطة و أرسل ابنه "أبا سعيد عثمان "الّذي لما وصل إلى مالقة أرسل في طلب والي اشبيلية و هذا بدوره ما إن وصله الأمر حتى توجه لملاقاة "أبو سعيد" ومعه الجند الأندلسي، ثم سارا الاثنان نحو غرناطة لتخليصها و نزلا بفحصها حيث السواقي الجارية بالماء لسقي الحقول هناك و يسمى هذا الموضع مرج الرقاد[2] فخرج إليهم "ابن همشك" في جيشه و معه الجند النصارى المقدرون بألفي فارس يقودهم "ألفار رودريغز"، و الظاهر أنّ "ابن مردنيش" شارك في هذه الموقعة حيث يشير "ابن الخطيب" أنّ "ابن مردنيش" قد مثل بنفسه في الموقعة و كانت محلته قائمة فوق الربوة العالية المتّصلة بربض البيازين و هي الّتي عرفت فيما بعد بكدية ابن مردنيش[3].

واندلع القتال في الحال بين الطرفين و سرعان ما تفوق "ابن همشك" في المعركة و اختل نظام القوات الموحدية ، حيث كثر القتل في الموحدين و غرق منهم في السواقي خلق كثير وكان من بين القتلى الشيخ "أبو محمد عبد الله بن أبي حفص" و عدّة من أشياخ الموحدين وأكابر الأندلسيين، واستطاع "أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن" والي غرناطة أن ينج من هذه المقتلة في ثلة من أصحابه واتجه نحو مالقة[4].

لقد كانت معركة مرج الرقاد نكبة موحدية بالغة الخطورة كادت أن تعصف بالسلطان الموحدي في وسط الأندلس و جنوبه [5] ، أمّا "ابن همشك" فقد رجع نحو القصبة الحمراء أين كان معسكره قائما و معه جملة من الأسرى الموحدين و بالغ في تعذيبهم و التنكيل بهم، فأحرقهم بالنّار و قذفهم من الشواهق والأبراج و رماهم من المنجيقات و كان يخرج رباطات

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 262..

[2] – مرج الرقاد: يطلق على موقع يظاهر غرناطة بالغرب من قرية الطرف تحديد من سفح جبل إليبرة، و بالغرب من وادي شنيل و حاليا يسمى Majorrocol ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 129، هامش 1.

[3] – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 89.

[4] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص 125.

[5]– محمد علي الصلابي ، دولة الموحدين ، المرجع السابق ، ص144.

الأوتار من ظهورهم و كلّ ذلك بمرأى من إخوانهم المحاصرين في القصبة من أجل إضعاف عزيمتهم و إحباط معنوياتهم[1].

بلغ الخليفة "عبد المؤمن بن علي" هزيمة الموحدين في موقعة مرج الرقاد و هو لا يزال برباط الفتح [2] بسلا فأخذته لذلك غيرة عظيمة و بعث بجيش كبير يتألف من حوالي عشرين ألف جندي يضم جماعة كبيرة من أعراب بني سليم ، و أسند قيادة هذا الجيش إلى ابنه "يوسف" و جعل معه الشيخ "أبا يعقوب يوسف بن سليمان"، فسار هذا الجيش من رباط الفتح و عبر البحر ثم نزل بالجزيرة الخضراء ، و استأنف مسيره نحو مالقة فانضم إليه والي غرناطة "أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن" بقواته ليتم السير نحو غرناطة[3] وكان الشيخ "أبو يعقوب يوسف بن سليمان" قد أشار على القائدين "يوسف وعثمان" ابني الخليفة أن يسيروا بالجيش كلّ يوم مرحلة لطيفة حتّى يصلوا إلى غرناطة في راحة تامة ودون إرهاق الجند و الخيول[4].

من جهة أخرى علم "ابن مردنيش" بمسير الموحدين نحو غرناطة، فسار هو الآخر بقواته من مرسية تسانده فرقة من النصارى، فنزل فوق الجبل المتصل بقصبة غرناطة على الضفة الأخرى لنهر حدرة[5] حيث أصبح هذا النهر فاصلا بين معسكر "ابن مردنيش" وصهره "ابن همشك"، الذي لا يزال معسكرا في القصبة الحمراء فوق جبل السبيكة و معه القوات النصرانية بقيادة "ألفار رودريغز" ـــ "العلج الأقرع الذميم" كما يسميه ابن صاحب الصلاة ـــ في حوالي ثمانية آلاف فارس[6]، و لما كان يوم الجمعة 27 رجب 557هـ/12 جويلية 1162 قام "يوسف بن سليمان" في جنده و نظمهم و ألقي فيهم خطبة دينيّة حماسية فوعظهم و ذكرهم بأنّ الجنّة مثوى المجاهدين و حثهم على التفاني في سبيل الله[7].

---

[1]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 388 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 117.

[2]– رباط الفتح: يلقب كذلك بالمهدية يقع على شاطئ المحيط، و لما وصله عبد المؤمن سنة 545هـ/1150 بنى به قصبة حصينة على شاطئ البحر و أجرى إليه الماء ؛ ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 113 ، هامش 4

[3] – ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب ، ص 76 ؛ أمبروسيو هويثي ميراندا، المرجع السابق، ص 192.

[4] – محمد عبد الله عنان،نفس المرجع ، ع3،ق1، ص 389.

[5] – نهر حَدَرُّه: هو نهر يشق مدينة غرناطة، الحميري، الروض المعطار، ص 45.

[6] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 133 ؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ، ص 156.

[7] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ع3، ق1، ص 389 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 114.

و في مساء هذا اليوم ركب الموحدون خيولهم و ساروا فوق الجبل و في الأمام المشاة والطلائع الموحدية من المصامدة و تعززهم قوات من أعراب "بني سليم وبني رياح" وغيرهم و هم يسيرون على ضفة وادي شنيل المحاذي للسبيكة، و كانت ليلة مضيئة صافية الأديم و لما حلّ الفجر وصل الموحدون إلى محلة "ابن همشك" و حلفائه النصارى فانقضوا عليهم على حين غرة و أغلبهم لم يركبوا خيولهم و أمعن الموحدون فيهم القتل و أراد "ابن همشك" و قواته اللجوء إلى "ابن مردنيش" ونسوا أن الوادي يفصل بينهم فهوى فيه أغلب الجند[1] .

لقد أبلى الموحدون في هذه الموقعة بلاءا حسنا، و قتلوا من خصومهم جموعا غفيرة فكان ممن قتل القائد النصراني "ألفار رودريغز" الّذي حزت رأسه و علقت على أحد أبواب قرطبة و كذلك احد أصهار "ابن مردنيش" والذي يسمى "ابن عبيد"، و قد اغتم "ابن مردنيش" لهذه الهزيمة و هو على الضفة الأخرى يعاين مقتل أصحابه و هزيمة قواته[2].

و لما دخل الموحدون غرناطة نزل الذين كانوا محصورون بالقصبة و ذلك في يوم 28 رجب 557هـ/13 جويلية 1162[3] أمّا "ابن مردنيش" و "ابن همشك" فقد ارتدا عن المدينة حيث اتجه الأوّل نحو مرسية ، أمّا الثاني فاتجه نحو جيان في فلوله و تبعته بعض القوات الموحديّة لكنّه لم يستقر بها بل ترك عليها وزيره "أبو جعفر الو قشي"[4] الّذي امتنع بها فحاصره الموحدون الموحدون حينا لكن دون جدوى فدمروا زرعوها وأهلكوا قُراها ثمّ أقفلوا راجعين نحو غرناطة[5].

3- سقوط إمارة ابن مردنيش :

أراد "أبو حفص عمر بن عبد المؤمن" ضرب "ابن مردنيش" مجددا و هو لا يزال لم يتعاف من هزيمة السبيكة فأرسل جيشا من الموحدين من مدينة اشبيلية أوّل ذي القعدة 560 هـ/سبتمبر 1165، وساروا للإستيلاء على "اندوجر"و هي من معاقل "ابن مردنيش" و منها

---

[1] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 133.

[2] – نفس المصدر، ص 134 ؛ محمد عبد الله عنان،نفس المرجع ع3 ، ق1، ص 390.

[3] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر ، ص 134 ؛ هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 120.

[4] – أبو جعفر الو قشي: لم نعثر على ترجمة خاصة به و إنما يظهر أنه من أخلص رجال ابن همشك كي يجعله واليا على مدينة و لا تجد خبره إلا في كتاب المن بالإمامة ، ص 134.

[5] – نفس المصدر، ص 135.

تنطلق قواته لغزو قرطبة، فاقتحمها الموحدون و تمكنوا منها فبادر أهل الحصون القريبة منها إلى إعلان الطّاعة والولاء[1].

ثمّ ساروا بعد ذلك ناحية بسطة فنزلوا وادي الفشتالي و أخذوا يبعثون بسراياهم لإخضاع البلاد و الحصون التابعة لـــ"ابن مردنيش"، فعادت تلك السرايا ظافرة تسوق غنائم لا تحصى من قرباقة[2] و جبال شقورة ، و في هذه الأثناء حضرت من غرناطة فرقة من الرماة وانضمت إلى الموحدين الّذين استأنفوا زحفهم نحو مرسية و خلال ذلك اخضعوا حصن بلش[3].

وعند ظهر الجمعة 07ذي الحجة 560 هـ/15 أكتوبر 1165 نزل الموحدون بفحص الجلاب[4] في ظاهر مرسية، فوجدوا "ابن مردنيش" معسكرا بقواته أمامهم حيث نظم الموحدون قواتهم من أهل هرغة و تينملل و هنتاتة و جدميوة و العرب كذلك من بني هلال و رياح و جشم[5] و كان تعداد الجيش كلّه حوالي 12 ألف مقاتل، أمّا جيش "ابن مردنيش" فلم تذكر تذكر الرواية تعداده إلاّ أنّ عدد النصارى به فاق 13 ألفا[6].

نشبت المعركة بين الطرفين في فحص الجلاب حيث قسم "ابن مردنيش" قواته إلى ثلاث فرق حيث أرسل فرقتين لضرب الموحدين و فرقة لمهاجمة العرب، لكن الهزيمة حلّت به وتقهقر منسحبا إلى مرسية و قتل معظم أفراد جيشه، فلاحقه الموحدون و ضربوا عليه الحصار حتّى نهاية عيد الأضحى من سنة 560هـ/أكتوبر 1165م ، ثمّ عاد الموحدون أدراجهم ووضعوا حاميات في الحصون و المدن الّتي تمكّنوا منها[7].

وقد كان لهذا النّصر الموحدي صدى عميق في نفوس الموحدين و قادتهم حيث قام قائد هذه الحملة "أبو حفص عمر بن عبد المؤمن" بإرسال رسالة إلى الخليفة في مراكش ، والتي من

---

[1]– ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 196.

[2]– قرباقة: و تكتب أيضا قرباكة، و هي بالأندلس من إقليم صولة، تقع شرقي مرسية و يبتعد عنها حوالي 8 كلم ، الحميري، الروض المعطار، ص 461.

[3]– ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر، ص 197 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 16.

[4]– فحص الجلاب: يطلق على موقع يظاهر غرناطة من قرية الطرف و يقع في سفح جبل إلبيرة و بالغرب من نهر شنبل ،ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر ، ص 129، هامش1.

[5]– بنو جشم: هم كذلك فرع من القبائل العربية التي وفدت إلى بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن 5 هـــ؛ ابن خلدون ، العبر، مج4 ، ص188 و ما بعدها

[6]– ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر ، ص 198 ؛ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 17.

[7] – ابن صاحب الصلاة ، السابق المصدر، ص 199 ؛ أمبرو سيو هويثي ميراندا، المرجع السابق، ص 219.

إنشاء الكاتب "أبي الحسن بن عياش" بيّن فيها مسار المعركة و أحداثها و كيف استطاع الموحدون من هزم عدوهم – على حسب تعبير الرّسالة – و أرسلوا أعلام "ابن مردنيش" مع الرّسالة إلى الخليفة كناية عن تغلبهم عليه[1].

و لم تقف حرب الموحدين مع "ابن مردنيش" عند هذا الحدّ بل عاودوا الحرب عليه وغزوه مرّات أخرى ففي سنة 562هـ/1167 سار والي غرناطة "أبو عبد الله بن إبراهيم" و نازل حصن بلش[2] حتّى تمكن منه ثمّ انصرف عائدا نحو غرناطة و أعلم الخليفة بذلك ثمّ عاود أبو عبد الله المسير نحو بلاد ابن مردنيش و تمكن من السيطرة على بسطة و عاد إلى غرناطة، و كان ردّ "ابن مردنيش" على ذلك بأن أرسل بعض قواته من المرتزقة النصارى للاستيلاء على رندة[3]، فلمّا بلغ ذلك والي غرناطة أرسل جيشا لقتالهم إلاّ أنّ النصارى خشوا لقاء الموحدين فامتنعوا بأحد الجبال القريبة من وادي آش لكن الموحدين لاحقوهم و انتصروا عليهم في أعلى الجبل[4].

و على إثر هذه الهزيمة بدأ أصحاب "ابن مردنيش" ينفضون عنه حيث ساءت علاقته بصهره "يوسف بن هلال"[5] ممّا أدى إلى نشوب النّزاع و القتال بينهما[6] ، كما غضب على صهره و طلّق زوجته و هي ابنة "إبراهيم بن همشك" ممّا أدّى إلى نشوب القتال بينهما، لكن ابن همشك لم يستطع الصمود في وجه "ابن مردنيش" و ردّ غزواته المتواصلة فأعلن الولاء والطّاعة للموحدين[7]

لما تيقن الموحدون أن معسكر "ابن مردنيش" قد تصدع من الداخل أرادوا انتهاز الفرصة للقضاء نهائيا على ثورته التي استهلكت الكثير من قواهم حيث سار "أبو حفص" من إشبيلية بعسكره لغزو "ابن مردنيش" فنازل مدينة قيجاطة[8] حتّى استولى عليها و قبض على واليها

---

[1] – أحمد عزاوي، رسائل موحدية: مجموعة جديدة، ج1، ص91.

[2] – حصن بلش : بينها و بين مالقة أربعة وعشرون ميلاً. وهي مدينة حسنة، بها مسجد عجيب، وفيها الأعناب والفواكه والتين، كمثل ما بمالقة، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 252 .

[3] – أبو العباس أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تح : إحسان عباس ، ، ط1، ج1، دار صادر، بيروت، 1997 ، ص301.

[4] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر ، ص 210 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 125.

[5] – يوسف بن هلال: هو زوج أخت محمد بن سعد بن مردنيش، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 260.

[6] – نفس المصدر و الصفحة.

[7] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 303.

[8] – قيجاطة: هكذا يكتبها ابن عذاري المراكشي أمّا ياقوت الحموي فيقول: قيشاطة و هي مدينة أندلسيّة من أعمال جيان ؛ ابن عذاري المراكشي، نفس المصدر، ص 112، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 422.

و ضربت عنقه برأي "ابن همشك" ثمّ استأنف الجيش مسيره نحو مرسية مباشرة، و استولى الموحدون خلال ذلك على حصن الفرج منتزه "ابن مردنيش" ، و استباحوا الرياض و البساتين و القرى المجاورة حتّى أذعن أهل تلك القرى و النواحي بالطاعة، وكان "ابن همشك" يدل "أبا حفص" على أماكن الضعف ومسالك الطرق و استمر مسير الجيش حتّى وصل إلى مرسية و ضرب الحصار على "ابن مردنيش"[1].

قام أثناء ذلك أهل مدينة لورقة بالثورة على النصارى أعوان "ابن مردنيش" ببلدهم وحاصروهم بالقصبة و هم بقيادة "أبي عثمان بن عيسى" أخلص رجال "ابن مردنيش" ، ثمّ بعث أهل لورقة إلى " أبي حفص" يستنجدونه و يعلنون الطّاعة و الولاء للموحدين فأقلع أبو حفص بعسكره عن مرسيـــة و دخل لورقة ثمّ عاد " أبو حفص" إلى مرسية فضرب الحصار عليها مجددا ، وخلال ذلك أعلنت بعض الحصون الولاء و الطّاعة للموحدين، فمن ذلك حصن ألج[2] و أكثر الحصون المجاورة له[3].

كما خرجت ألمريّة عن طاعة "ابن مردنيش"، فقد ثار بها "محمّد بن مردنيش" المعروف بابن صاحب البسيط وهو ابن عمّ "محمّد بن سعد بن مردنيش" وزوج أخته، وعاونه في ثورته "محمد بن هلال" ، فقبضا على "ابن مقدام" والي ألمرية من قبل "ابن مردنيش"، و خاطبا " أبا حفص" و هو بعسكره على مرسية فبعث إليها قائد موحدي يساعدهما و أمرهما بقتل "ابن مقدام" ففعلا ذلك ثم إن " أبا حفص" قد توجه من مرسية رافعا الحصار عنها إلى إشبيلية لملاقاة أخيه[4] .

انتهز "ابن مردنيش" هذه الفرصة وسار بجيشه لاسترداد جزيرة شقر[5] من القائد" أبي أيوب بن هلال الشرقي" الّذي أعلن طاعته للموحدين لكنّه عجز عن استردادها فأرسل في طلب أخيه "يوسف" لمساعدته و يقول ابن صاحب الصلاة: "فظهر عن يوسف بن مردنيش لأخيه محمّد في منازلة جزيرة شقر التقصير به و عدم معونته لمذهبه.... وتحقّق من أخيه

---

[1] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 314.

[2] – حصن ألج: هو حصن جدّ منع يقع غربي مرسية، و يكتب بالإسبانية (Elche) ، نفس المصدر، ص 318، هامش 1.

[3] - Albert De Cirriourt , histoire des mores mudjares et morisques , tome 1 , dentu imprimeur , paris 1846, p43

[4] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 320 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ع3،ق2، ص 50.

[5] – جزيرة شقر: و تكتب كذلك "شوقر" و هي قرية قريبة من شاطبة يحيط بها الوادي من كل جنباتها لذلك أطلق عليها اسم جزيرة، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 286.

الانحراف و الميل إلى الموحدين، فزادت كبده ألما واتصلت نفسه سقما، فرجع إلى مرسية لغير طية و لازمته العلّة المزمنة بأسباب المنية"[1] ويقول في موضع آخر: "أنّ أبا الحجاج يوسف أخاه المذكور أظهر الإنابة و المبادرة إلى التوحيد، وتحقّق محمّد بذلك فزادت علته بالذهول و توقف أخوه عن عيادته و مخاطبته، فاشتدّت علّته، وتحقّق محمّد و حضرت منيته فتوفي في 10 رجب 567هـ"[2].

خلف "ابن مردنيش" في الحكم ولده "أبو القمر هلال"، فعزم عليه أشياخ و أعيان شرقي الأندلس الدخول في طاعة الموحدين، فاستجاب لهم و أعلن الطّاعة و الولاء للموحدين لذلك سار "الشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي" بعسكر من الموحدين وتسلم بلاد شرقي الأندلس وأعلن الأمان للنّاس و الأجناد كافّة، ثمّ سار "أبو القمر هلال" بإخوته وحاشيته ورجال دولته إلى اشبيلية وأمر الخليفة أخويه "أبا زكريا يحي" و "أبا إبراهيم إسماعيل" بالخروج في موكب رسمي لاستقبال "الأمير أبي القمر" وحاشيته وسلم البلاد إلى الموحدين و بذلك انتهت حركة ابن مردنيش[3].

ثانيًا: علاقات الدّولة المُوحديّة بإمارة بني غانية:

1 – قيام إمارة بني غانية و بِداية الصّراع:

لقد قامت إمارة بني غانية في شرق الأندلس و تحديدًا في الجزائر الشرقيّة أو ما يُسمّى حاليًا بجُزُر البليار[4]، أمّا "بنو غانية" فينتسبون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجيّة ، و كان "علي

[1] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص 379 ؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 117.

[2] – ابن صاحب الصلاة، نفس المصدر، ص 379 .

[3] – محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3 ، ق2، ص55 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 139.

[4] – تتكوّن الجزائر الشرقية من ثلاث جزر الرئيسية هي: ميورقة و في شرقها منورقة و في غربها يابسة و كلها أراضي خصبة و هواءها معتدل، و تسمى حاليا بجزر البليار: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 266 ؛ الحميري ، الروض المعطار، ص 188.

المسوفي" جدّ بني غانية يتمتّع بشخصيّة قويّة و يتحلى بصفات رفيعة أهّلته ليحتّل مكانة مرموقة في قومه و يكون مقرّبًا من أمير المُرابطين "يوسف بن تاشفين" [1].

قد زوّجه امرأة من أهله تُسمّى "غانية" و يُقال كذلك أنّ اِسمها هذا هو نسبة لأصلها من بلاد غانة ، فأنجبت له ولدين هما: "يحي و محمّد" و قد سمّوا بـــ "اِبني غانية" نسبة لأمّهما و كذا عرف أبناءهما و أحفادهما بهذا الإسم و كما أشرنا سابقًا أنّ المُرابطين كثرت فيهم نسبة الرجال لأمهاتهم[2].

و لّما كبرا استعملها "علي بن يوسف بن تاشفين" في بعض شؤونه، و قد أشار "عبد الواحد المراكشي" لهما قائلا: "فأما يحي بن غانية فقد كان حسنة من حسنات الدّهر، اِجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من النّاس فمنها أنّه كان رجلاً صالحًا، شديد الخوف لله تعالى و التعظيم له و الإحترام للصالحين ، هذا مع عُلو قدم في الفقه و اِتساع رواية الحديث و كان مع هذا شجاعًا فارسًا إذا ركب عد وحده بخمس مائة فارس، وكان علي بن يوسف يعده للعظايم و يستدفع به المُهمات و أصلح الله على يده كثيرًا من جزيرة الأندلس و دفع به عن المسلمين غير مرّة مكاره قد كانت نزلت بهم"[3].

أمّا عن "محمّد بن غانية" فيقول "المراكشي": "و كان أخوه محمّد واليًا من قبله على بعض أعمال قرطبة فلمّا مات اِضطرب أمر محمّد هذا و بقي يجول في بلاد الأندلس و الفتنة تزيد و دعوة المصامدة تنتشر، فلمّا اشتدّ خوف محمّد هذا أتى مدينة دانية فعبر منها إلى جزيرة ميورقة فملكها و الجزيرتين اللتين حولها منورقة و يابسة ، و يقال إنّ أمير المسلمين "علي بن يوسف" نفاه إليها على طريق السجن بها"[4].

أمّا "ابن خلدون" فيرى أنّ "علي بن يوسف" استعمل على الجزائر الشرقيّة واليًا من لمتونة اسمه "وانور بن أبي بكر" و بعث معه خمس مائة فارس فطغى على النّاس و تجبّر و قتل مقدم أعيان المدينة فثاروا عليه و سجنوه ثمّ أرسلوا إلى "علي بن يوسف" يسألونه أنّ يغيّر هذا الوالي فقبل و أرسل إليهم "محمّد بن غانية"[5].

---

[1]– مراجع عقيلة الغناي ،المرجع السابق ، 168.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 144 .

[3] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 196.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 196.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج6، ص 391.

و مهما يكن من أمر فإنّ هذه هي بداية "بني غانية" في الجزائر الشرقيّة حيث استطاع "محمّد بن غانيّة" أن يدير الحُكم بحنكة سياسية و قوّة و حزم خاصّة بعد ظهور دعوة المُوحدين في المغرب و استيلائهم على مراكش و توجيه جُيوشهم إلى الأندلس فأدرك حينها "محمّد بن غانية" أنّ أمر المُرابطين قد انتهى ولابدّ عليه أن يتمسك جيدا بما لديه من البلاد ليجعلها نواة لإمارة تحمل اسم قبيلته و تمثل تراث المُرابطين[1].

و لما يئس المرابطون من أمر الأندلس، أخذت جُموعهم تَرِدُ على جزر شرق الأندلس فاستقبلها "ابن غانية" بكلّ حفاوة و تكريم و أسبغ عليهم جزيل عطاياه و قوي بهم جانبه و جعلهم قوّة يعتد بها، و لما كانت موارد هذه الجزر لا تفي بأهداف "ابن غانية" الّذي كان ينوي تأسيس إمارة متينة، عمد إلى تقويّة الأسطول البحري و جعله قوّة في غرب المتوسط[2].

لبث محمّد بن غانيّة على ولائه لملك المُرابطين و قضيتهم حيث استمرّ يدعو في خطبه لأمير المسلمين المرابطي إلى أن توفي سنة 550هـ/1155م، و قد اختلف كثير من المؤرّخين حول من تولى الأمر بعده، حيث يشير "ابن خلدون" أنّ "محمّد بن غانية" عهد الأمر بعده لِابنه "عبد الله" لكن "إسحاق" قتل أباه و أخاه قبل أن تتم مبايعة أخيه و استبد بالحكم [3]، أمّا "عبد الواحد المراكشي" فيشير أنّ "إسحاق" قتل أخاه "عبد الله" بعد وفاة أبيه و حصل على ملك أبيه[4].

و رغم الاختلاف في لنصوص حول الطريقة لكن "إسحاق بن محمّد بن غانية" هو الّذي تولى حكم الجزائر الشرقيّة حيث ضبطها بحزم و قوّة و استمرّ على سياسة أبيه في استقبال فلول المرابطيـــن و تقوية الأسطول البحري حتّى صار أعظم قوّة بحريّة في غرب المتوسّط ، وقد كانت أساطيل بني غانية تغزو ثغور الممالك المسيحية فتحرز من الغنائم و السبي مقادير عظيمة، و خشيهم ملوك وأمراء إيطاليا فعقدت كل من "جنوا" و"بيزا" و "البندقية" معاهدات صلح و صداقة مع "إسحاق بن غانية" مقابل دفعهم مبالغ مالية طائلة و يتعهد بني غانية بحماية أساطيلهم في الحوض الغربي المتوسط و السماح لهم بالتحرّك و عدم التعرّض لشواطئهم[5].

---

[1]– مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق ، ص 172

[2] – نفس المرجع ، ص 172.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج6، ص 391.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 196.

[5] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 197.

و أفضل ما يمكن أن يترجم هذا الوضع هو قول "عبد الواحد المراكشي": {استقل "أبو إبراهيم إسحاق بن غانية" بالملك استقلالا حسنا و حسن حاله و كثر الداخلون عليه بجزيرة ميورقة من فل لمتونه و بقاياهم، فكان يحسن إليهم و يصلهم حسب طاقته، و أقبل على الغزو و طرق عنايته إليه، فلم يكن له هم غيره، فكان له في كلّ سنة سفرتان إلى بلاد الروم يغنم و يسبي و ينكي في العدو أشد نكاية إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالا فقوي بذلك أمره و تشبه بالملوك و لم يزل هذه حاله إلى أن توفي سنة 579هـ/1184م في أواخر أيام "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن}[1].

أمّا عن بداية الصراع بين الموحدين و بني غانية أنّ الموحدين من خلال غزوهم لشنترين[2] أرسلوا بعض القطع البحرية بقيادة "أبي الحسن علي بن الربرتير" في زيارة رسمية إلى الجزائر الشرقية فتظاهر الميورقيون بحسن الضيافة و رحّبوا به، ثمّ بعثوا سرًا إلى من يستولي على تلك السفن و اعتقلوا "بن الربرتير" في دار الضيافة و شدّدوا الحراسة عليه، ذلك أنّ رسول المُوحدين هذا قدم إليهم لكي يجنحوا للسُلطة المُوحدية و يبايعوا الخليفة الموحدي[3] .

و يظهر أنّ رفض "بني غانية" لطاعة المُوحدين جاءت بناءً على الظروف الّتي كانت تمرّ بها دولتهم حيث لم تمض إلاّ أيامًا و مات الخليفة الموحدي "يوسف بن عبد المؤمن" و اضطربت أحوالهم بعد ذلك ، كما رفض الكثير من أفراد البيت الموحدي مُبايعة الأمير الجديد و هو "أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن"[4]، و الأكثر من ذلك أنّ بني غانية وجهوا أنظارهم نحو إفريقيّة و تحديدًا مدينة بجاية فحشد "علي بن إسحاق" أسطولاً يتكوّن من إثنين و ثلاثين سفينة تحمل حوالي مائتي فارس و أربعة آلاف راجل و قاد الحملة بنفسه و نجح في الإستيلاء عليها يوم 6 شعبان 580هـ/13 نوفمبر 1184م و يذكر أنّ المدينة كانت بدون واليها "أبو الربيع سليمان" الّذي كان راحلاً إلى مراكش[5].

---

[1] – نفس المصدر، ص 197.

[2] – شنترين : مدينة بالأندلس من كور باجة على مقربة من لشبونة و هي مدينة على جبل عال و بأسفلها أرباض وايعة على طول النهر الذي يمر بالقرب منها ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 347-348.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 153.

[4] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 177.

[5] – نفس المرجع و الصفحة ، أمينة بوتشيش ، بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع الهجريين ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2007-2008 ، ص ص 20-26.

لّما سمع "أبو الربيع" بهذا الخبر قرّر الرّجوع إلى المدينة لاسترجاعها حيث كانت معه قوّة تتألّف من ثلاث مائة فارس و تمكّن من جمع ألف فارس من العرب و التقى مع بني غانية قُرب بلدة يامیلول لكن الهزيمة حلّت به بعد أن خذله الفُرسان العرب[1].

أمّا "علي بن إسحاق" فقد توجّه بقواته نحو مدينة الجزائر فملكها ثمّ مليانة[2] و مازونة [3] و أشير[4] و حاصر قسنطينة أشهرًا لكنه لم يتمكّن من الدخول إليها ، و في هذه الأثناء استخرج جميع المؤن و اللباس من مخازن الموحدين و وزّعها على جنده و أنصاره و على العرب الّذين ساندوه ثمّ قطع بنو غانية الخطبة للموحدين و أمروا بالدعاء للخليفة العباسي في بغداد[5].

علم الخليفة "يعقوب المنصور" بهذه الحوادث فأدرك تطوراتها و هو لا يزال في بداية عهده فجهّز جيشا قوامه عشرين ألف مقاتل و سير معه أسطولاً بحريًا، و في نفس الوقت عمل الخليفة الموحدي على تصديع الجبهة الداخليّة لبني غانية حيث أرسل كتبه إلى أهل المدن التي استولى عليها بني غانية يبشر أهلها باقتراب وصول الجيوش الموحدية و يعدهم بالصفح و الإحسان لكلّ من يعود عن بني غانية[6].

بادر الأسطول الموحدي فاستولى على مدينة الجزائر قبل أن يصل الجيش البري ثمّ واصل نحو مليانة فاستولى عليها و سار الموحدون حتّى وصلوا بجاية فأرسلوا كتبهم إلى أهلها يحضوهم على الثورة و يخبروهم بوصول الجيش و الأسطول الموحدي فاستجاب أهل بجاية للموحدين فثاروا و فتحوا أبواب مدينتهم فاندفعت الجيوش الموحدية إلى داخل المدينة و فتكوا بقوات "بني

[1] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 152.

[2] – مليانة : مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس و المسيلة و بالقرب من نهر شلف و هي كثيرة الأشجار جدد بناءها زيري بن حماد و أسكنها لابنه بلكين ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 547.

[3] – مازونة : مدينة بالمغرب قرب مستغانم و هي قريبة من البحر تقع بين مجموعة جبال و لها مزارع و بساتين و أسواق عامرة ؛ نفس المصدر ، ص 521.

[4] –أشير : مدينة من بلاد الزاب بالقرب من المسيلة بناها زيري بن حماد الصنهاجي تحيط بها جبال شامخة وفي داخلها عينان للماء لا تنضبان طول العام ؛ نفس المصدر ، ص 60.

[5] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 153.

[6] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق ، ص 181.

غانية" الّذين فروا في جمع من فلولهم و هكذا تمّ استرداد المدينة يوم 19 صفر 581هـ/22 ماي 1185م[1].

حاول الموحدون ملاحقة فلول " غانية" لكنّهم لم يقدروا بسبب أحمالهم الثقيلة و كذلك بسبب توجّه هؤلاء نحو الصحراء و لعلّ هذا هو أكبر خطأ اِرتكبه الموحدون و ذلك أنّهم ظنوا قد كسروا شوكة الميورقيين لكن هؤلاء سوف يعيدون تنظيم صفوفهم و يتحالفون مع بعض الناقمين على الدّولة المُوحديّة من أجل إضعاف هذه الدّولة الفتيّة و هد أركانها[2].

2 – توسّع الصراع بين الجانبين في المغرب و الأندلس:

اِستمرّ "علي بن غانية" توغّله في الصّحراء و توجّه نحو بلاد الجريد و الواحات وكان خلال طريقه يستميل طوائف العرب بالعطايا و الهدايا فالتف حوله عرب "بني رياح" و"بني جشم"، و في هذه الأثناء بلغهم نزول "شرف الدين قراقوش"[3] بقواته قرب طرابلس فقام بنو غانية بمراسلته و قالوا: "إنّنا قوم من بني العباس و نريد دولتهم، و نحن نريد أن نكون و إياك مجتمعين"، فسار إليهم "قراقوش" و اِلتقى بهم عند حامة البهاليل حيث عقدوا العزم على التحالف و محاربة الموحدين معًا، ثمّ اِقتسما البلاد بينهما نصفين فالبلاد الواقعة غرب بونة هي لبني غانية، أمّا ما يقع شرق بونة فهي من حق "قراقوش" كان ذلك سنة 581هـ/1185م[4].

بعد ذلك مُباشرة أخذ "علي بن غانية" يستولي على البلاد من أيدي الموحدين فسقطت أشير ثمّ اِستردّها المُوحدون بعد فترة قصيرة ، كما سار نحو توزر[5] فدخلها بمساعدة أهلها سنة 582هـ/1186م ثمّ توجّه نحو إفريقيّة فحصل على جميع البلاد المُجاورة لها لكنّه فشل في الإستيلاء على مدينة تونس فتوجّه نحو فقصة حيث حاصرها فأذعن أهلها له و أخرجوا من كان فيها من المُوحدين[6].

---

[1] – نفس المرجع ، ص181.

[2] – نفس المرجع ، ص 183.

[3] – شرف الدين قراقوش : قراقوش هو لفظ تركي معناه الطير الجارح و قراقوش الذي يهم الدراسة هو "تقي الدين قراقوش" مملوك لتقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الأيوبي و كانت له أطماع في حكم أجزاء من بلاد المغرب بإيعاز من الأيوبيون حكام مصر ؛ مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 188.

[4] – نفس المرجع ، ص ص 214-215.

[5] – توزر : مدينة من بلاد الجريد ، محصنة كثيرة الخيرات خاصة التمر الذي يعم كافة بلاد إفريقية لكن الحنطة و الشعير بها قليل ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 144-145.

[6] –محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ع3 ،ق2 ، ص153

و في هذه الأثناء اِنضّم "قراقوش" بقواته إلى "علي بن غانية" كما اِنضمّ إليه الغز[1] الواصلون من مصر فكثر جمعهم و قويت شوكتهم و كلّهم كاره لدولة الموحدين و اِتّبعوا جميعًا "علي بن غانية" و لقبوه بأمير المُسلمين و قصدوا بلاد إفريقيّة فملكوها كلّها إلاّ مدينتي تونس و المهدية[2].

بعد أن اِتّخذ "علي بن غانية" لقب أمير المُسلمين قطع الخطبة عن الموحدين في جميع البلاد الواقعة تحت يده و راسل "العباسيين" حيث يقول "ابن خلدون" عن "علي بن غانية" أنّه :{جدد رُسوم الملك و اِتخذ الآلة و افتتح كثيرًا من بلاد الجريد و أقام فيها الدّعوة العباسيّة، ثمّ بعث ولده و كاتبه عبد المُؤمن من فرسان الأندلس إلى الخليفة العباسي "الناصر بن المستضيء"[3] ببغداد مجدّدًا ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة و الطّاعة و طلب المدد و الإعانة، فعقد له كما كان لقومه و كتب الكتاب من ديوان الخليفة إلى ملك مصر و الشّام النائب عن الخليفة بها "صلاح الدّين يوسف بن أيوب"[4]، فجاء إلى مصر فكتب له "صلاح الدين" إلى "قراقوش" و اِتّصل أمرهما في إقامة الدّعوة العباسيّة}[5].

---

[1]–الكثير من الباحثين يشير إلى أن الجند الذين صاحبوا قراقوش بالأتراك لكن الأصح أنهم يسمون بالغز وربما ذلك راجع إلى أصولهم التركية حيث أنهم أجناس من الترك قدموا إلى البلاد الإسلامية كعبيد أو أسارى لكن علا شأنهم فيما بعد و تقلدوا الوظائف المدنية و العسكرية حتى أن سلطان مصر في القرن 3 هـ أحمد بن طولون كان منهم ، عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 210 ، هامش 1

[2]– هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 161

[3] – الناصر بن المستضيء : هو أبو العباس "الناصر لدين الله" أحمد بن الحسن المستضئ (553 هـ – 622هـ/1158 – 1225) كان خليفة عباسياً، حكم في بغداد بين عامي 1180 و 1225. حاول إعادة الخلافة إلى دورها المهيمن السابق، مدد سيادته إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس كما كان أيضاً عالماً، ومؤلفاً، وشاعراً، وراوياً للحديث؛ تولى الحكم بعد أبيه المستضيء بأمر الله وحكم ما يقارب خمسين عاما استحدث نظام القتوة والتجنيد وادخل الكثير من شباب بغداد الجيش وأزال أثار العجم وهدم قصور السلاجقة وسيطر الخليفة فيها كان لم يكن من قبل وعمر أسوار بغداد وأعاد لها الهيبة والمجد وبايعه أغلب سلاطين المسلمين وأدوا له الطاعة ومنهم صلاح الدين الأيوبي رحمة الله الذي بعث برايته وترسه للخليفة يوم وفاتة دليلا على تبعيته للخليفة ؛ محمد الخضري ، الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، بيروت ،2004 ، ص 350.

[4]– صلاح الدين الأيوبي :هو "يوسف بن أيوب" و لقب بـــ:"صلاح الدين" من أصل كردي كان والده و أعمامه و إخوته من قواد "نور الدين زنكي" أمير الشام إبان الحروب الصليبية ، و كان صلاح الدين قد نشأ نشأة علمية فكان طبيبا و كيميائيا ، كما خدم نو الدين زنكي و شارك في جيوشه و نال عنده حظوة كبيرة حتى أصبح من كبار القادة ، حيث كان على يديه إسقاط الدولة العبيدية في مصر ، و لما توفي "نورالدين زنكي" خلفه "صلاح الدين على إمارة الشام ومصر بمباركة الخلافة العباسية وتمكن من خوض حرب شرسة ضد الصليبين و هزمهم في عدة مواقع أهمها موقعة حطين وتمكن من تحرير بيت المقدس و دفع خطر الصليبيين عنها في كثير من المرات ؛ البير شاندور ، صلاح الدين الأيوبي ، تر: سعيد أبو الحسن ، نديم مرعشلي ، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، ط2، دمشق ، 1993،ص22 ؛ عبد الله الشرقاوي ، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين ، تح : رحاب عبد الحميد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996، ص 91.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج6، ص 396.

و يقول "سعد زغلول" عن هذا التحرّك السياسي من جانب "علي ابن غانية" أنّه قمّة في البراعة السياسيّة فعلاوة على رفع الأعلام العباسيّة أرسل هذا الأخير اِبنه مع كاتبه إلى بلاد الخليفة العبّاسي من أجل إعلان الطّاعة و الولاء ، و كان من الطبيعي أن يُقابل ديوان الخليفة العباسي هذه البعثة بالقُبول و الرضا و أن يمنح بني غانية ما كان لأسلافهم المرابطي من اِتخاذ لقب أمير المسلمين، كما يطلب من "صلاح الدين" مناصرة الميورقيين في كفاحهم[1].

كلّ هذه الأحداث لم تكن لتغيب عن الخليفة الموحدي "أبو يوسف يعقوب المنصور" حيث رأى أن يقود الجيش بنفسه للقضاء على بني غانية و اِسترداد إفريقيّة، حيث خرج من مراكش في 3 شوال 582هـ/17 ديسمبر 1186م و توجّه نحو تونس و أرسل منها حملة بقيادة "يعقوب بن عمر بن عبد المؤمن" إلى مقاتلة جيوش بني غانية و حلفائهم حيث اِلتقى الجمعان بفحص عمرة بالقرب من قفصة يوم 15 ربيع الأوّل 583هـ/25 ماي 1187م[2].

قامت جيوش الميورقيين و حلفائهم بإمطار الموحدين بوابل كثيف من السهام قضت على الكثير من الجنود و أدّت إلى تفكك الصفوف و اِختلّ توازن الجيش، فحلّت الهزيمة بالموحدين و قتل أغلبهم و أسر الكثير من القادة أبرزهم "أبو الحسن علي بن الربرتير "و" ابن يومور" الّذين عُذبا عذابًا أليمًا على الرّغم من جراحهما، ثمّ قتلا و صلبا على أبواب قفصة، أمّا باقي الأسرى و الجرحى فقد قتلوا جميعهم[3].

ما إن وصلت هذه الأنباء إلى الخليفة حتّى بدأ بتعبئة قواته و جعل القيادة لنفسه حيث خرج من تونس شهر رجب 583هـ/ديسمبر 1187م و قصد مدينة الحمّة[4] و نزل بالقرب منها، و وصلت إليها كذلك جُموع الميورقيين و حلفائهم و بدأت المعركة في صبيحة 9 شعبان 583هـ/15 أكتوبر 1187م فما كاد ينتصف النهار حتّى أحرز الموحدون النّصر و هرب من ميدان المعركة "علي بن غانية" و حليفه "قراقوش"[5].

---

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 162.

[2] – محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ع3 ،ق2 ، ص161

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق ، ص 163.

[4] – الحمة : وتسمى أحيانا "حمة مطماطة " و هي مدينة في جهة قسطيلة و بالقرب من قابس ماؤها شروب و بها نخل كثير و اهلها موصفون بالنجدة و الشهامة ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ص 200-201.

[5] – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مج6، ص 397 ؛ هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 165.

و في عشية ذلك اليوم توجّه المنصور نحو قابس الّتي كانت تحت حُكم قراقوش و بها أهله و أمواله فحاصرها و في اليوم التالي استنزل أهلها على حكمه و بعث بأهل قراقوش إلى مراكش و استولى الموحدون على كلّ ما يملك من مال و متاع[1]، ثمّ إنّ الموحدين استعادوا بعد ذلك كلّ بلاد الجريد و توجّهوا صوب مدينة قفصة الّتي كانت قاعدة بني غانية فحاصرها الموحدون و ضربوها بالمنجنيقات فخرج أهلها إلى الخليفة المُوحدي عارضين عليه الصلح فأجابهم و أمن أهلها و الجند القادمين من مصر، أمّا جنود الملثمين من مسوفة و لمتونة فقتلوا عن آخرهم ، و أمر الخليفة بأنّ تهدم أسوار هذه المدينة و كان ذلك في شعبان 583هـ/أكتوبر 1187م[2].

بعد ذلك عقد الخليفة العزم على كسر شوكة الأعراب الّذين خرجوا عن طاعته فحاربهم و نقل الكثير منهم إلى المغرب الأقصى ليكونوا تحت نظره، ثمّ رجع الخليفة و قواته إلى تونس و أخذ في ترتيب شؤون المدينة و النظر في أحوال ولاية إفريقيّة ثم عيّن "أبا زيد" واليًا عليها وشدّ رحاله نحو قاعدة مُلكه مرورًا بالمهدية ، تاهرت و تلمسان[3].

لكن رغم هذا الجُهد الّذي بذله الخليفة "أبو يوسف يعقوب المنصور" لم ينهي حركة بني غانية حيث يشير "عبد الواحد المراكشي" أنّ "علي بن غانية" توفي عقب هزيمته في معركة الحمة، فقد فرّ منها جريحًا و لجأ إلى خيمة عجوز أعرابية فتوفي فيها متأثرًا بجراحه[4]، أمّا ابن خلدون فيقول:"أنّه تُوفي في إحدى حُروبه مع قبيلة نفزاوة[5] سنة 584هـ/1188م و خلفه أخوه "يحي بن إسحاق بن غانية" الّذي واصل مسيرة أخيه في حرب المُوحدين و محالفة "قراقوش" لكن هذا الأخير كانت له مشاريع أخرى حيث نزع إلى السّلم و بايع الموحدين سنة 586هـ/1189م فهاجر إليهم بتونس و أقام هناك أيامًا[6].

لم يكن قراقوش مخلصًا في طاعته للموحدين فسُرعان ما هرب من مدينة تونس و عاد إلى الإستيلاء على البلاد حيث استولى على مدينة قابس بمُوافقة أهلها ثمّ طرابلس و أكثر بلاد

---

[1] – نفس المصدر، ج6، ص 398.

[2] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 219.

[3] – نفس المرجع ، ص ص 219-220.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 199.

[5] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 199.

[6] – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مج6، ص 398.

الجريد لكن هذه الأخبار لم ترق لـــ "يحي بن غانية" الّذي كان يرى أنّ "قراقوش" خائن للعهد و الميثاق الّذي كان بين الطرفين فتوجّه إليه بقواته فاسترّد منه طرابلس و هزمه بالقُرب من هذه المدينة في موضع يسمّى "محسن"[1].

بعد ذلك توجّه "يحي ابن غانية" نحو قابس الّتي عادت إلى سُلطان المُوحدين بعد فرار واليها من قبل "قراقوش" و كان واليها المُوحدي هو "عمر بن تافراكين" فضرب الحِصار عليها و خرّب زرعها و نخيلها، فلمّا اِشتدّ الوضع خرج إليه أهلها يسألونه الأمان لهُم و للوالي المُوحدي فوافق على ذلك لكنّه ما إن دخل المدينة حتّى فرض على أهل المدينة غرامة ستين ألف دينار[2].

و في هذه الأثناء توفي الخليفة المُوحدي "أبو يوسف يعقوب المنصور" و خلفه اِبنه "محمّد النّاصر" سنة 596هـ/1199م[3]، فاستغلّ "ابن غانية" هذه الظروف و سيطر على البلاد و بويع بالإمارة في عدّة مدُن: طرابلس و قابس و صفاقس و بلاد الجريد كلّها و القيروان[4] و تبسة و بونة ما يعني كلّ بلاد إفريقيّة، لكنّه لم يتوقّف عن عيثه و فساده و استمرّ في غزو المُدُن و قِتال المُوحدين الّذين أرسلوا الجيش بعد الآخر لكنّ كلّ حملاتهم باءت بالفشل[5] .

و يُمكن تلخيص الوضع بما أورده "الناصري": {لما هلك المنصور رحمه الله قوي أمر "يحي بن إسحاق بن غانية" و استولى على أعمال "قراقوش" صاحب طرابلس و على المهدية و تغلّب على بلاد الجريد، ثمّ نازل تونس سنة تسع و تسعين و خمس مائة، و افتتحها عنوة لأربعة أشهر من حاصرها، و قبض على السيد أبي زيد و اِبنه و من كان معه من المُوحدين، و طالب أهل تونس بالنفقة الّتي أنفق و بسط عليهم العذاب حتّى هلك في الإمتحان كثير من بيوتاتهم ثمّ دخل في دعوته أهل القيروان و غيرها من البلاد و انتظمت له أعمال إفريقيّة و فرّق العُمال و خطب للخليفة العباسي}[6].

---

[1] – هشام أبو ميلة، المرجع السابق، ص ص 167– 169.

[2] – محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ع3 ، ق1، ص 252.

[3]– حاج محمد بن علي بن محمد الشاطبي ، كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 1575 ، ص 247.

[4]–القيروان : هي قاعدة البلاد الإفريقية و أم مدائنها ، و أعظم مدن المغرب سكانا و أموالا و تجارة ، و يغلب على أهلها التمسك بالخير و الوفاء بالعهد و اجتناب المحارم و التفنن في العلوم ؛ الحميري الروض المعطار ، ص 486.

[5]– أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص 284.

[6] – الناصري، الاستقصا، ج2، ص 191.

أدرك الخليفة المُوحدي "محمّد الناصر" أنّ القضاء على بني غانية يجب أن يسبق بالقضاء على مركز قُوتهم في الجزائر الشرقيّة ذلك أنّ هذه الجزر كانت بمثابة المورد الرئيسي الّذي يغذي بني غانية بالرجال و العتاد و الأموال[1]، فأرسل المُوحدون جُيوشهم و تمّ الإستيلاء على جزيرتي منورقة و يابسة و بقيت ميورقة قاعدة إمارة بني غانية ساكنة حيث قرّر واليها عبد الله بن غانية اِسترداد الجُزُر الّتي ضاعت منه فهاجم جزيرة يابسة خلال شتاء 598هـ/1201م لكن أهلها دافعوا عنها حتّى يأس و عاد أدراجه لكنّه هاجم جزيرة منورقة بكلّ ما أوتي من قوّة و اِستردها، غير أنّ الأسطول المُوحدي كان ينتظر هدوء البحر للعودة إلى حرب بني غانية[2].

بدخول صيف 599هـ/1202م هاجم الأسطول المُوحدي جزيرة منورقة و اِستردّها بعد قِتال يسير ثمّ وجّهت قوّة ضخمة من المُوحدين حملت على ظهر أسطول كبير للإستيلاء على جزيرة ميورقة المعقل الرئيسي لبني غانية، و كانت الحملة المُوحديّة تحت قيادة "أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المُؤمن" و القوّات البريّة بقِيادة "أبي سعيد عثمان بن أبي حفص" و تمكّنت هذه القُوّات من هزيمة بني غانية في ميورقة و الإستيلاء على الجزيرة منهم و قتل خلال المعركة "عبد الله بن إسحاق بن غانية" و قضي على كثير منهم و حملت البقية إلى مراكش[3].

و بذلك تمّ للموحدين القضاء على مركز من أخطر المراكز المهدّدة لدولتهم و قطع المدد عن جُيوش بني غانية في المغرب الّذين كانوا لا يزالون شوكة في وجه الجُيوش[4].

3 – سقوط إمارة بني غانية:

بعد أن تمكّن المُوحدون من القضاء على قوة بني غانية في جُزُر البليار قرّروا اِستئصالهم من بلاد المغرب فجهّز الخليفة "محمّد النّاصر" جُيوشه و قادها بنفسه، كما استعان بأسطوله البحري و جعل قيادته في يد "أبي يحي بن زكريا الهزرجي" و خرج من مراكش سنة 601هـ /1204م قاصدًا بلاد إفريقيّة[5].

---

[1]– عصام سالم سيسالم ، جزر الأندلس المنسية ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984 ،ص 394.

[2] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 218.

[3] – نفس المرجع ، ص 229.

[4]– أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص390-391

[5] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 188.

حين بلغ هذا الخبر "يحي بن غانية" قرّر أن يسير لجمع الأنصار و الحشود من العرب و البربر، كما أرسل ذخائره و أمواله إلى المهديّة، فاِستجاب له حشد كبير من العرب، و في هذه الأثناء وصلت الحملة الموحديّة إلى مدينة تونس فاستولى عليها المُوحدون و قتلوا جميع أنصار "ابن غانية" ثمّ توجّه الأسطول المُوحدي نحو المهدية فحاصرها، و في نفس الوقت قام الخليفة بملاحقة "ابن غانية" و استردّ الكثير من المُدُن و لعلّ أهمها: قفصة و صفاقس و قابس، لكنّه رغم ذلك لم يستطع اللّحاق به فعاد أدراجه إلى المهدية و نصب عليها آلات الحصار و المنجانيقات[1].

بلغ الخليفة و هو على حصار المهدية أنّ "ابن غانية" يعسكر بقواته قرب قابس، فأرسل لقِتاله قوّة مكونة من 4 آلاف فارس يقودهم "عبد الواحد بن أبي حفص" و اشتبكا الطرفان بموضع قرب قابس يُسمى تاجرا[2] يوم 12 ربيع الأوّل 602هـ/28 أكتوبر 1205م فاِنهزم "ابن غانية" و قتل أغلب جُنده و قادته، كان من بينهم أخوه "جابر" و كاتبيه "علي بن اللمطي" و" الفتح بن محمّد"[3].

و في الجهة الأخرى كان الخليفة لا يزال مرابطًا على حصار المهدية الّتي امتنعت عنه فحاول الخليفة أن يضعف من معنوياتهم فأشهر لهم الغنائم الّتي غنموها من معسكر "ابن غانية" و كذلك الأسرى و لكن المحصورون لم يستجيبوا للخليفة فشدّد هذا الأخير في حصارها و مُقاتلة أهلها حتّى استترلهم على حُكمه صلحا حيث يقول الزركشي: "لم يزل الناصر محاصرا للمهدية حتّى فتحها يوم السبت 27 جمادى الأولى 602هـ، بتسليم صاحبها علي بن الغازي ابن عمّ ابن غانية فقبل الناصر عليا و أكرمه و لم يزل معه إلى أن استشهد"[4]، و حينها بدأ أنصار"ابن غانية" ينفضون عنه فكما ذكرنا سابقًا تخلى عنه ابن عمه "علي بن الغازي" ثمّ لحقه "سير بن إسحاق" و بقي وحيدًا يجوب الصحراء و يستميل الأعراب[5].

---

[1] – نفس المرجع، ص 189.

[2] – تاجرا : هذه ليست تلك القريبة من تلمسان و إنما هي مدينة بالقرب من قابس بالمغرب الأدنى ؛ مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 230

[3] – هشام أبو رميلة ،نفس المرجع ، ص 191.

[4] – أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تح : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1967 ، ص ص17-18 .

[5] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 193.

أمّا الخليفة الناصر فقد قرّر الرحيل إلى مراكش لكنّه عزم على تولية إفريقيّة أحد أكفأ رِجاله و كان اختياره على" الشيخ أبو محمّد عبد الواحد بن أبي حفص" الّذي قبل الولاية مقابل صلاحيات واسعة تمنح له فَرَضِيَ الخليفة بذلك و رحل عن البلاد إلى عاصمة مملكته في شوال 603هـ/ماي 1207م[1].

انتهز ابن غانية عودة الخليفة النّاصر إلى مراكش فعاد بقواته من الصّحراء يصحبه جمع من أعراب بني هلال و بني رياح ، بلغ ذلك "الشيخ أبا محمّد" فسار بقواته من تونس و التقى مع "ابن غانية" بالقرب من تبسة شهر ربيع الأوّل 604هـ/أكتوبر 1207م فانهزم "ابن غانية" و فرّ جريحًا إلى الصحراء[2].

أدرك "ابن غانية" صُعوبة البقاء في إفريقيّة و "أبو محمّد عبد الواحد بن أبي حفص " والٍ عليها فقرّر شن غزواته على بلاد المغرب الأوسط و أخذ يهاجم الكثير من الحاميات المُوحديّة و يقتل الجُند حتّى وصل إلى سجلماسة و جمع حوله عدد لا بأس به من بربر زناتة، لما وصل هذا الخبر إلى والي تلمسان "السيد أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المُؤمن" قرّر أن يسير لقتال ابن غانية و يقطع عليه الطريق في تاهرت لكن والي إفريقيّة "أبو محمّد عبد الواحد بن أبي حفص " أرسل إلى السيد" أبي عمران" يحذره من مغبة مواجهة "ابن غانية" فهو أكثر منه خبرة في قِتاله إلاّ أنّ السيد "أبا عمران" لم يأخذ بنصيحة "الشيخ أبي محمّد" و رأى أنّ الفُرصة مُواتية للقضاء على "ابن غانية" ، فلمّا وصل إلى تاهرت شنّ "ابن غانية" هُجومًا خاطفًا على المُوحدين و قتل كلّ الجيش الّذي كان يصحبه "أبو عمران" الّذي قضى نحبه في هذه الموقعة[3].

ارتاع أهل تلمسان لما بلغهم مقتل الوالي "أبا عمران" و أنّ "ابن غانية" يعبث فسادًا في تلك النواحي فأغلقوا أبواب المدينة و تجهزوا للحصار بداخلها، خشي الموحدون أن يستولي "ابن غانية" على تلمسان ممّا يهدد دولتهم بمراكش فأسرع والي فاس" أبو زكريا" بقواته إلى تلمسان ثمّ وصل بعده جيش آخر بقيادة "أبي زيد بن يوجان"، لما سمع "ابن غانية" بذلك تراجع إلى إفريقيّة لكن الشيخ "أبو محمّد" والي إفريقيّة كان يترقب تحرّكاته فاعترض طريق عودته

[1] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 230.

[2] – نفس المرجع، ص 231.

[3] – هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ،ص ص 196 – 197.

و ألحق به هزيمة لكنّه لم يتوقّف بل أخذ يسير في نواحي البلاد و يجمع حوله الأعداد حتّى كوّن جيشًا آخر[1] .

ثم قرّر قتال الشيخ "أبا محمّد بن أبي حفص" الّذي نهض إليه في جيوشه و عساكره قرب جبل نفوسه و هناك اِلتقى الجمعان سنة 606هـ/1209م–1210م فحلت الهزيمة بـــ"ابن غانية" مرة أخرى و أفني جيشه لكنّه تمكّن من الهرب في بعض رِجاله[2].

بعدها اتخذ المُوحدون إستراتيجية أُخرى في قتال "ابن غانية" و هي مطاردة أنصاره و اِغتيال أشياخهم لكنّ هذه السياسيّة لم تفلح في فض النّاس عنه حيث بعد اِنهزامه في "جبل نفوسه" توجه جنوبا و جمع حوله الكثير من الأعراب الناقمين على "قراقوش" الّذي كان يتحصّن بودان[3] و وعد العرب بأن يسلّمهم قراقوش إذا تحالفوا معه حيث أنّ "قراقوش" قتل شيوخهم لما استولى على قابس سابقًا، فسار "اِبن غانية" و جُموعه إلى حصار ودان حتّى اِستنزلوا "قراقوش" على حُكمهم و قتلوه بصحبة اِبنه ثمّ صلب بأحد أبواب ودان[4].

في هذه الأثناء توفي الشيخ "أبو محمّد بن أبي حفص" و خلفه السيد "أبو العلاء إدريس" على ولاية إفريقيّة و قرّر اِتخاذ نهج جديد في مُقاتلة "ابن غانية" و هو تقسيم الجيش إلى عدّة فرق لكي يكون خفيف الحركة ، كما تقوم كلّ فرقة بتطويق "ابن غانية" من جهة معيّنة فسار إليه في ودان لكنّه تمكن من كسر هذا الحصار و فر منها إلى بسكرة ثمّ توجّه نحو تونس ظنًا منه أنّ "أبا العلاء" لا يزال بودان ففاجأه والي إفريقيّة و هزمه بظاهر تونس سنة621هـ/1224م فكانت هذه هي الضربة الّتي قسمت ظهر "ابن غانية" حيث تخلّى عنه الأنصار و سئم الجند القتال فسرحهم و لم يبق حوله إلاّ أهله و خاصته لكنّه بقي على عناده و قتاله للمُوحدين و يجوب البِلاد من سجلماسة إلى العقبة الكبرى من بلاد مصر[5].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج6، ص404

[2] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع ، ص 198

[3]– ودان : بلد من أحواز برقة بالمغرب الأدنى ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 608.

[4] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع ، ص 199.

[5] – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مج6، ص 216.

توفي "يحي ابن غانية" سنة 631هـ/1234م – 1235م بعد خمسين سنة من إمارته و بوفاته اِنقرض أمر الملثمين من مسوفة و لمتونة من جميع بلاد إفريقيّة و المغرب و الأندلس و بمملكه ذهب ملك صنهاجة من الأرض[1].

ثالثـــــا: العلاقات السياسيّة للدولة المُوحدية بالإمارات المتأخرة:

1 – علاقة الدّولة المُوحديّة بإمارة بني هود:

بعد القضاء على إمارة بني غانية في الأندلس سكنت أحوال هذه البلاد مدّة من الزمن إلى أن ثار بها "محمّد بن هود" سليل أسرة بني هود في عهد الطوائف و المُرابطين فنسبه هو "محمّد بن يوسف بن محمّد بن عبد العليم بن أحمد المستعين بالله بن يوسف المؤمن بن أبي جعفر المُقتدر

[1] – نفس المصدر و الصفحة.

بالله بن أبي أيوب سليمان" صاحب الثغر الأعلى الأندلسي سنة 441هـ/1049م و بقي بنو هود فترة طويلة يحكمون الثغر الأعلى إلى أن طردهم منه المُرابطون سنة 503هـ/1110م لكنّهم رفعوا شعار الثورة عليهم في أواخر دولتهم حتى تمكّن الموحدون من إخماد ثورتهم ثم قام فيهم "محمّد بن هود" الّذي سوف نفرد حركته بالدّراسة[1].

إنّ نزاع الخلفاء المُوحدين على المُلك و اِقتتالهم فيما بينهم جعل الرعايا الأندلسيين يسخطون على الدّولة المُوحديّة خاصّة عندما صار هؤلاء يقدمون الحصون الأندلسيّة من أجل الإستعانة بالمسحيين في حُروبهم ، فعاد "بنو هود" إلى الثورة على المُوحدين سنة 625هـ/1128م بزعامة "محمّد بن يوسف بن هود" الّذي كان قائدًا على فرقة من الجيش الموحدي حيث اشتهر بالشّجاعة و الإقدام و اِفتتح الحُصون و حصل على الغنائم و الأسلاب من النصارى ، كما تحالف مع بعض الشجعان ممن كانوا يقطعون الطُرق[2].

ذاع صيت "ابن هود" بين النّاس و أخذ الجند ينظمون إليه فرحب بهم و أكرمهم و شكّل منهم قوّة سمحت له بالإستيلاء على مزيد من الحُصون و القلاع حتّى فكّر بالإستيلاء على مدينة مرسية فداخل أهلها على خلع طاعة المُوحدين فوافقوه و ساعده على ذلك واليها "أبا الحسن القسطالي" فدخلها شهر رمضان 625هـ/أوت1128م فسمّى نفسه بالمتوكّل على الله،كما قطع الخُطبة عن المُوحدين و دعا للخليفة العباسي "المستنصر بالله"[3] و رفع الرايات السود[4].

بعد هذه التطوّرات الخطيرة قرّر المُوحدون القضاء على هذه الثورة قبل أن يستفحل أمرها فبعثوا السرايا والفرق الصغيرة لكن "ابن هود" تمكّن من إفنائها لذلك قرّر الخليفة الموحدي "المأمون" الّذي كان مُرابطا بأشبيلية أن يسير بنفسه لمواجهة "ابن هود" فالتقى به بالقرب من مرسية، فانهزم الموحدون و كر "ابن هود" راجعًا إلى مرسية و ذلك سنة 626هـ/1229م[5].

---

[1] – ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص 245 – 248.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 206.

[3] – المستنصر بالله : هو أبو جعفر المستنصر بن الظاهر العباسي بويع بالخلافة سنة 623هـ /1226م عرف بالشجاعة و الكرم و الجود حيث بنى المدارس و الربط و الخانات يوفي سنة 640هـ/1243م محمد الخضيري ، المرجع السابق ، ص 381.

[4] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 207.

[5] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 392.

عاد الخليفة "المأمون" إلى إشبيلية و صرف نظره كليًا عن الأندلس و شؤونها فقد بلغه أنّ شيوخ المُوحدين في مراكش قد نكثوا بيعته و ولوا عليهم "يحي بن الناصر" فقرّر المأمون العبور إلى المغرب لضبط أحوال الدّولة ، لمّا علم "ابن هود" بمسيرة الخليفة "المأمون" نحو المغرب تتبعه إلى أن وصل جزيرة طريف و نشبت بينهما معركة يوم 6 رمضان 626هـ/31 جويلية 1229م أسفرت عن هزيمة الخليفة المأمون و فرراه إلى المغرب[1]، كما كانت هذه الحادثة آخر عهد للموحدين بالأندلس[2].

حيث اِبتداءً من هذه السنة دانت كلّ بلاد الأندلس الإسلاميّة لــ"ابن هود" فأعلن أهل جزيرة شقر و مدينة دانية ولائهما لابن هود كذلك مدينة جيان و ماردة و بطليوس و مرسية و ألمرية ثمّ أخذت المُدُن الكُبرى تسقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي "ابن هود" بدءًا بإشبيلية و غرناطة[3].

و هكذا دخلت معظم مُدُن بلاد الأندلس في طاعة "ابن هود" و لم يبق للموحدين أي سُلطان في تلك البلاد حتّى أنّ العامّة ثارت على الجُند المُوحدي و قتلوهم ، لكن "ابن هود" نفسه عان من بعض الزُعماء المحليين الّذين رفضوا طاعته أو ثاروا عليه فيما بعد و لعلّ أهمهم "أبو جميل زيان ابن مردنيش" بلنسية و "ابن محفوظ" صاحب لبلة[4].

لكن رغم كل ذلك فقد تعاظمت قوّة" ابن هود" بعد ذلك حتّى أنّه ملك بعض البلاد في المغرب فتمكّن من السيطرة على "سبتة" و "رباط الفتح" و ما يلي ذلك من جبل طارق و يذكر أنّ "أبو موسى عمران" أخو الخليفة "المأمون" وفد إلى الأندلس و بايع "ابن هود" و تبعه في ذلك كثير من قبائل العرب حول مراكش و صار لــ"ابن هود" أسطول ضخم يرسو بعضه على سواحل إشبيليّة و البعض الآخر في سبته[5].

---

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 209.

[2] – بعد هذه الحادثة تداعى سلطان الموحدين في بلاد الأندلس وثار الأندلسيون على كافة الولاة الموحدين و قاتلو الحاميات العسكرية الموجودة على أراضيهم ، مما دفع بالموحدين إلى صرف النظر نهائيا عن البلاد و تركوها لمجابهة القوى الصاعدة للممالك المسيحية ؛ محمد أحمد أبو الفضل، المرجع السابق ، ص 187.

[3] –هشام أبو رميلة ، نفس المرجع، ص ص 213 – 214.

[4] – نفس المرجع، ص 214.

[5] – الناصري، الإستقصا، ج2، ص ص 214 – 215.

و يبدو أنّ هذه الأخبار قد وصلت إلى المشرق و علم بها الخليفة العباسي فأرسل رسله إلى "ابن هود" يعمله بكتاب تقليده بلاد الأندلس و لقّبه بالمتوكّل أمير المسلمين، كما منحه الراية السوداء شعار العباسيين ، فزاد النّاس طاعة و إجلالا لـــ"ابن هود" و أصبح سُلطانه مطلقًا على البلاد لا ينازعه أحد في ذلك حتّى أنّ "محمّد بن نصر" الّذي كان قد ثار على"ابن هود" سنة 629هـ/1232م بمدينة جيان و أرجونة و كان يدع للحفصيين، لما علم بهذا الكتاب قطع دعوة الحفصيين و صار يأتمر بأوامر ابن هود و يدع له على المنابر بعد الدعاء للخليفة العباسي[1].

لكن "ابن هود" أوقع نفسه في خطر عظيم لما قطع صلته بالمغرب الّذي كان دائمًا يعتبر المورد الرئيسي لإمدادات الأندلس العسكريّة و الحربيّة و بالتّالي صار لقمة سائغة بين الممالك المسيحيّة الّتي كانت تتحرّق شوقًا لإخراج المُسلمين من الأندلس و الحُصُول على أراضيهم حيث سار ملك ليون "ألفونسو التّاسع" إلى ماردة فحاصرها و لمّا علم "ابن هود" بذلك توجّه للقائه فحلّت به الهزيمة و تمكّن "ألفونسو التّاسع" منها و استولى كذلك على مدينة بطليوس[2].

و لمّا وصلت هذه الأنباء إلى ملك قشتالة "فرناندو الثالث" قرّر مهاجمة أراضي المُسلمين فسار بقُواته يصحبه فيها الأساقفة و رِجال الدّين على مدينة أندوجر و أبدة فحصل عليها بعد قِتال عنيف مع أهلها، و حاصر مدينة جيان و أرجونة لكنّه لم يتمكّن منهما فأرسل قُواته إلى منطقة استرامادورة فاستولوا على حصن الحنش و ترجالة[3].

أراد ملك البرتغال "سانشو الثالث" أن يأخذ بحصته من الغنيمة فأرسل هو الآخر قواته إلى غرب الأندلس و استولى على كافة الحُصون الواقعة جنوب باجة و هكذا أصبحت بلاد الأندلس تسير بخطى متسارعة نحو مصيرها المحتوم و هو السقوط و ذلك كلّه بسبب النزوات الشخصيّة و حب الملك و الإستئثار بالسُلطان[4].

حاول "ابن هود" استدراك الأمر ذلك أنّه رأى لو يهادن الممالك المسيحيّة بدفع الأتاوات و المغارم سوف يتجنّب جُيوشهم الجرارة و يسلم المسلمون منهم، فأبرم مع ملك

---

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 218.

[2] – مجهول ، تاريخ الأندلس ، تح : عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007 ، ص ص 264-266.

[3]- هشام أبو رميلة، نفس المرجع و الصفحة ؛ ترجالة : مدينة بالأندلس كالحصن المنيع لها أسوار ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 133.

[4] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 220.

قشتالة سنة 630هـ/1233م مُعاهدة صلح و سلام مُقابل دفع ألف دينار كلّ يوم فوافق الملك ثمّ جدّدت هذه المُعاهدة سنة 632هـ/1235م و غيّرت بعض بُنودها حيث يدفع ابن هود ضريبة أربعة مائة ألف دينار سنويًا ، كما يتنازل عن ثلاثين حصنًا من حصون الأندلس لملك قشتالة بينما يتعهّد ملك قشتالة سوى بالكف عن غزو الأندلس و التخلّي عن معاونة "ابن نصر"[1].

في سنة 635هـ/1237م تُوفي "ابن هود" و خلفه ابنه" الواثق بالله" الّذي لم يكن كوالده في الحزم والهمّة حيث ركن للسلم و الموادعة فخلعه أهل الأندلس ثمّ عاد للحكم مرّة أخرى سنة 637هـ/1239م لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث سار إليه ملك قشتالة "ألفونسو التاسع" و أجيره على أن يعترف بكونه حاكمًا للبلاد باسم ملك قشتالة فقبل "ابن هود" ذلك ممّا أدّى إلى تأجج نار الثورة مرّة أخرى فقام "أبو جميل زيان بن مردنيش" في بلنسية و "ابن نصر" في غرناطة و جنوب الأندلس[2].

2 – علاقة الدّولة المُوحديّة بإمارة بني مردنيش:

لقد عاصر بنو هود ثوار آخرون هم بنو مردنيش بقيادة "أبي جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش"، حيث جده "يوسف" هو أخو "محمد بن سعد بن مردنيش" أمير شرقي الأندلس في أواخر عهد المُرابطين و أوائل عهد الموحدين[3].

بعد اِستقرار المُوحدين في شرق الأندلس اِستخدموا أبناء "آل مردنيش" في الأعمال المدنية و الحربيّة حيث أصبح "هلال بن محمّد بن مردنيش" مستشار للخليفة" أبي يعقوب يوسف بن عبد المُؤمن" و ولي "أبا الحجاج يوسف "على ولاية شرق الأندلس، كما أسند قيادة أساطيل الدّولة إلى "غانم بن محمّد بن مردنيش"[4].

و لما بدأت الدّولة المُوحديّة في الإنهيار و ثار "ابن هود" في الأندلس، خرج "بنو مردنيش" على طاعة الموحدين و أمّروا عليهم "أبو جميل زيان بن مردنيش" الّذي كان يتولى أمر الدّفاع عن مدينة بلنسية عندما خرج واليها "أبو زيد عبد الرحمان بن يعقوب الموحدي" لقتال "ابن

[1] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 221.

[2] –نفس المرجع، ص 223.

[3] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 272 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 394.

[4] – ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 273.

هود" فلما اِنهزم هذا الأخير اضطربت أحوال المدينة و التف أهلها حول "أبي جميل بن مردنيش" و ولوه أمر مدينتهم فقبل لكن لما عاد الوالي المُوحدي و كانت له علاقة وطيدة مع "أبي جميل" خجل هذا الأخير من موقفه و غادر المدينة إلى حصن أبدة و بقي فيه إلى أن خرج من بلنسية الوالي الموحدي فدعا أهل المدينة "أبا جميل" ثانية و أمروه عليهم و كان ذلك سنة 626هـ/1229م [1].

أما " أبو زيد" والي بلنسبة الموحدي فقد التحق بملك أراغون يطلب عونه في استرداد ولايته فاستقبله الملك يوم 3 جمادى الثانية 627هـ/أبريل 1229م و اتفقا الطرفان على أن يساعد ملك أراغون "أبا زيد" على استرداد ولايته بشرط أن يعطيه ربع ما يستولي عليه و يتنازل له عن حصون بنشكلة و ميرتلة و كلالة و البونت و شيرب[2].

تجهز " أبو زيد" و حلفائه النصارى لقتال "أبا جميل بن مردنيش" و ساروا بقواهم حتّى وصلوا بلنسية و مرسية فوجدوا أنّ أحوال البلاد قد تغيّرت و أنّ نار الثورة قد عمّت البلاد فقفل راجعًا إلى ملك أراغون و اعتذر له و طلب منه أن يكون حاكمًا على بعض البلاد بِاسمه فقبل الملك ذلك و عينه على حصن شيرب و كان "ابن الآبار القضاعي"[3] كاتبا لـــ"أبي زيد" فلما استقر هذا الأخير عاملا للملك المسيحي تخلّى عنه "ابن الأبار" و عاد إلى بلنسية حيث عمل كاتبًا لـــ "أبي جميل زيان بن مردنيش"[4].

لكن سبب ذلك أعمق حيث يشير ابن خلدون أنّ "أبا زيد" دخل في دين النصرانيّة كما يعلق على ذلك محمّد عبد الله عنان بقوله: "سقط السيد أبو زيد سقطته المؤسيّة ذلك أنّه لم يكتف بهذا الإنطواء المطلق تحت نير الملك النصراني و لكنّه هوى إلى الدرج الأسفل فاعتنق دين النصرانيّة و هو سليل بني عبد المؤمن أئمة التوحيد و أقطابه و نبذ اِسمه المسلم و اِختار اِسما نصرانيا هو بثنتي أو بيجنتي و تزوّج فيما بعد من سيدة نصرانية من أهل سرقسطة..." و لم

---

[1] – نفس المصدر، نفس الصفحة.

[2] – هشام أبو رميلة،المرجع السابق، ص 225 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 397.

[3]– ابن الآبار القضاعي : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار و لد سنة 595هـــ/1199م بالقرب من بلنسية اشتهر بطلب العلم و كان أديبا فقيها له تآليف كثيرة في فنون الأدب و التاريخ و التراجم لعل أهمها : كتاب الحلة السيراء و كتاب الذيل و التكملة كما اشتهر كذلك باتصاله بالحكام و طلبه الوزارة توفي سنة 658هـــ/1260م ؛ حسين مؤنس في تحقيقه لكتاب الحلة السيراء ، ج1،ص ص 12–20

[4] – محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ع2، ق3، ص 397.

تقدم الوثائق النصرانية تاريخ تنصر "أبي زيد" و لكنّها تبين ما يفيد أنّه كان يضمر هذه النية منذ عهد بعيد أعنى منذ أيام أن كان واليا على بلنسية ، و تقول أنّ "أبا زيد" طرد من بلنسية لما علم من أنّه يبعث رسله السريين إلى البابا و إلى ملك أراجون بعرض اعتناقه للنصرانيّة و لما كان يبدو من أمارات استحسانه لهذا الدّين"[1].

رأى ملك أراغون "خايمي الأوّل"[2] أن ينتهز فرصة لجوء "أبا زيد" إليه فسار بقواته سنة 630هـ/1233م و استولى على الحصون القريبة من بلنسية فحصل على بنشكلة و بولبش و قسطليون و بربول و مكارة و مشروس، حينها أدرك الأمير "أبو جميل زيان بن مردنيش" خطورة الوضع فخرج للتصدي للملك المسيحي لكن لم يتمكّن من ردعه و خشي أن يستولي على حصن أنيشة المُشرف على سهول مرسية فقرّر الأمير هدمه كي لا يستغله الملك لكن هذا الأخير أدرك قيمة الحصن الإستراتيجيّة فأصرّ على احتلاله فواجهه المسلمون لكن حلّت بهم الهزيمة و اِحتلّه الملك "خايمي" و أعاد بنائه و وضع فيه حامية نصرانية[3].

أخذت هذه الحامية تهاجم المسلمين و تغزو بلنسية من حين لآخر فخرج الأمير "أبو جميل زيان" بقواته و معه أهل بلنسية فانهزموا و قُتل منهم جم غفير من الفقهاء و العلماء و الكتاب و بذلك أصبح سُقوط المدينة وشيكًا خاصّة لما قام الملك "خايمي" بحصار المدينة فاستنجد "أبو جميل زيان" بالأمير "أبي زكريا الحفصي" في تونس[4] فبعث هذا الأخير أسطولاً و شحنه بالأطعمة و السلاح و الأموال حيث أن الأموال وحدها بلغت مائة ألف دينار ذهبي لكن لم يتمكّن رحاله من النزول إلى البرّ فعاد الأسطول من حيث أتى ثمّ استسلمت المدينة يوم 17 صفر 636هـ/سبتمبر 1238م[5].

---

[1] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ،ع2،ق3، ص 398.

[2]– خايمي الأول : حكم مملكة أراغون بين (1213م-610هـ/1276م-675هـ) حيث تمكن من تنظيم شؤون دولته داخليا ثم شن عدة حملات على المدن و الأقاليم الأندلسية خاصة الشرق الأندلسي بصفة عامة "جزر البليار و بلنسية" كما أن الفترة هذه التي تميزت بضعف شديد أصاب المسلمين بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب ؛ محمد محمود النشار ، المرجع السابق ، ص 39.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 227.

[4]– ذهب كاتب الأمير وهو ابن الأبار القاعي للاستنجاد بالأمير الحفصي فوصل تونس و دخل على اميرها و ألقى على مسامعه القصيدة الرائعة التي مطلعها : أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل لمنجاها درسا

فتأثر الأمير الحفصي بهذه القصيدة و قرر إرسال معونته لأهل بلنسية ؛ محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ع3 ،ق2، ص ص 446-448

[5] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص ص 448-450.

أمّا الأمير "أبو جميل زيان" فقد خرج من المدينة بأهله و ولده يصحبه خمسين ألفا من أهلها و توجّه نحو جزيرة شقر فنزل فيها و اِتّخذها مركز حكمه ثمّ قطع الخطبة للعباسيين و خطب للحفصيين في تونس لكنّه لم يدم بقائه في هذه المدينة طويلاً حيث بعد أيام معدودات سار إليه أحد قواد مملكة أراغون فأخرجه منها و توجه أبو جميل نحو مدينة دانية[1].

بعد ذلك تمكن "أبو جميل" من فرض طاعته على مدينة مرسية حيث سار إليها بقواته سنة 636هـ/1239م و استولى عليها بمُساعدة أهلها، و في العام التّالي أرسل الأمير الحفصي"أبو زكريا" مرسومًا إلى "أبي جميل زيان" يقلّده ولاية شرقي الأندلس لكن لم تمضي إلاّ أيام قلائل حتّى خلعه من هذه الولاية "الواثق بالله ابن هود" الّذي بدوره كان تابعًا لملك قشتالة "ألفونسو التاسع"[2].

3 – علاقة الدّولة المُوحديّة بإمارة بني نصر:

من الأسر الّتي ثارت على المُوحدين بالأندلس نجد أُسرة "بني نصر" الذين ينسبون إلى "محمّد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي الأنصاري"، أصله من أرجونة و اشتهرت هذه الأسرة بقيادة الجُند و كانت لها وجاهة بين النّاس في ناحية أرجونة ، كما عرف "محمّد بن يوسف" هذا بلقب الشيخ و كذلك أخوه إسماعيل[3].

كان أهل الأندلس في حالة فزع و رُعب لتخلي المُوحدين عنهم و لعجزهم عن رد غزوات الممالك المسيحيّة فصاروا يرددون التنبؤات الّتي تقول بقرب ظهور رجل من أصناف الجند اِسمه أحمد و اِسم أبيه يوسف يتم على يديه إنقاذ أهل الأندلس و حمايتهم ، فاستلهم "محمد بن يوسف بن نصر" هذه النبوءة و جعلها علّة لبدء ثورته مثلما استغلها قبله "محمد بن يوسف بن هود" [4].

كما أنّ هناك سببًا أكثر واقعيّة جعلت "ابن نصر" يبادر للثورة هو فشل "ابن هود" في الدّفاع عن البلاد في وجه المسيحيين الّذين كانوا يقتسمونها بينهم ، ففي ذلك يقول ابن خلدون: "و انحجز ابن هود على الغربية لبعدها عنه و فقده للعصابة المتناولة لها و إن لم تكن

---

[1] – نفس المرجع، ع3، ق2، ص ص 444 – 451.

[2] – نفس المرجع، ع3، ق2، ص 458.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 230.

[4] – نفس المرجع و الصفحة .

صنعته في الملك مستحكمة و تكالب الطاغية على الأندلس من كلّ جهة و كثر اختلاف المسلمين منهم و شغل بني عبد المُؤمن بما دهمهم في المغرب من شأن "بني مرين"[1] من زناتة فكان في "محمد بن يوسف بن الأحمر" أمر الغربية و ثار بحصنه أرجونة و كان شجاعًا ثبتًا في الحُروب فتلقف الكرّة من يد ابن هود يجاذبه الحبل و يقارعه على عمالات الأندلس واحدة بعد الأخرى"[2].

أعلن "ابن نصر" ثورته في سنة 629هـ/1132م بحصن أرجونة حيث موطن أسرته ، كما استعان بأصهاره من بني أشقيلولة ، فأعلنت بعض البلاد الطّاعة و الولاء لابن نصر فدخلت في طاعته وادي آش و بسطة وشريش و جيان و قرطبة و قرمونة، و تسمى" ابن نصر" على إثر ذلك بأمير المُسلمين و خطب للعباسيين منافسًا في ذلك لـــ"إبن هود"[3] .

أدرك "ابن هود" مدى خطورة قيام "ابن نصر" بالثّورة عليه فقد اِعتبره خارجًا عليه حيث اعتبر أنّه الأمير الشرعي للبلاد ذلك أنّه قد ولي الأندلس بكتاب من الخليفة العباسي و نشبت بينهما حروب كثيرة حلّت الهزيمة بـــ"ابن هود" حيث يقول ابن الخطيب: "وجرت على ابن هود هزائم شهيرة و وقائع مذكورة، أوقع به السُلطان أبو عبد الله بن نصر ثلاث مرّات آخرهن سنة 633هـ-634هـ /1237م-1238م [4].

من ناحيّة أخرى فقد اتسعت دولة "ابن نصر" على إثر وفاة ابن هود سنة 635هـ/1238م فقد ثار أهل غرناطة بزعامة "ابن أبي خالد" على "الواثق بالله بن هود" و بايعوا "محمّد بن نصر" و استدعوه إليه ليكون واليهم فقبل ابن نصر ذلك وسار إليه بقواته حيث دخل المدينة في رمضان635هـ/مارس1238 م و اتّخذها عاصمة لدولته[5].

و في نفس السّنة استولى "ابن نصر" على مدينة ألمريّة من صاحبها "أبي عبد الله محمّد بن الرميمي"، و في العام التّالي 636هـــ/1239م أعلنت مدينة مالقة الولاء و الطّاعة لإبن نصر

---

[1]– بنو مرين : هم فرع من زناتة كان موطنهم ببلاد الزاب و يرتحلون في كل السهوب في المغرب الأوسط و الأقصى ثاروا على الموحدين بعد تداعي سلطانهم في المغرب و قد عرفوا بالقوة و الشجاعة وكثرة العدد و خاضوا حروبا عديدة ضد الموحدين و هزموهم في عدة مواقع و ستكون نهاية الدولة الموحدية على يد هؤلاء ، محمد ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1981، ص 107ومابعدها .

[2] – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج4، ص 170.

[3] – نفس المصدر و الصفحة.

[4] – ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 279.

[5] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 233.

الّذي بدوره قطع الخطبة عن العباسيين و خطب للموحدين في مراكش و خليفتهم "الرشيد" الّذي ما إن توفي سنة 640هـ/1243م حتى تحول" ابن نصر" عن المُوحدين و بايع "بني حفص" فشكره الأمير "أبو زكريا الحفصي" و بعث إليه مالا يستعين به في الجهاد ، لكن "ابن نصر" لم يحترم مجددًا هذه البيعة، فلما توفي "أبو زكريا الحفصي" قطع الخطبة عن الحفصيين و تلقب بأمير المسلمين و ولى من بعده ابنه "أبا سعيد" فتوفي هذا الأخير ثمّ عقد ولاية العهد لإبنه "محمّد" الملقّب بـــ"الفقيه"[1].

و كان هذا التاريخ هو مبدأ دولة "بني نصر" أو "بني الأحمر" في الأندلس حيث كانت آخر ممالك المسلمين في تلك البلاد و كان سُقوط هذه الدّولة سنة 898هـ/1492م[2].

[1] – الناصري، الإستقصا، ج3، ص 38.

[2] – أحمد محمد الطوخي ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997، ص 28.

أوّلاً: الحُروب و المعارك بين الجانبين قبل موقعة الأرك:

1 – تبادل الغزو بين الجانبين:

عندما أدرك النصارى أنّ دولة المُرابطين قد سقطت فعليًا و أنّ دعوة جديدة ظهرت بالمغرب وسوف تهدّد سُلطانهم في الأندلس، اِنتهزوا هذه الفُرصة و نظّموا شؤونهم الداخليّة و وقّعوا المُعاهدات فيما بينهم من أجل تقسيم البلاد بينهم، فعقدوا مُعاهدة تطيلة سنة 545هـ/1151م بين " ألفونسو السّابع" ملك قشتالة و "رامون برنجير الرّابع" ملك أراغون و اتّفقا على تقسيم مناطق غزواتهما القادمة حيث حصل ملك أراغون على حقّ غزو شرق الأندلس و حصل ملك قشتالة على حق غزو وسط و غرب الأندلس و أنشئوا لتحقيق هذه الغاية الجمعيات الدينيّة و أقطعوها بعض الحُصون لتكون في خطّ المُواجهة المُباشر مع المُوحدين[1].

المُوحدون من جهتهم قرّروا الإستعداد جيّدًا لغزو الممالك المسيحيّة و دفع ضررهم عن المُسلمين فأمر الخليفة "عبد المُؤمن" بإنشاء مدينة في جبل طارق و ملئها بالجُنود و الأقوات و السلاح و توفير فيها وسائل راحة الجند، كما أمر ببناء الأساطيل البحريّة حيث يذكر "ابن صاحب الصلاة" أنّ في هذه الفترة فقط بنيت مائتي قطعة في ميناء المعمورة[2] و في مدينة سلا مائة و عشرين بدون ذكر العدد الّذي صنع في الأندلس[3].

لكن جُهود المُوحدين هذه لم تصرف لمُجابهة المسيحيين و إنّما صرفت لقتال "ابن مردنيش" الثائر بشرق الأندلس حيث اِستنفذ هذا الأخير الكثير من جُهد المُوحدين، خاصّة في عهد "أبي يعقوب يوسف بن عبد المُؤمن" الذي ما إن تمكّن من شرق الأندلس حتّى قرّر غزو النصارى في مدينة وبذة فسار إليها في قواته الّتي بلغت حوالي مائة ألف مُقاتل و عشرون ألف فارس ، حيث سيطروا على الكثير من الحصون و القِلاع في طريقهم لكنّهم لم يتمكّنوا من

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 236.

[2] – المعمورة : مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) بها دار لصناعة السفن و ذلك لوفرة الخشب بالمناطق المجاورة لها كما أن وادي سبو يصب قربها فتخرج منه السفن الصغار التي صنعت داخل البلاد ؛ علي الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الجامعة الملكية ، الرباط ، 1992 ، ص 37.

[3] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ص 84 – 90.

المدينة رغم الحِصار الطويل الّذي ضربوه عليها و يمكن إرجاع هذا الفشل إلى نقص الخبرة العسكريّة لدى الخليفة الجديد[1].

و يظهر ذلك جليًا عندما سار الخليفة "أبو يعقوب يوسف" من وبذة إلى قونقة[2] و كانت مدينة إسلاميّة حيث أنّه لم يترك فيها أي حامية عسكريّة رغم ما تُمثّله هذه المدينة من النّاحية الإستراتيجيّة فهي أمنع وأحصن مُدن شرق الأندلس، و قد اِكتفى الخليفة بتوزيع المُؤن و الصدقات على أهلها، لذلك تفطّن ملك قشتالة لهذا الخطأ الفادح و أرسل قُوّاته إلى حصار هذه المدينة الّتي دام تسعة أشهر فأراد الخليفة تدارك الوضع و أمر والي قُرطبة بغزو جهات طليطلة ، كما أمر والي إشبيليّة بغزو جهات طلبيرة على أمل أن يبلغ ذلك إلى ملك قشتالة فيرفع الحِصار عن المدينة و يسير لمُواجهتهما لكن هذه الخطّة باءت بالفشل حيث أن القوّات المُوحديّة سارت إلى وجهتها دون أن يحرّك ملك قشتالة ساكنًا[3].

ترتّب على سُقوط مدينة قونفة امتداد حدود مملكة قشتالة ناحية شرقي الأندلس، كما أغرت ملكها بمزيد من الغزوات من أجل الاستيلاء على مدينتي قُرطبة و إشبيليّة فسار بقُواته سنة 578هـ/1182م و هاجم مدينة قرطبة لكنّه أدرك صعوبة الإستيلاء عليها فأقلع عنها و قام بغزو مالقة و غرناطة ثمّ انتصر على الموحدين في قرمونة فأخذ جُنوده يتجولون بلا خوف يقتلون و يأسرون و ينهبون كلّ ما يُصادفهم[4].

بعد ذلك قرر ملك قشتالة التوجه نحو مدينة إستجة[5] فهاجمها و كاد يتغلّب عليها لولا بسالة واليها "أبي محمّد بن طاع الله الكومي" فأقلع عنها و سار إلى مدينة رندة فخرّب زُروعها

---

[1] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص ص 403-409.

[2] –قونقة : و يكتبها الحميري بـــ"قونكة" و هي بلاد واسعة بالأندلس تحتوي على عدة مدن أهمها والموا ؛ الحميري ، الروض المعطار، ص602.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 249.

[4] – نفس المرجع، ص ص 258 – 253.

[5] – إستجة : مدينة بالأندلس على الطريق الشرقي من قرطبة إلى المغرب و إسمها يعني في لغة أهلها " جمعت الفوائد"و هي مدينة مسورة حصينة عليها عدة أبواب أهمها : باب القنطرة و باب إشبونة و باب رزوق و باب السويقة ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 53.

و انتقل عنها إلى الحُصون المُجاورة لها فحصل على حصن المنار و حصن شنتفيلة[1] الّذي يُعتبر قلعة دِفاعيّة متقدّمة عن اشبيلية و قُرطبة[2].

أدرك المُوحدون أهميّة هذا الحصن فسار "أبو إسحاق" والي إشبيليّة لاسترداده بعدما أقلع عنه ملك قشتالة الّذي ترك فيه حامية تتكوّن من ألف راجل و خمس مائة فارس فضيق عليهم لكن ملك قشتالة لمّا سمع بالخبر رجع إلى الحِصن فوجد الكثير من جُنده قد مات بسبب الحِصار فأخلاه و عاد بقُواته إلى بلاده[3].

اِنتهز أحد القادة المُوحدين و هو "أبو عبد الله بن واندوين" عودة ملك قشتالة إلى بِلاده فسار بِقُواته في جمادي الثاني 578هـ/1182م لغزو مملكة قشتالة، فسلك طريقًا بعيدًا عن طريق عودة الملك ثمّ نجح في عبور نهر التاجة[4] دون أن يكشف عن وُجوده فاِلتقى بحامية نصرانيّة تتألّف من عشرين فارس فقتلها لكن أحد أفرادها تمكّن من الفِرار و أخبر الملك بذلك، فارتاع الملك و دهش حيث منذ سبعين عامًا لم يرى مسلمًا في تلك الأرض إلا من كان أسيرًا[5].

استمرّ المُوحدون في زحفهم حتّى بلغوا جهات طلبيرة فغنموا و سبوا ثمّ أخذوا في العودة لكن القشتاليين في هذه النواحي جمعوا قُواهم و ساروا وراء المُوحدين لقِتالهم، فنشبت بين الطرفين موقعة على بعد ثمانية أميال من طلبيرة فحلّت الهزيمة بالنصارى و قتل عشرة آلاف فارس و راجل و استولى المُوحدون على عتادهم و دوابهم[6].

لما عاد المُوحدون إلى إشبيليّة بعث "ابن واندوين" بالخبر إلى الخليفة فسرّ كثيرًا بهذا النّصر لكنّه غضب على السيد أبو إسحاق لعدم اشتراكه في هذه الغزوة كما عاقب جميع من تخلّف عنها من الجُنود فحرمهم من العطاء[7] لقد كان لهذه الغزوات المُوحديّة أثر كبير في نُفوس

---

[1]– شنتفيلة : ويكتبها الحميري بـــ"شنتفيرة " و هي حصن بالأندلس بالقرب من مرسية في شرقيها مشهور بالحصانة و المناعة ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 348.

[2] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع، ص 253.

[3] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 103 – 104.

[4]– نهر التاجة : هو نهر عظيم يشق طليطلة ومنبعه من أرض الجلالقة و يصب في البحر الرومي و عليه قنطرة قديمة البنيان ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 127.

[5] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 255.

[6] – محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 105.

[7] – الناصري، الإستقصا، ج2، ص 137.

المسيحيين حيث قرّر ملك قشتالة منذ سنة 585هـ/1189م [1] تكثيف غزواته في الأندلس الإسلاميّة و استعان في ذلك بفُرسان الجمعيات الدينيّة و كذلك رِجال الدّين و على رأسهم مطران طليطلة "مارتن لوبيث" حيث وصلوا بغزواتهم إلى أحواز قرطبة و إشبيلية فغنموا وسبوا و قتلوا كثيرًا من المسلمين[2].

و في هذه الأثناء عبر الخليفة يعقوب المنصور بجُيوشه إلى الأندلس سنة586هـ/ 1189م و قرّر غزو ملك قشتالة في عقر داره، لما تنبّه ملك قشتالة لذلك عرض الصُلح على الخليفة المُوحدي فقبل هذا الأخير بذلك و سار إلى مدينتي شلب و قصر أبي دانس[3] فاستردهما و عاد إلى مراكش[4].

2 – حُروب الموحدين مع مملكة ليون:

مثلما قام ملك قشتالة بعقدة اتفاقيّة تطيلة مع ملك أراغون، عقد اِتفاقيّة أخرى مع ملك ليون "فرناندو الثاني" في مدينة ساهاجون سنة 534هـ/1158م و اِتفقا على إقامة السّلام بينهما و التّعاون معًا على جميع أعدائهما و كذلك تقسيم البلاد الإسلاميّة في الأندلس بينهما حيث حصل ملك ليون على حقّ غزو المناطق الواقعة بين أشبونة و لبلة حيث تضم لبلة و متنانجش و بطليوس و شلب و بابرة و ميرتلة و ماردة و أشبونة، إضافة إلى نصف إقليم إشبيليّة[5].

و من أجل تحقيق هذه الغاية ساهم ملك ليون في إنشاء الفرق العسكريّة التّابعة للجمعيات الدينيّة الّتي عرفت بحماس شديد اِتّجاه مُقاتلة المُسلمين حيث ظهرت الجمعيّة الأولى سنة 551هـ/1156م عندما اِتّفق فارسان هما "سويرو" و "جوميث" على أن ينذرا بحياتيهما لقِتال المسلمين فالتحق بهم كثير من النساك و الزّهاد و الأساقفة و الفرسان ممن وهبوا أنفسهم

[1]– في سنة 580هـ/1184م توفي الخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن " بعد جراح تلقاها في غزوة شنترين التي سيتم التطرق لها في المبحث القادم ، و خلفه ابنه يعقوب المنصور سنة 580هـ/1184م ؛ أنيسة بركات درار ، المرجع السابق ، ص 80.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 257.

[3]– قصر أبي دانس : مدينة تقع غربي الأندلس ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 475.

[4] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 176.

[5] – مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 104.

لتلك الغاية و عرفوا بجماعة" سان جوليان دل بربرا" ثمّ تحوّل اسمها إلى جماعة "فرسان القنطرة"، كما بارك "البابا إسكندر الثالث"[1] هذه الجمعيّة سنة 571هـ/1176م[2].

لم يقف دور البابوية عند هذا الحد بل حرضوا على قيام جمعيّة أُخرى هي جمعية القديس ياقب الّتي ضمّت كبار اللّصوص و قِطاع الطُرق الذين كانوا يعيشون حياة همجيّة، ثمّ تابوا على يد رِجال الدّين المسيحيين و عينوا "بيدرو فرناندیز" قائدًا لهم[3]، و قام فرسان هاتين الجمعيتين بغزو الأندلس و تحقيق عدّة انتصارات ، كما كانوا يُشاركون في الجُيوش المسيحيّة فعني بهم "فرناندو الثاني" ملك ليون عناية خاصّة فأغدق عليهم الأموال و الهبات و الإقطاعيات الشاسعة في أنحاء مملكته، كما عنيت البابوية بهم فمنحهم "البابا إسكندر الثالث" و "البابا أنوسنت الثالث"[4] كثيرًا من الهبات و الامتيازات الدينيّة ممّا أدّى إلى اِزدياد الحماس الدّيني عند المسيحيين من أجل قِتال المسلمين[5].

في سنة 553هـ/1168م عرض ملك ليون مُعاهدة سِلم مع المُوحدين لكن سُرعان ما نقضها سنة 558هـ/1173م عندما عرض قواده و فُرسان تلك الجمعيات على غزو أراضي المُسلمين حيث خرج "شان مينوس" و المسمّى بالأحدب في المصادر الإسلامية بقواته من مدينة آبلة[6] و عبر نهر الوادي الكبير فشنّ غاراته على جنوبي قُرطبة و استجة حتّى بلغ أحواز إشبيلية، غنم كلاهما خمسين ألف رأس من الغنم و أسر أكثر من مائة و خمسين رجل ثمّ عاد إلى بلده[7].

---

[1] – البابا إسكندر الثالث : إسمه الحقيقي "أورلاندو باندلي" ولد سنة 1105 بمدينة سيينا الإيطالية ، تولى منصب البابا يوم 7 سبتمبر 1159 بعد وفاة البابا ادريان السادس واصل الصراع الطويل الذي كانت تخوضه البابوية ضد الإمبراطورية الرومانية و كذلك عرف بإذكائه الشديد للحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس ، توفي يوم 30 أوت 1181 ؛ سعيد عبد الفتاح ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 ، ص 348.

[2] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 304.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق ، ص 305.

[4] – إنوسنت الثالث (1160م-555هـ/1216م-613هـ): ولد في أجنابي بإيطاليا و اسمه الأصلي لوثر السيجاني من أبرز باباوات القرون الوسطى عرف عنه النشاط الكثيف من اجل إعادة إحياء قوة السلطة البابوية حيث عمل بجهد كبير لفرض سيطرتها على العديد من الممالك المسيحية التي كانت خارجة عنه عن طريق سن القوانين و الشرائع التي تثبت ذلك من جهة و كذلك التي تنظم عمل السلطة البابوية من جهة أخرى كما كان متحمسا جدا لفكرة الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس ؛ سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص 198 .

[5] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع، ص 305.

[6] –آبلة : مدينة من غرب الأندلس أصبحت تابعة لمملكة البرتغال في هذه الفترة ؛ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 164.

[7] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ص 428- 429.

لّما علم الخليفة "أبو يعقوب يوسف" بهذه الأنباء جهّز جيشًا من المُوحدين و كلّفه بملاحقة "شان مينوس الأحدب" و كان بقيادة أخي الخليفة " أبو زكريا"، فعبروا نهر الوادي الكبير و لاحقوا فرسان "شان مينوس" حتّى أشرفوا على قلعة رباح[1] فنشبت بينهم معركة دامية أفني فيها المسيحيون و قُتِل"شان مينوس" ، كما استولى المُوحدون على غنائم المسيحيين و فكوا أسرى المُسلمين و بعثوا إلى الخليفة يخبرونه بهذا النّصر ففرح لذلك كثيرًا و أثنى على جُنده لكن دبّ الذعر في صفوف النصارى و أعدوا العدة من أجل الثأر لإخوانهم [2].

بعد ذلك بعام قام ملك ليون بغزو الأندلس مجدّدًا فجهّز الخليفة "أبو يعقوب يوسف" جيشًا للرد على غزوات ملك ليون و تأديبه في عقر داره و امّر على هذا الجيش "أبا حفص عمر بن عبد المُؤمن"، فخرج من إشبيليّة سنة 570هـ/1174م و استردّ كافة الحُصون الّتي استولى عليها الليونيون طيلة ثلاثين سنة، فأثارت هذه الانتصارات المُوحديّة اِستياء البابا "إسكندر الثالث" الذي ناشد المسيحيين الإسبان على مُواصلة قتال المسلمين و جعل لكلّ من يستجيب لندائه الغفران و البركة[3].

انتهز ملك ليون هذه الدعوات البابوية و كذلك عبور الخليفة إلى المغرب فكثّف من غزواته على أراضي المُسلمين دون أن يُحقّق نصرًا حاسمًا، فقد كان يضرب الحصار على عدّة مُدُن دون أن يدخل إليها، و استمرّ هكذا حاله إلى أن شارك مع البرتغاليين في معركة شنترين الّتي هزم فيها المُوحدون[4].

3 – حُروب المُوحدين مع مملكة البرتغال:

لّما رأى الخليفة" أبو يعقوب يوسف" اِزدياد خطر الممالك المسيحيّة في الأندلس على المُسلمين قرّر تجهيز جيش يقوده بنفسه من أجل إزالة هذا الخطر الدّاهم فسار أوائل سنة 580هـ/1184م إلى سبتة و مكث هناك حتّى وصلت إليه جُيوش المغرب من البربر : زناتة

[1] – قلعة رباح : مدينة بالأندلس من أعمال جيان ، بين قرطبة و طليطلة و هي مدينة حسنة و لها حصن حصين على نهر آنه و يوم أن حررها المنصور الموحدي كان النصارى قد ملكوها لأكثر من 50سنة ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 469.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص ص 430 – 431.

[3] – الناصري، الإستقصا، ج3، ص 135 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 310.

[4] – هشام أبو رميلة ، نفس المرجع، ص 310.

و مصمودة و مغراوة[1] و صنهاجة و من العرب: رياح و زغبة ثمّ تبع هذه القوات الجيش النظامي ثمّ عبروا إلى الأندلس حتّى وصلوا إلى إشبيليّة[2].

و كانت مملكة البُرتغال أكثر الممالك غزوًا للمُسلمين فقرّر الخليفة سحقها بجيوشه حتّى إذا أحرز عليها نصرًا سهلاً أذعنت له الممالك الأخرى و كانت خطّته تقضي بمُهاجمة مملكة البرتغال برًا و بحرًا ثمّ الزّحف عبر نهر التاجة إلى قلب مملكة قشتالة النصرانيّة، و لكي تنجح هذه الخطّة كان يجب الإسراع في تحقيقها كي لا يترك للمسيحيين الوقت من أجل التسليح وإصلاح القلاع و أخذ اِحتياطات الحصار[3].

قصد الخليفة "أبو يعقوب يوسف" بجُيوشه نحو إشبونة حاضرة مملكة البرتغال لكن كان لزامًا عليه أن يسيطر على قلعة "شنترين" الواقعة في ضفة وادي التاجة فضرب عليها حصارًا و تمكّن من دخول المدينة بعد ثلاث أيام إلاّ قصبتها فقد احتمت بها الحامية البرتغالية و ذلك يوم 22 ربيع الأوّل 580هـ/جويلية 1184م ، بعدها قام الخليفة "أبو يعقوب" بتحويل معسكر الجيش من شرق شنترين إلى شمالها الغربي فعارضه القادة الّذين عاملهم كجند ينفذون أوامره ممّا أثار مرارة شديدة في نفوسهم[4].

أمر بعد ذلك الخليفة" أبو يعقوب" اِبنه "أبا إسحاق" التوجّه صباحًا نحو إشبونة و يُهاجمها كي يحمي شنترين من هُجوم مباغت و تأمين قُواته من أي مُفاجأة غير سارة لكن "أبا إسحاق" بدل من أن يتّجه إلى إشبونة صباحًا، سار ليلاً لكن إلى إشبيليّة و في تلك الأثناء كان" سانشو ابن الفونسو هنركيز " يتّجه ليلاً نحو شنترين بجيش قوامه خمسة عشر ألف مُقاتل، فلمّا نفذ الخليفة خطّته بتبديل مواقع المُعسكر وجد نفسه وجهًا لوَجه مع قوات البرتغاليين الّذين تدعموا في الصباح بقوّة أخرى قوامها عشرون ألف مقاتل بينما وجد الخليفة "أبو يعقوب" نفسه في معسكر يضم آلات الحصار و قوافل العتاد و مجموعة صغيرة من حرسه الخاص بينما القوات الأخرى كانت في صحبة ابنه الّذي اِتّجه نحو إشبيليّة في موقف مبهم[5].

---

[1]– مغراوة : هم بطن من زناتة و هناك من يعتبرهم قبيلة منفصلة بذاتها و هم إخوة بني يفرن و بني واسين ، بوزيان الدراجي ، المرجع السابق، ص 172.

[2] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 71.

[3] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ج2، ص 72 ؛ أميروسيو هويثي ميراند، المرجع السابق، ص 285.

[4] – نفس المرجع، ج2، ص 73 ؛ نفس المرجع، ص 294.

[5]– المرجع السابق، ج2، ص 74.

و على كلّ حال فإنّه في صباح اليوم الثاني هجم البرتغاليون على معسكر الخليفة "أبي يعقوب" و قتلوا أغلب من كان فيه و وصلوا إلى خيمته و قتلوا من وجدوه بها، لكن رغم ذلك فإنّ الخليفة لم يتخلّ عن جُنده بل قاتل معهم جنبًا إلى جنب و أظهر شجاعة و بسالة نادرة حتّى طعنه أحد النصارى فوقع أرضًا و يشير "ابن خلدون" و "ابن عذاري" أنّ هذه الطّعنة كانت سبب وفاته بعد أيام من يوم المعركة و تحديدا يوم 18 ربيع الثاني 580هـ/أوت 1184م [1].

لّما وصلت هذه الأنباء إلى "أبي إسحاق" اِرتدّ بجيشه نحو أرض المعركة فاشتبك مع قُوات البرتغاليين على ضفاف نهر التاجة و قاتل الطرفان ببسالة وكانت معركة متكافئة بين الطرفين تكبد فيها الطرفين خسائر كبيرة ، وقدرت فيها خسائر المُسلمين بثلاثين ألف قتيل، لكن رغم ذلك تمكّن المسلمون من الحصول على قلعة شنترين ثمّ رجعوا إلى إشبيليّة[2].

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص ص 162-163 ؛ إمبروسيو هويثي ميراندا ، نفس المرجع و الصفحة

[2] – أمبروسيو هويثي ميراندا، نفس المرجع ، ص 75.

ثانيـــاً: موقعتي الأرك و العقاب و النتائج المترتّبة عنهما:

1 موقعة الأرك و نتائجها:

إنّ السياسة الّتي انتهجها الملوك المسيحيين اِتجاه الأندلس الإسلاميّة و خاصّة ملك قشتالة حيث كان يوقع السّلم مع المُوحدين ثمّ يرسل سرا للإغارة على الحصون و القلاع ؛ أدّت إلى اِستياء الخليفة الموحدي "أبو يوسف يعقوب المنصور"[1]، الّذي وصلته رسالة من ملك قشتالة يتهدّد و يتوعّد الخليفة، كما يُطالبه بالتنازل عن بعض الحصون فثارت حمية الخليفة و كتب إلى ملك قشتالة يتحداه للقتال و على ظهر الرسالة : "اِرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها و لنخرجنهم منها أذلة و هم صاغرون" ثمّ كتب "الجواب ما ترى لا ما تسمع"[2].

إنّ هذه الرّسالة تظهر مدى الغيظ و الحنق الّذي بلغ الخليفة جراء تكبر ملك قشتالة و قتاله للمسلمين، فاستنفر الخليفة النّاس و الجند المتطوعة و الجيش النظامي ثمّ عبر إلى الأندلس سنة 591هـ/جوان 1195م فنزل في طريف ثمّ الجزيرة الخضراء إلى أن استأنف مسيره نحو إشبيليّة فعسكر بها أسبوعين و رحل عنها شمالاً نحو قلعة رباح[3].

بدوره ملك قشتالة اِستجاب لتحدّي الخليفة فسار بقُواته من طليطلة للقاء المُوحدين فتوقّف في قلعة الأرك[4] ينتظر وصول ملك ليون بقواته كي يشترك إلى جانبه لكن هذا الأخير لم يصل في الموعد المحدّد و كان جيش ملك قشتالة يتكوّن من حوالي مائة ألف مقاتل من الفرسان و المشاة، لمّا بلغ ذلك إلى الخليفة "أبو يوسف يعقوب المنصور" توجّه نحو حصن الأرك من أجل

[1] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 189.

[2] – ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص 430.

[3] – الناصري، الإستقصا ، ج2، ص 167.

[4]– حصن الأرك : و هو حصن بالقرب من قلعة رباح و كانت تتحصن به حامية نصرانية قشتالية و تغزو من حين لآخر المسلمين الآمنين فقرر المنصور القضاء عليها و استرجاع الحصن ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 27.

قتال المسيحيين[1]، و في هذه الأثناء كان كلّ من الطرفين يبعثان بسراياهم من أجل التجسس على أحوال المعسكر الآخر فإكتشف المُوحدون سرية لملك قشتالة تتجسس عليهم بمقربة من معسكرهم و قاموا بقتلها عن آخرها[2].

إستشار الخليفة "يعقوب المنصور" كبار القادة المُوحدين و الأندلسيين في رسم خطّة للقتال ثمّ اختصّ أهل الأندلس بمزيد من المشورة و قال لهم: "إنّ كلّ من استشرته و إن كانوا أولي بأس و معرفة بالحرب لكنّهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم و تمرسهم بكم، فأشاروا عليه برأي أبي عبد الله بن صناديد"[3].

لخّص رأي "ابن صناديد" في تقسيم الجيش إلى قسمين؛ يشمل القسم الأوّل جميع الحشود و الجنود العرب و الأندلسيين و المطوعة و قبائل البربر و يكونون تحت قيادة أحد كبار القادة فيخوض بهم المعركة و هو يحمل راية الخلافة فيعتقد المسيحيون أنّه الخليفة و يشمل القسم الثاني جُند المُوحدين و الحشم و العبيد تحت قيادة الخليفة نفسه يقف بهم على أهبة الاستعداد في مكان قريب متواريا عن الأنظار، فيدخل المعركة في الوقت المناسب خاصّة إن بدت الهزيمة على المسلمين[4].

قسّم الخليفة الجيش الأوّل إلى مُقدّمة و قلب و جناحين فجعل في المُقدّمة المطوعة من حملة الرماح الطويلة و جعل في الميمنة الجند الأندلسيين بقيادة "ابن صناديد" و في المسيرة قبائل زناتة و المصامدة و العرب، أمّا القلب فكان بقيادة القائد العام "أبو يحي بن أبي حفص" مع جند قبيلة هنتاتة، أمّا الخليفة "أبو يوسف يعقوب المنصور" فقد تولى قيادة القوّة الاحتياطية المكوّنة من صفوة الجند الموحدي متواريا عن الأنظار بالقرب من مكان المعركة[5].

أمّا خطّة ملك قشتالة فكانت تتلخّص في حصر جيشيه بين قلعة الأرك من اليمين و بعض التلال الوعرة من اليسار و كان الجيش القشتالي يحتل مكانًا عاليًا بالنّسبة للجيش الموحدي[6]

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 261.

[2] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ، ص 193.

[3] – الناصري، الإستقصا، ج2، ص ص 167 – 168.

[4] – نفس المصدر، ج2، ص 168 ؛ محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ع3، ق2، ص 20 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 261.

[5] – نفس المصدر ،ج2، ص 169 ؛ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 201.

الموحدي[1] و نشبت المعركة يوم الأربعاء 9 شعبان591هـ/1195م و تقدّمت بعض صفوف المُسلمين إلى سفح الجبل الّذي كان يحتله القشتاليون فإندفع سيل من الفرسان القشتاليين يقدر عددهم بسبعة أو ثمانية آلاف فردوا المسلمين ثمّ هاجموا ميسرة الجيش مرتين فردهم العرب و البربر لكن ملك قشتالة عزّز تلك الفرقة بقوات إضافيّة مكّنته من تفكيك الميسرة و الهجوم على القلب عندما رأوا راية الخلافة ظنًا منهم أنّه الخليفة فقتل كثير من المسلمين في هذه الصدمة من بينهم القائد العام للقوات الموحدية "أبو يحيى بن أبي حفص"[2].

اعتقد القشتاليون أنّ النّصر لاح لهم عندما رأوا أنّهم سحقوا ميسرة و قلب الجيش المُوحدي لكن عندئذ قامت ميمنة الجيش الموحدي بقيادة "ابن صناديد" بالهجوم على قلب الجيش المسيحي الّذي كان ملك قشتالة يتولّى الدّفاع عنه بصُحبة عشرة آلاف من الفُرسان المخلصين فهب جميع الجند المسيحي لنجدة ملكهم عندئذ تدخّل الخليفة بقواته النظامية و سحق الجيش القشتالي سحقًا ذريعًا قام خلالها الملك باللّجوء إلى حصن الأرك و من ثمّ فر نحو طليطلة عاصمة ملكه في ثلاثين من قواده[3].

و قد قدرت خسائر موقعة الأرك بخمس مائة رجل من الجيش الموحدي و ثلاثين ألفًا من المسيحيين و أسر منهم أربعة و عشرين ألفا منَّ عليهم الخليفة المنصور بإطلاق سراحهم، فعزَّ ذلك على المسلمين و عاتبوا خليفتهم الّذي صرّح في آخر أيامه أنّ إطلاقه لسراح هؤلاء الجنود كانت من أكبر غلطاته ذلك أنّ هؤلاء الجنود ما لبثوا أن عادوا لقتال المسلمين من جديد للأخذ بثأرهم [4]، بعد ذلك دخل الخليفة إلى حصن الأرك ثمّ إتّجه نحو قلعة رباح و بعض القلاع القريبة منها فملكها و عاد المُوحدون إلى إشبيليّة ليأخذوا قسطًا من الرّاحة من أجل حروبهم القادمة[5].

و كان رد فعل المسيحيين على هزيمة الأرك بأن جمعوا جُيوشًا أخرى لقتال المُوحدين لكن "يعقوب المنصور" تمكّن من هزيمتهم و دحر جيوشهم ففي ذلك يقول ابن الأثير: "أمّا الفنش فإنّه لما إنهزم حلق رأسه و نكسَّ صليبه و ركب حمارًا وأقسم أن لا يركب فرسًا و لا نعلاً حتّى

[1] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 82.

[2] – الناصري، الاستقصا، ج2، ص 170.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 269.

[4] – الناصري، الإستقصا، ج2، ص 183.

[5] – هشام أبو رميلة، ، نفس المرجع ص 268.

تنصر النصرانيّة.... فجمع جموعًا عظيمة و بلغ ذلك إلى يعقوب فأرسل إلى المغرب يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من المتطوعة جمع عظيم"[1].

يظهر من خلال النص السابق أن الخليفة "يعقوب المنصور" بدأ يستعد لغزو مملكة قشتالة، فاستدعى إليه الحشود و هيّأ الأمر من أجل إرسال الجيوش، فلمّا علم بذلك ملك قشتالة آثر أن يعقد الصلح مع الموحدين حتّى يتفرّغ لقتال جاريه ملك ليون و ملك نافار، فأرسل رسله تترا إلى إشبيلية لكن الخليفة "يعقوب المنصور" رفض و استقرّ رأيه على غزو بلاد الجوف أي منطقة استرامادورة لاسترداد ما انتزعه المسيحيون من قواعد و حصون في هذه المنطقة[2].

و في منتصف رجب 592هـ/أبريل 1196م خرج الخليفة المنصور من إشبيليّة و كانت طليعة الجيش تتألّف من الجند الأندلسي بقيادة "أبي عبد الله بن صناديد" فغزا حصن منتانجش و ضرب الحصار عليه ثمّ وصل الخليفة ببقية الجيش في اليوم التالي فعرض المسيحيون النزول عن الحصن مُقابل الأمان فوافق الخليفة، و كان لهذا الفتح صدى في مسامع المسيحيين المُجاورين حيث تخلى أهل مدينة ترجالة عنها دون أن يصل إليهم المُوحدون[3].

بعد ذلك عبّر المُوحدون نهر التاجة و استولى على بعض المُدُن و الحصون فانتهز ملك ليون "ألفونسو التّاسع" و طلب العون من المُوحدين على قِتال ملك قشتالة فوافق المُوحدون على ذلك و اشتركوا معه في غزو مملكة قشتالة، ثمّ زحف المُوحدون بعد ذلك شرقًا صوب مدينة طليرة و هم يثخنون تخريبًا و قتلاً و سبيًا، فهاجموها و انتسفوا زرعها لكنّهم لم يتمكّنوا منها ثمّ ساروا شمالاً حتّى مدينة مكادة فألحقوا بها التخريب و الدمار ثمّ نزلوا جنوبًا إلى طليطلة و خرّبوا أحوازها و دمّروا زرعها ثمّ استعرضوا جيوشهم و فرسانهم بظاهرها و لم يتمكّن ملكها من الخروج إليهم لإيقانه بالهزيمة بعدها قرّر الخليفة أن يعود إلى إشبيليّة لإراحة الجند الّذين قضوا ثلاثة أشهر في هذه الغزوة[4].

حفت الأخطار بملك قشتالة من المُوحدين فسعى لعقد صلح أو هدنة مع الخليفة "أبي يوسف يعقوب المنصور" بأي ثمن لكن الخليفة رفض ذلك و قرّر في جمادى الثانية

[1] – نفس المرجع ، ص 273.

[2] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 269.

[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 269.

[4] – محمد عبد الله عنان،نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 220.

593هـ/أبريل 1197م أن يسير بجيوشه من إشبيليّة إلى قرطبة فقسم فيها جيشه و رتبه من أجل الغزو قاصدا طلبيرة، فلمّا عبر الحدود وفدت إليه رسل ملك قشتالة ثانية يعرضون عليه الصلح أو الهُدنة لكنّه أمر بصرف السفراء دون مُقابلتهم[1].

سار الخليفة يعقوب المنصور نحو مكادة فحاصرها مدّة من الزّمن ثمّ علم أنّ ملكا قشتالة و أراغون قد اِجتمعا بقُواتهما في حصن مجريط من أجل قتال المُوحدين، فأقلع حينئذ من حصار مكادة و توجّه نحو حصن مجريط لقتال جيوش المسيحيين لكنّهم فرّوا عندما سمعوا بذلك، فسار المنصور نحو قلعة هنارس ثمّ وادي الحجارة[2] ثمّ فقل راجعًا إلى إشبيليّة و لم يعاود الغزو بعد ذلك حتّى وافته المنية[3].

لكنّ بعد ذلك توسّل إليه الملوك المسيحيون بشتّى الوسائل لكي يجيبهم إلى الصُلح لكنّه رفض مرارًا و تكرًا ، و في الأخير اِستجاب لمطلبهم و عقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة حيث يعلق على هذه المُعاهدة أوكالاهان بقوله: "إنّ الخليفة المنصور بِمُوافقته على عقد معاهدة صلح قدم منحة ثمينة لملك قشتالة" لكنّ السبب الّذي جعل المنصور بعقد مُعاهدة الصلح هذه رغم تفوقه العسكري و ضعف أعدائه أمامه هو ثورة بني غانية و استفحال أمرهم بإفريقيّة[4].

توفي الخليفة "يعقوب المنصور" ليلة الجمعة 22 ربيع الثاني 595هـ/22 يناير 1199م و خلفه ابنه "محمّد النّاصر"، و كان الخليفة "أبو يوسف يعقوب المنصور" قد أوصى باليتيمة و الأيتام فسأل عمّا يقصد فقال اليتيمة هي جزيرة الأندلس و الأيتام هم سُكانها المُسلمون[5]، لكنّ الأحداث القادمة سوف تظهر مدى التزام خَلِيفَة المنصور بوصية والده حول الأندلس و سُكّانها المسلمون.

و بصفة عامة فقد ترتّب على موقعة الأرك نتائج آنية تلخصت في القضاء على قوات الممالك المسيحية و جعلتها تحتاج إلى عدّة سنوات لكي تنهض من كبوتها و تستعيد مكانتها،

---

[1]- نفس المرجع ، ع3 ،ق2 ، ص 221.

[2]- وادي الحجارة : هي مدينة بالأندلس و تعرف باسم مدينة الفرج تقع شمال قرطبة بالمقربة من طليطلة و هي مدينة حسنة كثيرة الخيرات و الأرزاق جامعة للغلات و لها أسوار حصينة ومياه عذبة ، الحميري ، الروض المعطار ، 606.

[3] - هشام أبو رميلة، المرجع السابق ، ص 273.

[4]- نفس المرجع، ص 274.

[5] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 237.

كما جعلت الخوف و الفزع يدبّ في نفوس الممالك الأُخرى ممّا جعلها تهرول لعقد الصلح و الهدنة مع الخليفة "المنصور" و دفع الأتاوات الباهظة.

2 – معركة حصن العقاب و نتائجها:

بعد عودة "يعقوب المنصور" إلى المغرب ثمّ وفاته حاول المسيحيون إعادة ترتيب صفوهم خاصّة بعد الدعوات الملحّة من البابوية فتمّ عقد صلح بين قشتالة و ليون و ذلك بتزويج أميرة قشتالة "برنجيلا" من "ألفونسو التاسع" ملك ليون و بالتّالي انتهت الخلافات بين هاتين المملكتين و تحالفا من أجل قتال كلّ من يعترض طريقهما، من ناحية أخرى وقع ملك نافار على مُعاهدة صلح مع ملك قشتالة سنة 604هـ/أبريل 1207م تقضي بعدم تعرّض أي طرف للقتال من الطّرف الآخر و لم تمضي إلاّ أيام قلائل حتّى عقد ملك قشتالة مجدّدًا مُعاهدة صلح و وئام مع ملك البرتغال و هكذا أصبحت الممالك المسيحيّة في حالة سلم و مهادنة فيما بينهم و غدا ملك قشتالة مستعدًا للثأر من موقعة الأرك[1].

و في سنة 606هـ/1209م انتهت مُعاهدة الصلح الّتي كان قد عقدها ملك قشتالة مع المُوحدين فلم يسع لتجديدها بل أخذ فُرسانه و بدأ غزو الأندلس فخرّب كثيرًا من أراضي المُسلمين و وصل حتّى مدينة مرسية، بلغت هذه الأخبار إلى الخليفة "محمّد الناصر" فأقلقته كثيرًا و قرّر غزو المسيحيين في الأندلس و بعث يستنفر قبائل العرب و البربر فاِجتمع له جيش ضخم قُدرته بعض الروايات من خمس مائة ألف مُقاتل إلى ست مائة ألف مُقاتل و عبر" الناصر" بجُيوشه نحو الأندلس ، فلمّا بلغت هذه الأخبار إلى الملوك المسيحيين أتاه ملكا نافار و ليون يطلبون الصُلح فوافق "الناصر" على ذلك لكن هاذين الملكين كانا يبيتان نية الغدر بإيعاز من ملك قشتالة[2].

قد كان لجيوش الناصر هذه وقع عظيم في كامل أوروبا حيث لم تمضي إلاّ أيام قلائل حتّى وفد إليه سفير ملك إنجلترا يطلب منه عقد اِتفاق على غزو مملكة فرنسا حيث يقوم ملك إنجلترا بغزوها من الشمال و يقوم الناصر بغزوها من الشرق بعد دحر الممالك الإسبانيّة خاصّة بعدما قدم سفير الملك تقريرًا ورد فيه أنّ جُيوش الناصر سوف تسحق الممالك الإسبانيّة جميعًا[3]،

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 264 – 265.

[2] – نفس المرجع ، ص 277.

[3] – نفس المرجع، ص 278.

فلما وصل هذا النبأ إلى البابا "إنوسنت الثالث" بعث إلى المُلوك الإسبان يخبرهم و يحذرهم من الفرقة و يحثّهم على الإتحاد[1].

سار الخليفة في نفس العام المذكور بجُيوشه صوب مملكة قشتالة فاخترق أراضي أبدة و بياسة فأشار عليه وزيره "أبو سعيد بن جامع" بالاستيلاء على قلعة شلبطرة[2] فحاصرها مدّة طويلة حتّى استزل أهلها على حُكمه و أعطاهم الأمان لكن في هذا الحصار نفذت منه المُؤن فرجع إلى إشبيليّة و استجمع قواه مرّة ثانيّة و استنفر الناس فجاءته قوات كثيرة من المغرب و الأندلس[3].

سعى ملك قشتالة لتنظيم حملة صليبية فبعث في أنحاء إسبانيا المسيحيّة يستحث النّاس على النفير إليه ،كما بعث أساقفته إلى البابا في روما يُناشده إعلان الحرب الصليبيّة ضد المُوحدين و يحث الشُعوب الصليبية على السّير إلى إسبانيا لقِتال المُسلمين ، ثمّ عقد مؤتمرًا في مدينة قوتفة لتوحيد الجُهود من أجل محاربة المُوحدين فجاءه ملك أراغون[4].

أمّا بقيّة الملوك فقد بعثوا مندوبين عنهم و اِتفقوا على قِتال المُوحدين و هنا يظهر جليًا غدر ملكي نافار و ليون بالمُوحدين لأنّهم كانوا عقدوا معهم الصُلح و المهادنة، ثمّ أعلن ملك قشتالة الحرب الصليبيّة و قال قولته المشهورة "كلنا صليبيون"[5].

اِستجاب البابا لطلب ملك قشتالة فأعلن الحرب الصليبية و بعث الأساقفة و رجال الدّين إلى كافة أنحاء أوروبا لحث الصليبيين على التوجّه نحو إسبانيا، كما أنذر البابا ملوك إسبانيا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي[6] على كلّ ملك أو أمير يتأخر عن مُساعدة ملك قشتالة فوصل كلّ ملوك إسبانيا إلاّ ملك نافار الّذي لم يكن قد اِستكمل اِستعداده[7].

---

[1] – نفس المرجع و الصفحة.

[2] – شلبطرة : من حصن بلاد الأندلس من أعمال قلعة رباح ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 344.

[3] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ع3، ق2، ص ص 291 – 292.

[4] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 101

[5] – نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 292 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 282.

[6] – الحرمان الكنسي: هو إجراء تتخذه الكنيسة النصرانية و ينطوي على درجات مختلفة من استبعاد عضوية المعاقب به من جماعة المؤمنين بسبب الإصرار على الانتهاكات الجسيمة بحق الأخلاق أو المذهب المعترف به، ظهر مصطلح الحرمان الكنسي لأول مرة خلال القرن الرابع، و في القرن الخامس عشر بدأ التمييز بين الذين ينبغي إبعادهم بسبب خطايا جسيمة و أولئك الذين ارتكبوا معاصي أصغر فلا يشتركون في أية احتفالات دينية، و هذا التمييز لا يزال ساريا في الكاثوليكية ، و هو بمثابة الكفر في الإسلام ؛ monseigneur freppel , saint Cyprien et l'église d'Afrique , bray et retaux libraires – éditeurs , paris , 1873 , p175

[7] – هشام أبو رميلة، نفس المرجع ، ص 283.

فحضر إلى طليطلة من أنحاء أوروبا زهاء ألفين من الأمراء بحاشيتهم و حضر معهم عشرة آلاف فارس و خمسون ألف راجل و أقاموا خارج طليطلة هذا دون جُموع مُلوك إسبانيا الّتي قدّرت بأكثر من ثلاث مائة ألف مُقاتل[1].

أمر البابا "أنوسنت الثالث" في روما بالصوم ثلاثة أيام إلتماسًا لنصر الجُيوش المسيحيّة في إسبانيا على المسلمين، فأقيمت الصلوات العامّة و اِرتدى رجال الدّين و الرهبان و الرّاهبات السواد و ساروا حفاة و ألقى البابا موعظة دينيّة ناشد فيها المسيحيين أن يضّرعوا لله اِلتماسًا لنصر الإسبان[2].

في يوم 17 محرّم 609هـ/20 جوان 1212 م خرج ملك قشتالة بعد أن قسم جيشه إلى ثلاثة جُيوش رئيسيّة: جيش الطليعة يتألّف من مائة ألف مُقاتل يقوده القائد القشتالي "ديبغو لويت دي هارو" و الجيش الثاني يتألّف من قوات أراغون و قطلونية و فرسان الجمعيات الدينية بقيادة "بيدرو الثاني" ملك أراغون، و يتألّف الجيش الثالث و هو جيش المؤخرة من قوات قشتالة و ليون و البرتغال و بعض فرسان الجمعيات الدينية بقيادة ملك قشتالة[3].

و سارت هذه الجُيوش معًا فاِخترقت حدود الأندلس و اِستولى الصليبيون على قلعة مالاجون و قتلوا كلّ من كان فيها ثمّ اِستأنفت هذه الجُيوش زحفها حتّى وصلوا إلى قلعة رباح فضربوا عليها الحصار و كانت حامية القلعة تتألّف من سبعين فارسًا بقيادة "أبي الحجاج يوسف بن قادس" الّذي بعث بكتبه إلى الخليفة يستنجده لكن دون جدوى لذلك عرض على النصارى النُزول عن القلعة مُقابل الأمان فوافق الملك بينما الصليبيون أصروا على أخذ القلعة عنوة و قتل المسلمين لكن الملك فرض رأيه و أعطى الأمان لإبن قادس و جنوده[4] ، غضب أغلب الصليبيون من تصرّف الملك و لم يستطع ملك قشتالة التفاهم معهم فتخلّى عنه خمسون ألف مُقاتل و عادوا إلى بلادهم بينما بقيت معه كلّ القوات الأخرى و في هذه الأثناء وصل ملك نافار بقُواته و اِنضم إليه[5].

[1] – يوسف أشباخ، نفس المرجع ، ج2، ص 110.

[2] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 294.

[3] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص ص 111 – 112.

[4] – نفس المرجع، ج2، ص 112.

[5] – نفس المرجع ، ح2، ص 112.

سار" ابن قادس" برِجاله إلى "الخليفة الناصر" ينبئه بجيوش المسيحيين و يشرح له سبب نزوله عن القلعة "رباح" لكنّ الوزير "ابن جامع" أمر بسجنه و أمر بأن لا يُدْخَل على الخليفة أبدًا ذلك أنّ هذا الوزير كان قد حجب كتب "ابن قادس" قبلا عن الخليفة ، كما قام هذا الوزير بتحريض الخليفة على "ابن قادس" حتّى أصدر في حقّه حكم القتل فقتل هو و مُساعده فحقد الأندلسيون على" ابن جامع" و فقدوا ثقتهم في "الخليفة الناصر"[1].

اِستأنف المسيحيون زحفهم بعد الإستيلاء على قلعة رباح حتّى وصلوا حصن العقاب و قتلوا حاميته الإسلاميّة ثمّ ساروا حتّى وصلوا سهل أبّدة و كان الخليفة الناصر خلال ذلك قد سار بجُيوشه شمالا للقاء المسيحيين فكانت الجُيوش الموحديّة تتألّف من خمسة أقسام يضم القسم الأوّل العرب و الثاني قبائل البربر و الثالث المتطوعة والرّابع الجند النظامي و الخامس الجند الأندلسي، و كان عدد المتطوعة مائة و ستين ألف بين فارس و راجل و بلغ عدد الرّجال المحشودين ثلاث مائة ألف راجل، بينما كان عدد العبيد حوالي ثلاثين ألف و كان عدد الرماة عشرة آلاف هذا علاوة على جند الموحدين و العرب[2].

و نظُّم كلا الطرفين قُواهما من أجل الاشتباك في المعركة حيث قسّم المسيحيون قُواهم إلى قلب و جناحين فاِتّخذ ملك قشتالة مكانه في القلب مع جُيوش مملكتي ليون و البرتغال، بينما اتّخذ ملك نافار مكانه في الجناح الأيمن بقُواته و جُموع الصليبيين الأوروبيين، أمّا الجناح الأيسر فقد كان بقيادة ملك أراغون بقُواته ، كما نضّم الموحدون قواهم أيضًا حيث جعلوا المتطوعة جملة واحدة في المقدمة، بينما اتّخذ الموحدون مكانهم في القلب، أمّا الجند الأندلسيون فشكّلوا الجناح الأيمن و اتّخذت القبائل البربرية و العرب مكانها في الجناح الأيسر[3].

و نشبت الموقعة بين الطرفين قرب حصن العقاب يوم 15 صفر609هـ/19 جويلية 1212م فتقدّمت جيوش الصليبيين و خرج إليهم المتطوعة و اِقتتلوا قتلاً شديدًا حتّى فني المتطوعة ثمّ تقدّم الفرسان المسيحيون حتّى بلغوا قلب الجيش الموحدي فردهم الفرسان الموحدون، كما تمكّن جناحا الجيش الموحدي من ردّ جناحي الجيوش المسيحيّة و بدأت الغلبة للمُوحدين حتّى لاح النصر لهم ، فلمّا رأى ذلك ملك قشتالة اِندفع بِقواته و سار وراءه

[1] – الناصري، الإستقصا، ج2، ص 199.

[2] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 208.

[3] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 115.

جناحي الجيش عندئذ فرّ الجند الأندلسي و تركوا ميمنة الجيش مكشوفة فتركّز هُجوم المسيحيين على القلب حتّى اِنهزم الجند الموحدي النظامي و بلغوا مُعسكر الخليفة الّذي فرّ من الموقعة[1] ، بعد ذلك مباشرة سار ملك قشتالة و اِستولى على كافة الحُصون القريبة و وصل إلى مدينتي بيانة و أبدة و قتل أهلها أشد قتل و أسر الباقي[2].

أمّا عن خسائر المسلمين في هذه المعركة فقد تضاربت الروايات حولها حيث يقدرها "ألفونسو" ملك قشتالة في خِطاب أرسله إلى البابا بمائة ألف بناءً على أقوال بعض الأسرى المُسلمين و يقدرهم "أرنولد" أسقف بربجونة بستين ألف، أمّا "رودريغو" أسقف طليطلة فيقدرهم بمائتي ألف، بينما تقدرهم الأميرة برنجيلا ابنة ملك قشتالة في خطاب بعثته إلى أختها ملكة فرنسا فتقدرهم بخمسة و ثمانين ألف[3].

لكنّ الرواية الإسلاميّة تضاعف هذه الخسائر أضعافًا كثيرة حيث تقدر بأنّه لم ينجُ من هذه المعركة إلاّ واحدا بالألف يعني حوالي ست مائة رجل و يبدو أنّ هذا مُبالغ فيه و الدّليل على ذلك أنّ جُيوش قشتالة بعد فترة قاموا بغزو إشبيليّة فتمكّن واليها "أبو زكريا بن أبي حفص بن عبد المُؤمن" من ردّهم و قتل منهم عشرة آلاف رجل، فهذا دليل أكيد أنّ جيوش المُوحدين لم تفن في معركة العقاب[4].

لكن التساؤل الّذي يفرض نفسه في هذه المعركة حول أسباب الهزيمة ؛ فلا شكّ أنّ تعاون الممالك المسيحيّة الإسبانيّة معًا و اشتراكها جميعًا في القتال لأوّل مرّة، ثمّ إستجابة الصليبيين الأوروبيين لدعوة البابوية إلى هذه الحرب الصليبية و اِشتراكهم في القِتال إلى جانب ملك قشتالة كان عاملاً حاسمًا في اِنتصار المسيحيين، إضافة إلى غدر ملكي ليون و نافار بالموحدين حيث أنّ الخليفة كان قد أعطاهم صلحًا ما دامت دولة الموحدين قائمة و لكن لما قامت الحرب مع قشتالة تحالفا بجيوشهما ضد الموحدين[5].

و هناك سبب أكثر أهميّة و هو عدم التوافق داخل المعسكر الموحدي نتيجة عدّة عوامل أهمها مقتل القائد الأندلسي " أبو الحجاج يوسف بن قادس" على أيدي الموحدين و بتحريض

[1] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 290.

[2] – محمد عبد الله عنان، نفس المرجع ، ع3، ق2، ص 323.

[3] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 121 – 122.

[4] – معمر الهادي، المرجع السابق، ص 238.

[5] – أحمد عزاوي ،المرجع السابق ،ج2، ص 194-196.

من الوزير "ابن جامع" الّذي كان غاشا للخليفة في النصيحة و التدبير فحقد الأندلسيون على الوزير و الخليفة الّذين بالغا في إساءة المُعاملة لهم حتّى أنّ الوزير" ابن جامع" جمع قواد الأندلس و قال لهم اعتزلوا القِتال فلا حاجة لنا بكُم ، فلمّا قام القِتال فرُوا من المعركة و تركوا ميمنة الجيش مكشوفة فحلّت الهزيمة بالموحدين ، هذا علاوة على فشل الخليفة في إدارة هذه الحرب فلو كان والده " يعقوب المنصور" في موقعه لحقق نصرا أكيدا [1].

كما أنّ الخليفة الناصر نكب بعض أشياخ الموحدين بتحريض من "ابن مثنى" صاحب الأعمال المخزنية، فغضب أشياخ الموحدين على الخليفة الناصر و لم يخلصوا أثناء القتال و إنّما وجدوا في الهزيمة الشفاء و العزاء حتّى أنّهم جعلوا الهزيمة في العقاب بسبب ابن مثنى[2].

أمّا فيما يخص النتائج الّتي ترتّبت عن هزيمة العقاب أنّ الممالك المسيحيّة ضمنت التفوّق السياسي و العسكري في الأندلس و فُتح الباب أمامهم على مصراعيه من أجل مُواصلة حروب الاسترداد[3] بصورة لم يُشهد لها مثيل حيث تتابعت سقوط المدن و القواعد الأندلسيّة في فترة زمنية وجيزة و أخذ سلطان الموحدين يتداعى منذ تلك المعركة[4].

كما أذكى هذا النّصر الّذي حقّقه المسيحيون الحماس في نفوسهم و ارتفعت معنوياتهم و قرّروا مواصلة قتال المسلمين لكن من جهة أخرى كشفت الخلاف و الانقسام بين صفوف الجيش الموحدي الّذي كان يتكوّن من عناصر غير متجانسة من قبائل البربر و العرب و السودان[5] و العبيد، و إنّ نفس هذه العناصر كانت قد أحرزت النّصر في معركة الأرك و بالتّالي فإنّ دور الخليفة هو الّذي يساعد على تجانس هذه الزيجات أو اختلافها حتّى بلغت وُقوف الكثير من تلك العناصر موقفًا سلبيًا أثناء المعركة مما جر الهزيمة [6].

---

[1] –معمر الهادي ، نفس المرجع ، ص 238.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 297.

[3]– حروب الاسترداد: و باللغة الإسبانية Reconquista و هي فترة تقارب من 800 سنة في العصور الوسطى حاولت من خلالها العديد من الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الايبيريه استعادة السيطرة عليها من المسلمين و طردهم؛ حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج1، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996 ، ص ص 63-64.

[4] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 326.

[5]– السودان : و يقصد به جنس السود الذين كانوا يجلبون كعبيد في فترة الدولة المرابطية و الموحدية و حتى فيما بعد ، و قد كانت الجيوش المغاربية تعتمد عليهم بكثرة في كل حروبها بسبب شجاعة أفرادها و إخلاصها لأمرائهم ؛ معمر الهادي ، المرجع السابق ،ص240.

[6] – معمر الهادي، نفس المرجع ، ص 239.

و على أي حال فإنّ هزيمة العقاب كانت ضربة شديدة للدولة الموحدية و الإسلام في المغرب، فقد شجّعت "بني حفص" على الاستقلال بإفريقيّة و ظهور الكثير من الثوار في المغرب و الأندلس و جعلت الدّولة الموحدية عاجزة عن تسيير حملات عسكريّة نحو الأندلس كالّتي كان يقودها "عبد المؤمن" أو خلفاءه[1]، و يشير صاحب الحلل الموشية أنّ هزيمة العقاب كانت السّبب الرئيسي لوفاة الخليفة "محمد الناصر" الّذي عاد حزينًا إلى إشبيليّة ثمّ سار نحو مراكش و مات هناك كماد على الهزيمة يوم الأربعاء 10 شعبان 610هـ/ديسمبر 1213م[2].

و فيما يخص المدن الأندلسية فقد تتابع سقوطها الواحدة تلو الأخرى بسبب الخلفاء الضعاف الذين تولوا أمور الدولة الموحدية بعد وفاة "الناصر" و كذلك فشل الثورات المحلية التي تزعمها الزعماء المحليون بينما كانت الأمور على درجة كبيرة من الوفاق في معسكر الممالك المسيحية حيث أتحدت مملكتا قشتالة و ليون تحت تاج واحد في ظل الملك فرناندو الثالث الملقب بالقديس[3] .

فبعد هذا الإتحاد مباشرة سقطت بياسة أبذة سنة 633 هـ/1235م في أيدي "فرناندو الثالث" الذي لم يتوقف عند هذا الحد بل توجه نحو مدينة قرطبة قلب العلوم و الحضارة الأندلسية و عاصمة الدولة الأموية فيما سبق و احتلها سنة 634 هـ/1236م كما حوّل مسجدها الجامع إلى كنيسة سميت باسم " كنيسة سانتا ماريا العظمى "[4].

و هكذا لم تبق إلا مدينة إشبيلية تنتظر مصيرها المحتوم خاصة في ظل ضعف الشديد للدولة الموحدية و تفرق كلمة الأندلسيين حيث سار إليها فرناندو الثالث سنة 642هـ/1244م و قام بتحويل مساجدها إلى كنائس مثلما فعل بقرطبة ، كما حصل هذا الملك المسيحي على مدينة قادس و ولبة و جميع المدن الواقعة قرب مصب نهر الوادي الكبير[5] .

أما بلاد شرق الأندلس فقد حصل الملك الأراغوني "خايمي الأول"على النصيب الأوفر منه حيث استولى على ميورقة سنة 627هـ/1230م ثم باقي الجزرالبليار 635هـ/1237م ، و في

---

[1]- AbdAllah Larawi ,L'histoire du Maghreb un essài de Synthése ,Casablanca , Maroc , 1995 , P 210

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 297.

[3]– عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، ط1، دار النهضة لعربية ، بيروت ، 2002 ، ص 272.

[4]–نفس المرجع و الصفحة .

[5]– هشام أبو رميلة ، نفس المرجع ، ص 273.

السنة الموالية حصل على مدينة بلنسية و جزيرة شقر و مدينة شاطبة ، و لم تبق إلا مدينة مرسية التي حصل عليها فرناندو الثالث سنة 641هـ/1243م و هكذا انهارت دولة الإسلام في الأندلس و انحصر ما بقي منها في مملكة غرناطة تصارع التكالب المسيحي عليها لمدة تفوق القرنين[1] .

و أفضل تصوير لهذه الأوضاع التي آلت إليها بلاد الأندلس في ظل التنافس المسيحي للحصول على أراضس المسلمين هي تلك القصيدة للشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي[2] يرثي فيها أحوال البلاد التي مطلعها :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ[3]

و لم تمض إلا أعوام قليلة حتى سقطت الدولة الموحدية سنة 668هـ/1269م تحت ضربات الزناتيين من بني مرين في المغرب الأقصى و بني زيان في المغرب الأوسط و إن كان لبني مرين الدور الأكبر في إسقاط هذه الدولة ، التي حاول حكامها أن يكونوا عضدا قويا للمسلمين في المغرب و خاصة في الأندلس[4] .

[1] –أحمد عزاوي ، المرجع السابق ،ج2، ص 205.

[2] – أبو البقاء الرندي : هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندي شاعر من أهل الأندلس له قصائد عديدة لعل أهمها التي ذكرناها يرثي فيها حال حال الأندلس ؛ أنخل جنثالث بلانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت ، ص 132

[3] – أحمد بن محمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي العياض ، تح : مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، النشر ، القاهرة ، 1939 ، ص ص 47-48.

[4] – المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 205-207.

ثالثا: العلاقات الدبلوماسية وعقد معاهدات الصلح :

لم تكن علاقات الموحدين مع الممالك المسيحية في الأندلس مجرد علاقات حربية و عسكرية فقط بل تعدتها لعلاقات دبلوماسية و كذلك إبرام معاهدات الصلح و الهدنة بين الجانبين ، كما يلاحظ وجود علاقات بين الموحدين و البابوية التي نصبت نفسها حامية للمسيحية والمسيحيين في الأندلس والمغرب وهذا ما سيتم دراسته في هذا المبحث.

و أولى هذه العلاقات تبدأ بزيارة " فرناندو رودريغز القشتالي" إلى إشبيلية في جوان 1168م/563هـ و الذي عرف بشجاعته و تقربه من الموحدين و كانت غايته إعلان ولائه للموحدين ثم انتقل من إشبيلية إلى مراكش و قضى هنالك خمسة أشهر تعهد خلالها بأن لا يهاجم أبدا الموحدين و أن يكون حليفهم و عضدهم و بذلك أصبح هو و أصحابه من رجال الخليفة[1] .

و من نتائج هذه الزيارة تم إبرام معاهدات سلمية و تحالفات بين الخليفة "يوسف بن عبد المؤمن" و "فرناندو الثاني (البوج)" وقد تمكن هذا الأخير بفضل هذه المعاهدات طلب المساعدة العسكرية من الموحدين في حروبه خاصة ضد عائلة " آل لارا" كما تمكن من اجتياح بعض مناطق قشتالة و استمرت غاراته عليها لمدة خمسة أشهر كاملة ، و للتعبير عن إمتنانه للموحدين أقام معهم حلف "دفاع و هجوم مشترك" أقسم على الوفاء به في كاتدرائية ببلاطه[2].

كما كانت هناك معاهدة أخرى بين الموحدين و بعض الممالك المسيحية هي قشتالة و ليون و البرتغال أبرمها ملوك هذه الدول مع الخليفة " يوسف بن عبد المؤمن" سنة 1175م/

[1]– ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 184؛ أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص226.

[2]– ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر و الصفحة ؛ أمبروسيو هويثي ميراندا ، نفس المرجع و الصفحة .

569هـ و قد نصت هذه المعاهدة على إقرار هدنة بين تلك الممالك و الدولة الموحدية و أن لا يكون هناك غزو بين الجانبين لأجل غير محدد[1].

لكن هذه الهدنة التي جاءت في هذا الوقت كان لكل طرف أسبابه الخاصة التي فرضت عليه عقدها فمن جانب الموحدين يلاحظ أن معنويات الجيش الموحدي بدأت ترتفع من جديد بعد فشل حصار وبذة و ذلك أن الموحدين بعد أن انتصروا على "شان مينوس " قاموا بعدة غارات على طلبيرة و طليطلة ، فأخذوا يهيئون أنفسهم لغزوة كبرى ضد قشتالة و البرتغال فلما عرض ملكا هاتين مملكتين الهدنة قبلها الخليفة ، بينما كان ملك ليون " فرناندو الثاني" على هدنة مع الموحدين منذ 563هـ/1168م ، وبرر الخليفة موقفه هذا في رسالة أوردها ابن صاحب الصلاة يحتج بحاجة الثغور للتعمير و عودة النشاط الفلاحي والتجاري إليها حتى تستطيع مستقبلا تحمل عبء القوات العسكرية الضخمة[2] .

لكن هناك سبب آخر أكثر أهمية وهو "قراقوش الغزي" المملوك الأيوبي سنة 568هـ/1173م على طرابلس الموحدية بمعاونة قبائل رياح الخارجين عن طاعة الموحدين و امتد نفوذه في كامل جهات إفريقة ماعدا تونس و المهدية فكان لزاما على الخليفة أن يتحرك نحو هذه البلاد ليخمد التمرد في بدايته و قبل أن تتفشى العدوى نحو مدن أخرى .[3]

أما بالنسبة للملوك المسيحيين يلاحظ أن ملك ليون عقد معاهدة صلح و تعاون سنة 563هـ/1168م ثم جدد هذا الصلح سنة 566هـ/1171م بطلب من الموحدين و قد مكنهم هذا الصلح من دفع ملك ليون لإنقاذ بطليوس من السقوط بأيدي البرتغاليين و ذلك ليس نجدة للمسلمين و إنما كان يرى بأن هذه منطقته الخاصة للتوسع و لا يحق لغيره الحصول عليها.[4]

أما الموحدون فقد آثروا السلم مع هذه الملكة لكي يتفرغوا لحرب "ابن مردنيش" الثائر بشرق الأندلس ، و تعهد الموحدون بعدم شن غاراتهم على أراضي مملكة ليون لما هاجموا قشتالة في أواخر 568هـ/1173م[5].

---

[1]- أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج2، ص 119.

[2]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 186.

[3]- أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج2، ص 120.

[4]- نفس المرجع ، ج2 ، ص121.

[5]- نفس المرجع ، ج2 ، ص.122

[5] - نفس المرجع ، ج2 ، ص122.

و بالنسبة لقشتالة فقد أصبح ملكها يحس بالخطر الموحدي بسبب طول مكوث الخليفة بالأندلس رغم قضائه على ثورة "ابن مردنيش" و قد تجلت مخاوف القشتاليين لما تحالف الموحدون مع مملكة ليون عدو قشتالة و كذلك تسيير الموحدين لعدة غزوات على أحواز طليطلة وطلبيرة بواسطة فرق محدودة غرضها إضعاف القوة العسكرية لقشتالة بينما بقية الجيش الموحدي كان في راحة و يمكن استنفاره في أي لحظة ، هذا إضافة إلى انشغال قشتالة بالحرب مع مملكة نافار بسبب النزاع حول الأقاليم الحدودية حيث قام الفريقان بشن عدة غزوات على الطرف الآخر لكن هذه الحروب لم تنته بنتائج حاسمة[1] .

و هكذا كانت قشتالة محاطة بالأعداء من الجنوب(الدولة الموحدية) و من الغرب (نافار) زيادة على عدم الاستقرار الداخلي فكل هذه الظروف جعلت ملك قشتالة يرضخ لطلب الهدنة مع الموحدين من أجل كسب الوقت وفض النزاعات الداخلية و ترسيم حدوده مع النافاريين[2].

و بالنسبة لملك البرتغال فإنه كان في بداية 568هـ/1173م قد احتل مدينة باجة و نكل بأهلها و هدم أسوارها ثم فرّ عنها ليقينه بعدم تمكنه من الدفاع عنها في حال حاول الموحدون استرجاعها ، وقد استغل في ذلك انشغال الموحدين بحرب "ابن مردنيش" و فشل حصار وبذة فعلم ملك البرتغال " ألفونسو هنريكز " أن الضربة القادمة للموحدين سوف تكون موجهة له خاصة و أن الموحدين كانوا قد عقدوا هدنة مع ملك ليون و أن قشتالة قد وجهت لها عدة ضربات فلم يبق إلا هو ، فسعى سعيا حثيا من أجل عقد هدنة تمكنه من تفادي ضربات الموحدين[3] .

و لم يبق خارج هذه المعاهدات إلا مملكة أراغون فقد وجّه لها الخليفة عدة جيوش انطلاقا من مرسية وصولا إلى طركونة[4] قتل خلالها عدة جيوش و سبى كثيرا من النساء و الولدان و هدم الحصون و أحرق المدن ثم رجعت الجيوش سالمة إلى مرسية [5].

إنّ الذي يلاحظ على هذه الهدنة يرى أنها كانت هدنة هشة حيث عمل الخليفة بعد تحرير باجة على تحصينها و تعميرها مع بقية الثغور الأخرى لكي تصمد في وجه أي عدوان أما ملك

---

[1] – أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 121.

[2] – نفس المرجع و الجزء و الصفحة.

[3] – نفس المرجع ، ج2 ، ص 122.

[4] – طركونة : مدينة بالأندلس على ساحل البحر تشتهر بكثرة الطواحين الهوائية ، الحميري ، الروض المعطار ، ص 392.

[5] – أحمد عزاوي ، نفس المرجع ، ج2 ، ص 123.

ليون فقد نقض الصلح الذي كان قد أبرمه سنة 563هـ/1168م و الذي كان قد أقسم على الوفاء به في كنيسة بلاطه فوجه له الخليفة قوة ضاربة بقيادة أخيه " أبي حفص عمر بن عبد المؤمن " و حاصره في عاصمته[1] .

لكن الرجوع المفاجئ للخليفة إلى مراكش على وجه السرعة سنة 571هـ/ 1175م جعل الممالك المسيحية تتكالب على غزو البلاد الإسلامية في الأندلس و يرجع سبب عودة الخليفة إلى مراكش هو تفشي مرض الطاعون بالمدينة و مات خلاله كثير من العامة و بعض الخاصة من رجال الدولة كإخوة الخليفة و أشياخ الموحدين و لعل أهمهم "الشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي " و حتى الخليفة نفسه أصيب بالعدوى ، علاوة على هذا كله تمرد صنهاجة سنة 572هـ/1176م و كذلك سوء أوضاع إفريقية و عيث قراقوش الغزي و الأعراب فيها و خروج قفصة عن الطاعة [2].

كما يمكن إضافة عامل آخر ساعد الممالك المسيحية في الأندلس على نقضهم للهدنة التي كانوا قد أبرموها مع الخليفة " أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن " و هو توصل كل الأطراف الإسبانية إلى نوع من التسوية المؤقتة و التي ضمنت للجميع حقوقهم ففي سنة 574هـ-575هـ/1179م عقدت مملكتي قشتالة و أراغون اتفاق "كاسولا" الذي يحدد لكل مملكة مجال توسعها الخاص بها دون أن تصطدم بمجال جارتها و بالطبع يكون على حساب أراضي المسلمين، و في العام التالي عقدت مملكة ليون مع قشتالة معاهدة تنص على تحديد الحدود بينهما و التحالف من أجل مواصلة حرب الاسترداد و كذلك عدم عقد أي صلح منفرد مع الموحدين[3] .

كما تفاهمت ليون مع البرتغال بواسطة مشروع مصاهرة بين الملكين من اجل تصفية نزاعهما الحدودي و هكذا انضمت البرتغال إلى الممالك الأخرى بنقض الهدنة التي أبرمت مع الموحدين و سيّرت حملة غزت فيها ضواحي إشبيلية و استولت من جديد على باجة 573هـ/ 1178م كل هذه الظروف جعلت من الخليفة " أبو يعقوب يوسف " أن يعود إلى الأندلس

[1]- نفس المرجع ، ج2 ، ص 124.
[2]- أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 124.
[3]- نفس المرجع ، ج2 ، ص 124.

سنة 580هـ/1184م و يقوم بحصار شنترين الذي جلب كارثة على الجيوش الموحدية و حتى أن الخليفة استشهد خلال هذا الحصار بسبب سوء التقدير[1] .

كان هناك أيضا تبادل للسفارات الدبلوماسية بين الموحدين و الممالك المسيحية الغرض منها عقد هدنة و توقيف الحرب خاصة في عهد " أبو يوسف يعقوب المنصور " و هذا ما يمكن ملاحظته من خلال الزيارة التي قام بها " ألفونسو التاسع" ملك ليون إلى إشبيلية بهدف إمداده بقوات موحدية لرد هجمات القشتاليين و النافاريين لكن الخليفة آثر البقاء خارج هذه الأحداث ذلك أن الهدنة التي وقعها مع ملك قشتالة بعد دحره في معركة الأرك كانت لا تزال سارية المفعول[2] .

و قد تضمنت الهدنة السابقة بين الموحدين و القشتاليين هدنة لمدة عشر سنوات من السلم بين الجانبين ذلك أن الخليفة " يعقوب المنصور كان يريد الرجوع إلى مراكش عاصمة ملكه أما ملك قشتالة فقد كان يريد من خلالها أن يستعد جيدا لحرب أخرى تمكنه من الثأر لهزيمة الأرك و نسيانها تماما ، و بعدها وفدت بعثة ملك ليون " ألفونسو التاسع " و طلب هدنة مع الموحدين مثل التي أبرمت مع ملك قشتالة ، و في هذه الأثناء حل وفد قشتالي إلى "يعقوب المنصور" يطالبه باستمرار الهدنة السابقة و السلم بين الجانبين و هذا ما طمأن المنصور و جعله يعود مرتاح البال إلى مراكش[3] .

لكن بعد وفاة "يعقوب المنصور" قام ألفونسو الثامن ملك قشتالة في الفترة الممتدة ما بين584هـ/1188م و 586هـ/1200م باستعادة الأراضي التي انتزعها منه "سانشو الأول" ملك نافار الذي لم يتوان في الذهاب إلى إشبيلية أو إلى المغرب لطلب المساعدة من الموحدين لكن يبدو أن الخليفة " محمد الناصر " ابن يعقوب المنصور و خليفته قد كانت له مشاريع أخرى[4] .

و في نفس الفترة وفدت سفارة أخرى أخرى بعث بها ملك أراغون " بيدرو الثاني "من أجل عقد هدنة جديدة مع الخليفة الموحدي الجديد ، و يلاحظ في هذه الفترة كثرة النشاط

[1]- نفس المرجع ، ج2 ، ص 124.

[2]- أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص371.

[3]- نفس المرجع ، ص ص 371-372.

[4]- نفس المرجع ، ص 391.

الدبلوماسي و توافدت السفارات المتعددة حتى أن الخليفة استحدث منصب خاص في الدولة تتلخص مهام صاحبه في السهر على استقبال وفود الملوك النصارى و على إقامتهم و كذا ترجمة محادثاتهم مع الخليفة و المسؤولين الموحدين و قد احتفظت لنا بعض الرسائل الموحدية أسماء هؤلاء الأشخاص الذين شغلوا هذا المنصب مثل : "أبو أوبيل" و " أبو الجليس محارب".[1]

أما فيما يخص البابوية فيلاحظ أن جذور هذه العلاقات تعود إلى فترة البابا "إنوسنت الثالث" حيث أرسل وفدا إلى مراكش لكي يفتدي الأسرى المسيحيين وكانوا يحملون رسائل توصية من البابا نفسه إلى الخليفة وذلك سنة 596هـ/1199م[2].

و في عهد البابا "إينوسنت الرابع"[3] الذي قام بتعيين الراهب "لوبي فيرناندث دي أيين " مطرانا لكنيسة مراكش [4] سنة644هـ/1246 م على عهد الخليفة "السعيد بن المأمون" حيث حمل إليه رسالة من البابا يهنئه بانتصاريه على أهل سجلماسة و رده لقبائل بني مرين ، ويذكّره في نفس الوقت بالدور الذي أدته الميليشيات المسيحية في معاركه كما دعاه لاعتناق المسيحية لكن الخليفة كان يريد من كسبه لود البابوية هو الحصول على المزيد من المرتزقة من اجل تدعيم جيوشه لمواجهة الثوار في الداخل و رد الغزوات الخارجية[5].

لكن في عهد الخليفة المرتضى تأزمت العلاقات بين البابوية و بين الدولة الموحدية ذلك أن الخليفة الجديد أرسل رسالة مؤرخة في سنة 648هـ/10جون1250م جديدة إلى البابا

---

[1]- نفس المرجع ، ص 392.

[2]- أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص 394.

[3]- إنوسنت الرابع (1200م-597هـ/1254م-652هـ): ولد إنوسنت في جنوه بإيطاليا اسمه الحقيقي "سينيبالدو فييسشي" و كلمة إنوسنت تعني " البريء "انتخب ليشغل منصب البابا في عام 1243م/641هـ، وكان مشغولاً أثناء فترة رئاسته الدينية بالنزاعات البابوية مع الإمبراطور الروماني فريدريك الثاني حيث هرب إلى فرنسا في عام 1244م/642هـ لأنه خشي أن تقبض عليه قوات فريدريك، وفي عام 1245م/643 حَرَم إنوسنت فريدريك من حقوق عضوية الكنيسة وأعلن تنحيته عن عرشه في مجلس عقده في مدينة ليون، و بعدها مات فريدريك عام 1250م /648هـ ، وفي عام 1251م/649هـ عاد إنوسنت منتصرًا إلى إيطاليا ،كانت معارك إنوسنت مع الإمبراطورية مُكلِّفة فكرَّس جهده لهزيمة فريدريك وأهمل الاهتمامات الروحية كما سعى لأن تكون السلطة البابوية مركزية، واستحدث ممارسات اعتبرت فيما بعد إساءة لاستخدام سلطاته في سبيل جمع الأموال للصرف على الجيوش البابوية ؛ سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص359.

[4]- بعد أن أصبحت الجيوش الموحدية تستخدم المرتزقة النصارى في المعارك لقوتهم وخبرتهم العسكرية كثرت أعدادهم و تزايدت حتى تمكنوا من بناء كنيسة لهم في مراكش و بموافقة الخليفة نفسه ؛ أمبروسيو هويثي ميراندا ، نفس المرجع ، ص 527.

[5]- نفس المرجع ، ص 527.

"إنوسنت الرابع " يستهجن فيها تسليم المسيحية باعتقاد الثالوث و يبين فضل التوحيد ويعبر عن تحفظه في تقوية العلاقات مع الكرسي الرسولي في الفاتيكان[1] .

و على ما يبدو فإن هذه الرسالة خيبت آمال البابا "إنوسنت الرابع" في رجاءه لتوسيع عملية التبشير في عقر دار الدولة الموحدية فبعث برسالة جوابية إلى الخليفة المرتضى مؤرخة في سنة 649هـ/17مارس1251م يحذره من خلالها من مغبة عدم منح حصون للمسيحيين الذين يعملون لحسابه كي يحتموا بها عند الضرورة ، ويعلمه في حال رفضه لهذا المقترح أن البابوية سوف تصدر الحرمان الكنسي في حق أي مسيحي يذهب للمشاركة في الجيوش الموحدية و هذا ما وقع حتما ذلك أن المرتضى ما كان ليسقط في هذا الفخ و هو تسليم الحصون لأعداء ملته [2].

ويرى "أمبروسيو هويثي ميراندا" أن عدم مشاركة هؤلاء المرتزقة في الجيوش الموحدية كان السبب الرئيسي في الانهزامات المتتالية لجيوش المرتضى و بالتالي سقوط الدولة الموحدية ، لكن يبدو أن السبب أعمق من هذا و هو أن الدولة كانت تمر بفترات عصيبة خاصة بوجود الإضطرابات الداخلية و غزوات الممالك الإسبانية في الخارج (الأندلس) وضعف الجيش الموحدي بصفة عامة و قلة التموين[3] .

[1]- نفس المرجع ، ص 528.

[2]- أمبروسيو هويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص 528.

[3]- نفس المرجع ، ص 529.

إن بلاد المغرب كانت تعيش مناخا سياسيا صعبا خلال بداية القرن 6هت/12م فرحيل الدولة الفاطمية عن المغرب و استقرارها في مصر فتركت دولة الزيريين تقوم مقامها حيث مـــا لبثت هذه الدولة أن إنقسمت على نفسها و أنتجت الدولة الحمادية فهذا التفتـــت السياســـي جعل البلاد غنيمة سهلة للغزاة الصقليين كما أصبح الوضع الداخلي يعش حالة من الفوضـــى بسبب عدم وجود قوة سياسية تفرض النظام.

أما ما يلاحظ على دولة المرابطين أن أوضاعها لم تكن أحسن حالا من الدولة الحمادية أو الزيرية فقد تفشت فيها عدة مظاهر سلبية أهمها : فساد الحكام، والترف الذي انغمسوا فيـــه، وظهور المناكر، والسكوت عليها مما أدى إلى ظهور حركة إصلاحية تزعمهـــا "محمـــد بـــن تومرت" الذي استطاع أن يجمع حوله أتباعا كثيرين، و التفوا حول فكرة الأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر من أجل تحقيق مآرب سياسية تضمن لهم الحصول على السلطة .

و يمكن الاستنتاج أن هذه الأوضاع المضطربة التي سادت المغرب انعكست كذلك على بلاد الأندلس حيث ظهر ما يشبه ملوك الطوائف ، إذ استبد كل من كانت له سلطة أو ولاية من الزعماء المحليين والقواد العسكريين بمنطقة من المناطق وأسس بها ملكا له و لعقبه من بعده ، كـــ "ابن هود" و"ابن عياض".

كما أن "ابن تومرت" و أصحابه قد تمكنوا في ظرف وجيز أن يكونوا جيشا يسمح لهم من خوض عدة معارك ومواجهات ضد المرابطين الذين فشلوا في إخماد هذه الثـــورة ، رغـــم الإمكانيات التي سخرها علي بن يوسف لابنه تاشفين ؛ ورغم وفاة ابن تومرت فـــإن دعـــوة الموحدين لم تتداعى بل تدعمت بقائد شاب هو "عبد المؤمن بن علي" الذي تمكن من القضـــاء على هذه الدولة العتيدة بقتل أميرها "تاشفين بن علي " و دخول عاصمتها مراكش.

أما في الأندلس و تحت ظل هذه الزعامات ظهر "محمد بن سعد بن مردنيش" الذي أسس إمارة له في شرق الأندلس مستغلا الظروف السائدة آنذاك، فربط علاقات وتحالفات عدة مـــع

الإمارات الإسلامية بالأندلس خاصة "ابن همشك"، وكذلك مع الممالك والإمارات النصـــرانية في الأندلس وخارجها؛ حيث أن هذه العلاقات جعلته محل انتقاد مـــن قبـــل رعيتـــه آنـــذاك و المؤرخين قديما و حديثا بلغ بهم أن طعنوا في دينه وولائه للإسلام.

وبخصوص حروب "ابن مردنيش" ضد الموحدين فقد كان صراعا سياسيا وليس دينيا كما نقلته المصادر، حيث أنه هو من بدأهم بالحرب من أجل مد نفوذ إمارته؛ أما الموحدون فقـــد كانوا يرون فيه تهديدا لسلطانهم في الأندلس لذلك عملوا جاهدين من أجل إزاحته.

كما ظهرت حركة أخرى بقيادة بني غانية في الجزائر الشرقية و حاولوا استعادة أمجـــاد الدولة المرابطية فجمعوا فلولهم و ساعدهم كثير من الأعراب الـــذي تغلبـــوا علـــى نـــواحي إفريـــقية، و دخلوا في حروب طاحنة مع الموحدين امتدت إلى عهد قريب من سقوط الدولـــة و كانت عاملا أساسيا في سقوط دولة الموحدين بالإضافة إلى حركة ابن مـــردنيش ، حيـــث استنزفت الكثير من الجهد والمال و الرجال و الوقت من الموحدين حتى أن هذه الحركة كانت سببا رئيسيا في عودة يعقوب المنصور بعد انتصاره في الأرك إلى المغرب بدل أن يواصل فتوحاته في الأندلس.

أما الحركات الأخرى كحركة "بني هود" و"بني مردنيش" فقد ظهرت نتيجـــة لضـــعف الدولة الموحدية بعد تفكك جيوشها في معركة حصن العقاب وعجلت من خروجها من بـــلاد الأندلس ، كما أظهرت هذه الحركات المتأخرة حقيقة ضعف و الوهن الذي أصـــاب جســـد الدولة و سيرها الحثيث نحو السقوط الأكيد .

وفيما يخص علاقات الدولة الموحدية بالممالك المسيحية فقد كانت علاقة حرب و صراع أكثر من أي أمر آخر رغم وجود بعض العلاقات الدبلوماسية و الثقافية ، وكانت أشد هـــذه الحروب مع مملكة قشتالة التي شددت الغزو على الأندلسيين فصار لزاما على الخلفاء الموحدين التوجه بكل ما أوتوا من قوة لكسر شوكة هذه المملكة وهذا ما نراه في عهد "عبد المؤمن بـــن علي" و ابنه "يوســـف" و حفيده "يعقوب المنصور".

إن الدافع الصليبي كان ظاهرا في الحروب التي خاضها المسيحيون الأسبان ضد الموحدين حيث أن دعوات البابا و تدخلاته المتكررة و المتعددة لدليل صريح على ذلك ،و لقـــد تمكـــن الموحدون من التصدي للمد الصليبي فترة طويلة لكن قواهم انهارت بعد موقعة العقاب عـــلاوة على أسباب أخرى ذكرت آنفا .

إن بعض الخلفاء الموحدين قد شاركوا بأنفسهم في القتال بالأندلس سواء ضد المسيحيين أو ضد الثوار و أهمهم الخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" الذي استشـــهد في غـــزوة شنترين 580هـــ/ 1146م و الخليفة "أبو يوسف يعقوب المنصور" صـــاحب الانتصـــار في موقعة الأرك ، وتعد هذه المشاركة دفعا معنويا قويا للجند أثناء القتال و كان عاملا مهما من عوامل الانتصار .

و كما يقال " أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" ، إن هذا القول يظهـــر جليا من خلال أنموذجين من الخلفاء الموحدين و هما يعقوب المنصور الذي حقـــق انتصـــارات باهرة بفضل تقواه و حبه للعلم و رعايته للضعفاء و اتخاذه البطانة الصالحة التي كانت تدله على الخير ، عكس ابنه محمد الناصر الذي بانهزامه في معركة حصن العقاب بدد حلم أمة و جعلـــها قابعة في غياهب التفكك السياسي إلى يومنا هذا ، فكما يشير المؤرخون أن آخر بريق سياسي للمغرب كان بنهاية الدولة الموحدية.

لكن رغم الهزيمة –هزيمة العقاب- التي مني بها المسلمون في الحوض الغربي للمتوسط فقد كانت شمس قوى إسلامية جديدة تسطع في المشرق الإسلامي أهمها المماليك في مصر الـــذين حطموا قوة المغول و التتار و كذلك الأتراك العثمانيون الذين نصر الله بهم الدولة الإســـلامية و سوف تتداع لهم أسوار القسطنطينية بعد قرون لاحقة .

الملحق رقم (1)

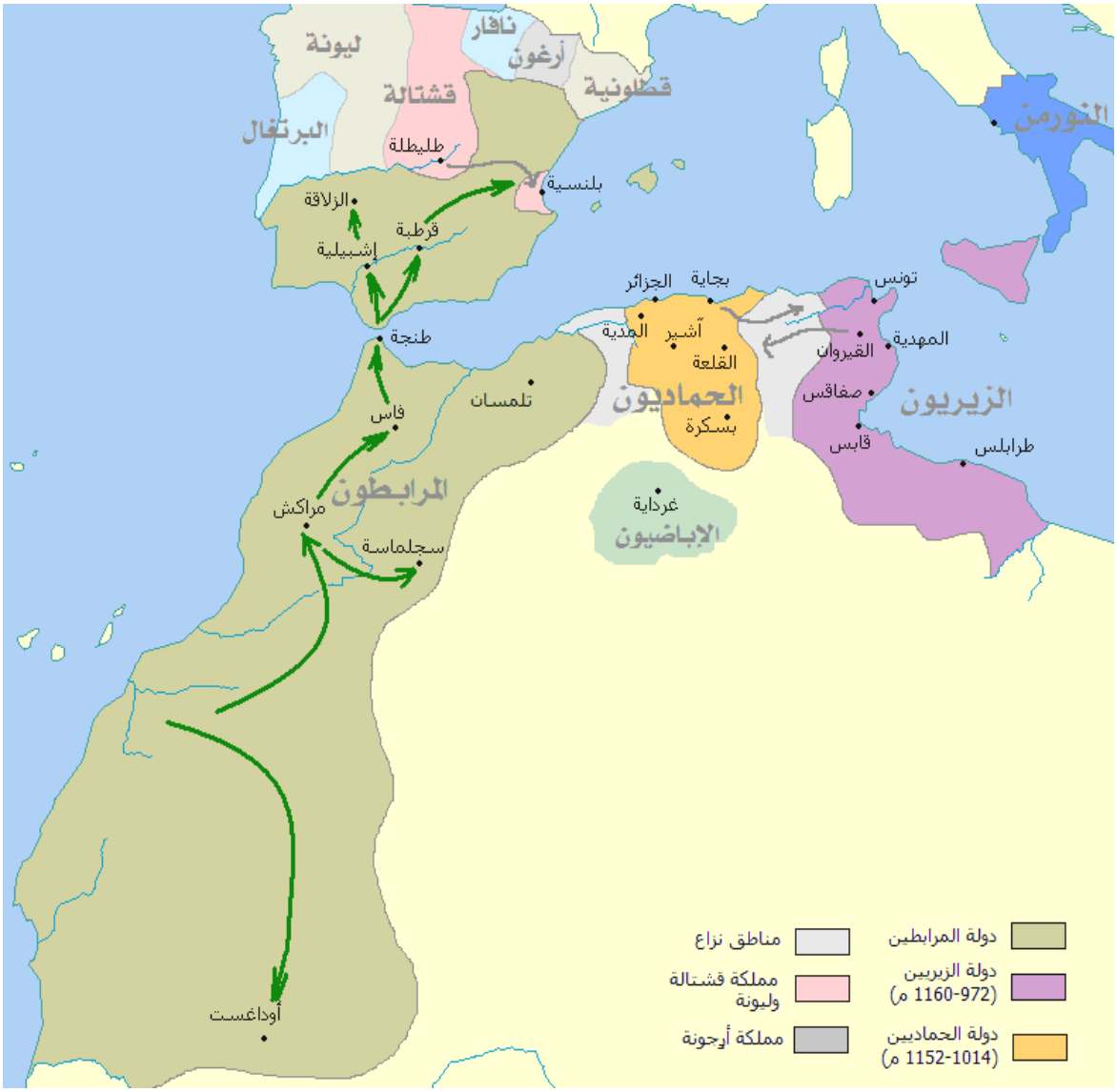

خارطة تبين دولة المرابطين في أوج اتساعها

(نهاية القرن 5هـ/11م)[1]

[1] http//:www.hukam.net -

الملحق رقم (2)

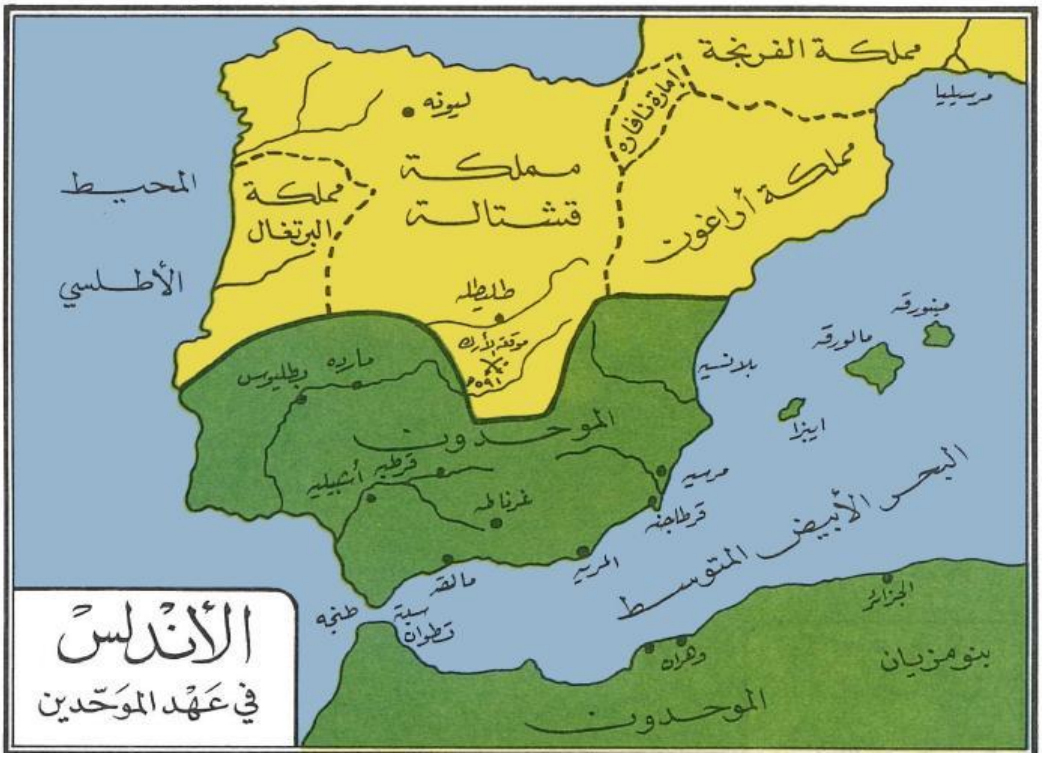

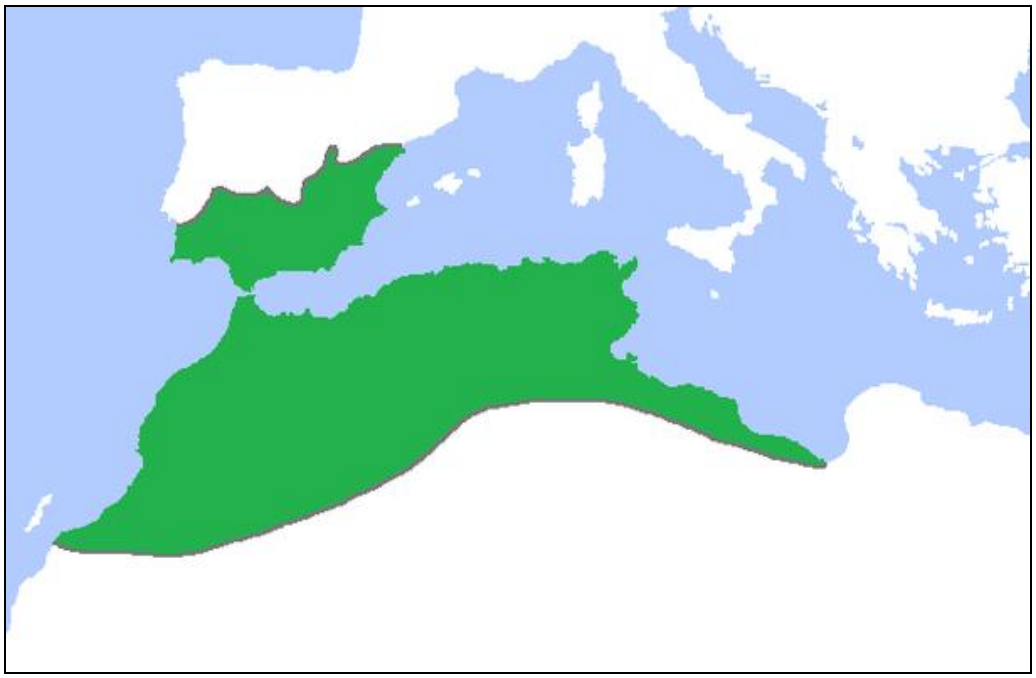

خارطة تبين دولة الموحدين في أوج اتساعها

(نهاية 6هـ/12م)

الملحق رقم (3)

رسالة من "عبد المؤمن بن علي" إلى "ابن مردنيش"

من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، و أمده بمعونته ، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد وفقه الله ، و يسره لما يرضاه ، سلام الله عليكم ورحمة الله و بركاته .

أما بعد فالحمد لله الذي له الاقتدار و الاختيار ، ومنه العون لأوليائه و الإقدار، و إليه يرجع الأمر كله فلا يمنع منه الاستبداد و الاستئثار ، و الصلاة على محمد نبيه الذي ابتَعثت بمبعثِه الأضواء و الأنوار ، و عمرت بدعوته الأنجاد و الأغوار ، و خصم بحجته الكفر والكفار ، وعلى آله و صحبه الذين هم الكرام الأبرار ، و المهاجرين و الأنصار ، و الرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله حين غيرته الأغيار ، و تقدم الامتعاض له و الانتصار . و هذا كتابنا –كتب الله لكم نظرا يريكم المنهج ، و يلفيكم الأبهج فالأبهج ، وآتاكم الله من نعمة الإيمان ، و عصمة الانقياد له و الإذعان ، ما تجدون به اليقين و الثَلَج –من حضرة مراكش حرسها الله تعالى و لا استضهار إلا بقوته و حوله ، و لا استكثار إلا من إحسانه وطوله .

و لما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمة لخلقه ، و مطية لرقيه و قرارة لإقامة حقه ، و حمل حملته الدعاء إليه ، و الدلالة به عليه ، و الترغيب في عظيم ما عنده و نعيم ما لديه ، و جعل الإنذار و الإعذار من فصوله المستوعبة ، و أحكامه المرتبة ، و منجاته المخلصة من الخطوب المهلكة والأحوال المعطبه – رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذا بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله ، و التحريض على اغتنام النجاء و تحصيله ، و إقامة الحجة في تبليغ القول و توصيله ، فأجيبوا –رفعكم الله – داعي الله تسعدوا ، وتمسكوا بأمر المهدي المهدي –رضي الله عنه – في اتباع سبيله تهتدوا ، و اصرفوا أعنة العناية إلى لنضر في المآل ، و التفكر في نواشئ التغير والزوال ، و تدبروا جري هذه الأمور و تصرف هذه الأحوال ، و اعلموا أنه لا عزة إلا

بإعزاز الله تعالى فهو ذو العزة و الجلال ، و لا يغرنكم بالله الغرور ، فالدنيا دار غرور ، وسوق المحال ، و ليس لكم في قبول النصيحة ، و ابتداء التوبة الصحيحة ، و العمل بثبوت الإيمان في هذه العاجلة الفسيحة ، إلا ما تحبونه في ذات الله تعالى من الأمنة و الدعة ، والكرامة المتيعة و المكانة المرفعة ، و النعيم بنعيم الراحة المتصلة و النفس الممتنعة ، فنحن لا نريد لكم ولسائر من نرجو إنابته ، و نستدعي قبوله و إجابته ، إلا الصلاح الأعم ، و النجاح الأتم ، وتأملوا – سددكم الله –من كان بتلك الجزيرة –حرسها الله – من أعيانها و زعماء شانها ، هل تخلص منهم إلى ما يوده ، و فاز بما يدخره و يعده ، إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى ، واستبقى لنفسه من هذا الخير الأدوم الأبقى و تنعم بما لقى من هذا النعيم المقيم و يلقى . وأما من أخلد إلى الأرض و اتبع هواه ، و رغب بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه ، فقد علم بضروريّ المشاهدة و الاستفاضة سوء منقلبه ، و خسارة مطلبه و تنقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به ، و حق عليكم – وفقكم الله و يسركم لما يرضاه – أن تحسنوا الاختيار ، وتصلوا الادكار و الاعتبار ، و تبتدروا الابتدار ، و ما حق من انقطع إلى هذه الأمر الموصول الواصل ، و أزمع ما يناله من خيره المحوز الحاصل ، أن يناله منكم شاغل يسغله عن مقصوده ، و يحيط به ما يصرفه عن محبوبه و مودوده ، فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد ، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان ، ثم كان منكم في عقب ذلك ما اعتمدتموه في أمر أهل لورقة – وفقهم الله – حين ظهر اختصاصهم ، وبان إخلاصهم ، وليس لذاك و أمثاله عاقبة تحمد ، فالخير خير ما يقصد ، و النجاة فيما يترح عن الشر و يبعد ، و إنا لنرجو أن سكفكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى نظر موفق ، ومتاع محقق ، ويجذبكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد ، و سائق يرشد ، و الله يمن عليكم بما ينجيكم ، ويمكن لكم في طاعته أسباب تأميلكم و ترجيكم ، بمنه . والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و كتب هذا في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان و أربعين و خمسمائة

الملحق رقم (3) [1]

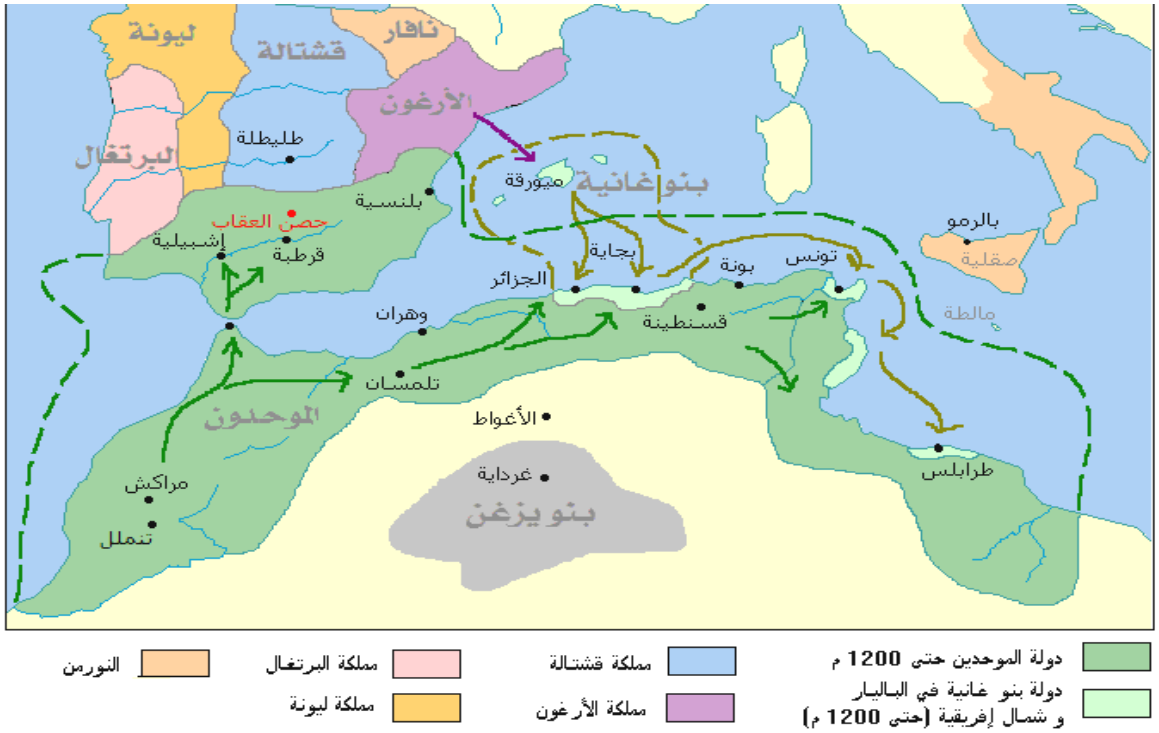

خارطة تبين فصول الصراع بين الموحدين و بني غانية الميورقيين

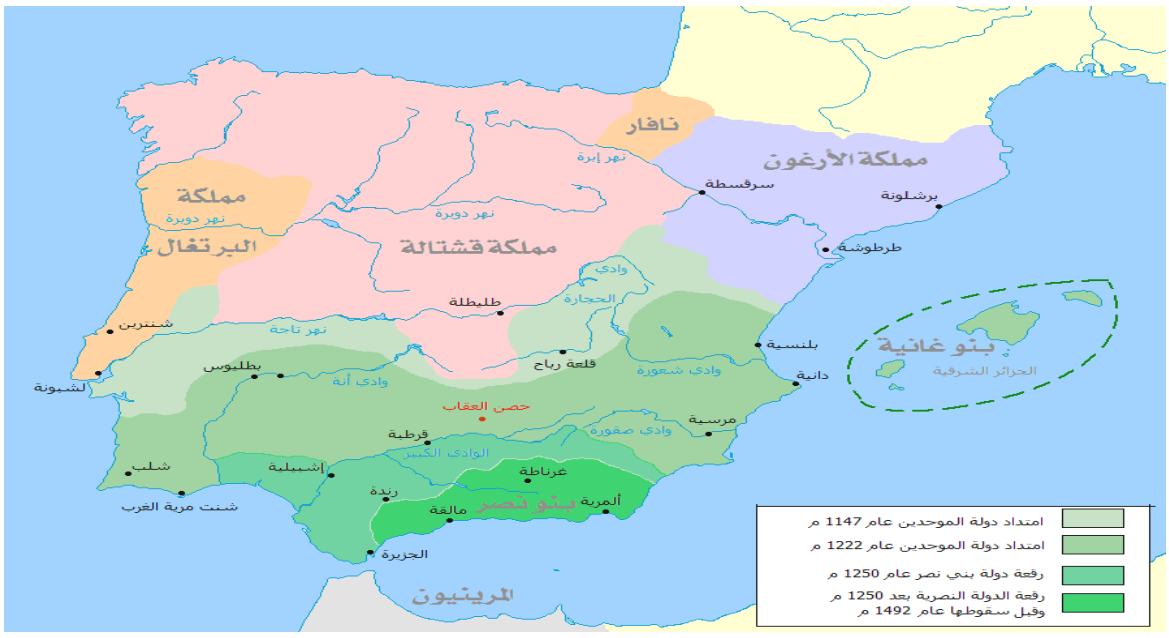

[1] http//:www.hukam.net -

خارطة تبين تراجع دولة الموحدين بالأندلس[1]

الملحق رقم (5)[2]

قائمة خلفاء الدولة الموحدية

الترتيب	اسم الخليفة	فترة الحكم
01	عبد المؤمن بن علي الكومي	1133-1163
02	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	1163-1184
03	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور	1184-1199
04	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	1199-1213
05	يوسف المستنصر	1213-1224
06	عبد الواحد الواحد المخلوع	1224-1224
07	محمد العادل	1224-1227
08	يحى المعتصم	1227-1230
09	إدريس المأمون	1227-1232
10	عبد الواحد الرشيد	1232-1242
11	علي السعيد	1242-1248
12	عمر المرتضى	1248-1266
13	إدريس الواثق الدبوس	1266-1269

[1] - http//:www.hukam.net
[2] - http//:www.hukam.net

الملحق رقم (6)[1]

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيْــشِ إِنْسَــانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْــهُ أَزْمَــانُ
وهذه الدارُ لا تَبقي على أحدٍ ... و لا يدوم على حَــالٍ لها شَــانُ
يُمَزَّقُ الدهرُ حَتما كل سَابِغَــةٍ ... إذا نبت مُشْرَفِيَّــاتٍ و خُرْصَــانُ
و يَنْتَضِي كل سيف للفَنَاءِ و لو ... كان ابن ذي يَزِنَ و الغَمْدَ غُمْدَانُ
أين الملوك ذوو التِيجَان من يَمَنٍ ... أين منهــم أَكَالِيــلُ و تِيجَانُ
و أين ما شَادَهُ شَّــدَادُ في إِرَمٍ ... و أين ما سَاسَهُ في الفرس سَاسَانُ
و أين ما حازه قَارونُ من ذهب ... و أين عَادٌ وشَــدَّادٌ و قَحْطَــانُ
أتى على الكُلِّ أمر لا مَرَدَّ لــه ... حتى قَضَوْا فكأن القَوْمَ مَا كَانــُوا
دار الزمان على دَارَا و قَاتَلَــهُ ... وأَمَّ كِسْرَى فما آواه إِيــــوَانُ
كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... يَوْماً و لا مَلَكَ الدُنْيَا سُلَيْمَانُ
فَجَائِعُ الدهر أنواع مُنَوَّعَــةٍ ... و للزمان مَسَرَّاتٍ و أحــزان
و للحوادث سُلْوَانٌ يهونــها ... و مَــا لما حَلَّ بالإسلام سُلْوَانُ
دَهَى الجَزيرة أَمْرٌ لا عَزَاءُ لــه ... هَوَى له أُحُدٌ و انْهَدَّ ثَهْــلانُ
أصابها العَيْنُ في الإسلام فَارْتَزَأَتْ ... حتى خَلَتْ منه أَقْطَارٌ و بلــدان
فاسأل بَلَنْسِيَّةَ ما شأن مُرْسِيَــة ... و أين شَاطِبَــةٌ أم أيــن جَيَّــانُ
و أَيْنَ قُرْطُبَــة دار العلوم فكم ... من عالم قد سَمَا فيهــا له شَــانُ
و أين حِمْصٌ و ما تحويه من نُزَهٌ ... و نهرها العذب فَيَّــاضٌ و ملآن

[1] - أحمد بن محمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي العياض ، القاهرة ، 1939 ، ص ص 47-48.

قواعد كن أركان البلاد فمـــا عسى البقاء إذا لم تبق أركـــان
تبكي الحَنيفِيَّةُ البيضاء من أســـف كما بكى لفراق الإلْفِ هَيْمَـــانُ
على ديار من الإسلام خاليـــة قد أسلمت و لها بالكفر عمـــران
حيث المساجد قد صارت كَنَائِسَ ما فيهن إلا نَوَاقِيسُ و صُلْبَـــــانُ
حتى المَحَارِيبُ تبكي وهي جامدة حتى المَنَابِرُ تَرْثُي و هي عيدان
يا غفلا و له في الدهر موعظـــة إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظان
و مَاشِيًا مرحاً يُلْهِيهِ مَوْطِنُـــهُ أَبْعَد حِمْصٍ تغر المرء أوطـــان
تلك مصيبة أَنْسَتْ ما تقدمهـــا و ما لها مع طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
يَأَيُّهَا المَلِكُ البَيْضَاءِ رَايَتُـــهُ أدرك بِسَيْفِكَ أهل الكفر لا كانوا
يا راكبين عِتَاقِ الخيلِ ضَامِـــرَةً كأنها في مجال السَّبْقِ عُقْبَـــانُ
و حاملين سُيُوفِ الهِنْدِ مـــرهفة كأنها في ظلام النَقْـــعِ نِيـــرَانُ
وراتعين وراء البحر في دَعَـــةٍ لهم بأوطانهم عِزٌّ و سُلْطَـــانُ
أعندكم نَبَأٌ من أهل أندلـــس فقد سَرَى بحديث القوم ركبان
كم يَسْتَغِيثُ بَنُو المستضعفين وهم أسرى و قتلى فما يَهْتَزُّ إنسان
ماذا التَقَاطُعُ في الإسلام بينكـــم و أنتم يا عِبَـــادُ الله إِخْـــوَانُ
ألا نفـــوس أَبِيَّـــاتٌ لهـــا هِمَـــمٌ أما على الخير أَنْصَارٌ و أَعْوَانُ
يَا مَنْ لِذِلَّةِ قـــوم بعـــد عِزِّهِـــمُ أحال حالهم كُفْرٌ و طغيـــان
بالأمس كَانُوا مُلُوكاً في مَنَازِلِهِـــم و اليوم هُمْ في بِلادِ الكفر عُبْدَانُ
فلو تراهم حَيَارَى لا دَلِيلَ لهـــم عليهم من ثِيَّابِ الذُّلِ أَلْـــوَانُ
و لَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُم عِنْـــدَ بَيْعِهِـــمْ لَهَالَكَ الأَمْرُ و اسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ و طِفْلٍ حِيلَ بينهمـــا كما تَفَـــرَّقُ أرواحٌ و أَبْـــدَانُ
وطفلة ما رأتها الشمس إذ بَرَزَتْ كأنما هي يَاقُوتٌ و مَرْجَانُ
يقودها العِلْجُ للمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً و العين بَاكِيَةً و القَلْبُ حَيْرَانُ
لمثل هذا يَذُوبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إن كَانَ في القَلْبِ إِسْلامٌ و إِيمانُ

أولا:المخطوطات :

1- الراشدي (أحمد بن يوسف) ، **بستان الأزهار في مناقب الأخبار و معدن الأنوار** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1707.

2- الشاطبي (حاج محمد بن علي بن محمد) ، **كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1575.

3- مجهول ، **رسالة في التوحيد** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 687.

ثانيا: المصـــــادر :

4- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) ، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط3، دار المسرة ، بيروت ، 1993.

5- ابن الأبَّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)، **الحلة السَّيراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، ج2، دار المعارف، لبنان، 1985.

6- (ـــــــــــ)، **التكملة لكتاب الصلة** ، تح : ألفرد بل و ابن أبي شنب ،ط2 ، ج2، الجزائر 1919 .

7- (ـــــــــــ)، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد** ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989.

8- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري) ، **الكامل في التاريخ** ، ج11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، 1966.

9- ابن القطان (أبو محمد الحسن بن علي) ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي المكي، ج11، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

10- ابن تومرت (محمد) ، **أعز ما يطلب** ، تح : عمار طالبي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007.

11- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب :قسم الموحدين** ، تح : محمد إبارهيم الكتاني و آخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1986.

12- ابن عسكر (أبو عبد الله) و أبي بكر بن خميس ، أعلام مالقة ، تح : عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999.

13- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين) ، **الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب** ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996.

14- الإدريسي (أبو عبد الله الشريف) ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس"** ، تح : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1983.

15- الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ، **مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين** ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1، مكتبة النهضة الإسلامية ، القاهرة ، 1950 ، ص 87-88.

16- البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد) ، **الفرق بين الفرق** ، تح : محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995.

17- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب – مقتطف من كتاب المسالك و الممالك–** ،دار الكتاب المصري ، القاهرة ، د ت

18- ابن الخطيب (لسان الدين) ، **أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، 2006.

19- (ـــــــــــ) **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط1، ج2، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1901.

20- ابن خرداذبة (أبو القاسم ابن عبيد) ، **المسالك و الممالك** ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889.

21- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) ، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج4،ج6؛ج7، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.

22- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى): **كتاب الجغرافيا** ، تح : إسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982.

23- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ، **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين و ظهور الإمام المهدي بالموحدين و ما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين و أخيرا بعض الخلفاء الراشدين**، تح: عبد الهادي التازي ، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

24- ابن عبد الله (مصطفى المعروف بـــ"حاجي خليفة") ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج2،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.

25- البغدادي السويدي (أبو الفوز محمد أمين) ، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979 .

26- ابن قسي (أبو القاسم) ، **خلع النعلين والتماس النورين من موضع القدمين** ، تح : محمد الأمراني ، ط1، جامعة القاضي عياض ، مراكش ، 1997.

27- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) ، **أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين** ، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

28- التلمساني (محمد ابن مرزوق) ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** ، تح : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1981.

29- الجزنائي (علي) ، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس** ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، ط2، الجامعة الملكية ، الرباط ، 1992.

30- الحموي (ياقوت بن عبد الله) ، **معجم البلدان** ،ج1، ج5، دار صادر لبنان، 1979.

31- الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، لبنان، 1979.

32- الدمشقي (محمد بن أبي طالب) ، **نخبة الدهر في عجائب البر و البحر** ، تح :عبد الرزاق الأصفر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1983.

33- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) ، **سير أعلام النبلاء** ، ط 1، ج20، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

34- الزركشي (أبو عبد الله بن إبراهيم) ، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية** ، نح : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1968.

35- الزياني (محمد بن يوسف) ، **دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران** ، تقديم و تعليق : المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978 .

36- الشرقاوي (عبد الله) ، **تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين** ، تح : رحاب عبد الحميد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996.

37- العثماني (محمد بن غازي) ، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، تح : عبد الوهاب بن منصور، ط1 ، 1999.

38- الغزالي (أبو حامد محمد) ، **إحياء علوم الدين** ، ج1، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، 1998.

39- الفاسي (علي بن أبي زرع) ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972.

40- القاضي عياض (عياض بن موسى اليحصبي السبتي) ، **الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض"**، تح : ماهر زهير جرار ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، .1982

41- القلقشندي (أحمد بن علي) ، **الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تح : إبراهيم الأبياري، ط2،،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

42- (ـــــــــــــ)، **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، ج6، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

43- مجهول ، **مفاخر البربر** ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط، 2005.

44- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979.

45- مجهول ، **تاريخ الأندلس** ، تح : عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007 .

46- المراكشي (عبد الواحد بن علي) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية بيروت .

47- المراكشي (محمد بن عبد الملك) ، **كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة**، القسم الأوّلــ ، السفر الثامن، تح: محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، 1984.

48- المقدسي (شمس الدين محمد بن أحمد) ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،دار الكتب العلمية ، لبنان، 2002.

49- المقري (أبو العباس أحمد بن أحمد) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ،تح : إحسان عباس ، ط1، ج1، دار صادر، بيروت، 1997.

50- (ـــــــــــــ)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي العياض** ، تح : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939.

ثالثا: المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب المطبوعة:

51-ابن خلكان (أبو العباس أحمد) ، **وفيات الأعيان** ، تح : إحسان عباس ، ج4 ، دار العلم للملايين .

52- أبو الفضل (محمد احمد) ، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1996.

53- أبو ترابي (جميل) ، **من هم الموحدين الدروز** ، ط2 ، منشورات دار العلاء للنشر و التوزيع ، دمشق ، 2007.

54- أبورميلة (هشام) ، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان، الأردن، 1984.

55- أبو مصطفى (كمال السيد) ، **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي و حضارته**، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر، 2007.

56- أرسلان (شكيب) ، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، ج1، دار الكتب العلمية، 1997.

57- إسماعيل (محمود) ، **دولة الأدارسة حقائق جديدة** ، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991.

58- أشباخ (يوسف) ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ، تر: محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996.

59- بروفنسال ليفي ، الإسلام في المغرب و الأندلس ، تر: السيد عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1990.

60- بشتاوي (عادل سعيد) ، **الأندلسيون المواركة**، ط1،المقطم للنشر و التوزيع، مصر ، 1983.

61- بلانثيا أنخل جنثالث ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، تر : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت.

62- بلغيث (محمد الأمين) ، **دولة المرابطين بالأندلس : من مدينة السياسة إلى مدينة العلم** ، ط1، دار الوعي ، الجزائر ، 2009.

63- بن قربة (صالح) ، **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب** ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، 2008.

64- بورويبة (رشيد) و آخرون ، **الجزائر في التاريخ : العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

65- (ـــــــــــ) ، **الدولة الحمادية : تاريخها و حضارتها** ، ط1 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977.

66- بوناني (الطاهر) ، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م-13م**، ط1، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع ، الجزائر .

67- تورنو (روجي لي) ، **حركة الموحدين في المغرب** ، تر : أمين طيبي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1982.

68- ج.س.كولان ، **الأندلس** ، تر: إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1980 .

69- جوليان (شارل أندري) ، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، 1958.

70- الحفني (عبد المنعم) ، **الموسوعة الصوفية الكبرى** ، ط1، دار الرشاد ، القاهرة ، 1991.

71- حلاق (حسن) ، **مدن و شعوب إسلامية** ، دار الراتب الجامعية ، بيروت، 1992.

72- حمدي (أيمن) ، **قاموس المصطلحات الصوفي** ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 .

73- الخضري محمد ، الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، بيروت ،2004.

74- رمضان (عبد المحسن طه) ، **الحروب الصليبية في الأندلس** ، مكتبة الإنجلو مصرية ، القاهرة، 2001.

75- سالم (السيد عبد العزيز) ، **المغرب الكبير** ، ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 .

76- سالم (السيد عبد العزيز) و أحمد مختار العبادي ، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية ، بيروت ،1969.

77- سيد (أيمن فؤاد) ، **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007.

78- سيسالم (عصام سالم) ، **جزر الأندلس المنسية** ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984.

79- شاندور (ألبير) ، **صلاح الدين الأيوبي** ، تر: سعيد أبو الحسن ، نديم مرعشلي ، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، ط2، دمشق ، 1993.

80- شبارو (عصام محمد) ، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود** ، ط1، دار النهضة لعربية ، بيروت ، 2002.

81- الصلابي (علي محمد) ، **دولة المرابطين** ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، 2009 .

82- (ـــــــــــ) ، **دولة الموحدين** ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة ،2003.

83- طعيمة (صابر) ، **الشيعة "معتقدا و مذهبا"** ، ط1 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1988 .

84- الطنطاوي (علي) ، **رجال من التاريخ** ، ط8 ،دار المنارة ، جدة، 1990.

85- الطوخي أحمد محمد ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1997.

86- العبادي (أحمد مختار) ، **في تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2003.

87- عبد الفتاح (سعيد) ، **تاريخ أوربا في العصور الوسطى** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976.

88- العربي (إسماعيل) ، **المدن المغربية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

89- عزاوي (أحمد) ، **رسائل موحديه : مجموعة جديدة**، ط1، ج1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب 1995.

90- عقيلة الغناي (مراجع) ، **سقوط دولة الموحدين** ،ط2، منشورات قاريونس ، بنغازي ،ليبيا ، 2008.

91- علام (محمد عبد الله) ، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007.

92- عنان (محمد عبد الله) ، **الحاكم بأمر الله الفاطمي و أسرار الدعوة الفاطمية** ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1983.

93- (ـــــــــــــ) ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، ع3، ق1، ط2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1992.

94- الفقي (عصام عبد الرؤوف) ، **تاريخ المغرب و الأندلس**، مكتبة النهضة، القاهرة.

95- كاربخال (مارمول) ، **إفريقيا** ، ج1 ، تر : محمد حجي و آخرون ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرباط ، 1984.

96- الكعاك (عثمان) ، **موجز التاريخ العام للجزائر**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

97- المؤسسة العربية للدراسات و النشر، **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية** ، ط2، ج2، دار فارس للنشر و التوزيع ، الأردن ،1995.

98- مؤنس (حسين) ، **موسوعة تاريخ الأندلس** ، ج1، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996.

99- المراكبي (محمود) ، **ظاهر الدين وباطنه "السلف – الباطنية – الشيعة – الصوفية"** ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 1996.

100- ميراندا (أمبروسيو هويثي) ، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية** ، تر: عبد الواحد أكمير، ط1، منشورات الزمن ، 2004 .

101- النجار (عبد المجيد) ، **المهدي بن تومرت** ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983.

102- (ـــــــــــــ)، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت**، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1995.

103- النشار (محمد محمود) ، **علاقة مملكتي قشتالة و أراجون بسلطنة المماليك** ، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، القاهرة .

104- نصر الله (سعدون عباس) ، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس** ، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت 1998 .

105- (ـــــــــــــ) ، **دولة المرابطين في المغرب و الأندلس**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

106- وات (مونتغمري) ، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاريرا)، تر: محمد رضا، ط2، شركة المطبوعات، لبنان ، 1998.

ب- المجلات و الدوريات و الملتقيات :

107- السعيدي (المهدي بن محمد) ، **حركة الإصلاح المالكي بالمغرب و دور وكاك بن زلو اللمطي خلالها** ، مجلة التاريخ العربي ، عدد 49 ، الرباط ، 2009 .

108- بن معمر (محمد) ، **عبد المؤمن بن علي في مدرسة ابن تومرت العلمية والدينية و الحربية** ، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية ،عدد 1998، ط1 ، (دون دار نشر) ، تلمسان.

109- أنيسة بركات درار ، **شخصية عبد المؤمن بن علي سراج الموحدين** ، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية ،عدد 1998 ،ط1 ، (دون دار نشر)، تلمسان .

110- عياد مبروك عمار ، الماء في الأندلس ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 26 ، قسنطينة، 2008.

111- عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد العشر ، 1997.

ج- الأطروحات و الرسائل الجامعية :

112- بن الذيب (عيسى) ، **التجارة في عصر الدولة المرابطية** ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، مصر، السنة الجامعية ، 1990.

113- بن زاوي (طارق) ، **استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2009-2008 .

114- بوتشيش (أمينة) ، **بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع الهجريين**، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2007-2008.

115- عبدلي (لخضر) ، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، السنة الجامعية ، 2004-2005.

116- قوراري (عيسى) ، **قبيلة حميان من القرن 5هـ/8م – 09هـ/14م دراسة تاريخية و ثقافية** ، أطروحة دكتوراه ، قسم الثقافة الشعبية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة تلمسان ، 2005-2006.

رابعا: مراجع بلغات أجنبية :

117- CODERA FRACISCO , decadencia y desparicion de los Almoravides en España , Zaragoza , España , 1889.

118- DE CIRRIOURT ALBERT, histoire des mores mudjares et morisques, tome1 , dentu imprimeur , paris 1846.

119- LAGARDERE VINCENTE, les Almoravides : le djihade Andalou, l'harmattan, 8France, 199

Casablanca 120- LARAWI ABDALLAH ,L'histoire du Maghreb un essài de Synthése, Maroc , 1995

121- M. GALLIBAN WALTER, The Story of Sevilla , Paints , aldine House , London , 1909.

122- MALOUF AMIN, the crusades through arabs eyes , tr : Jon Rothschild , alsaqi books , london , 1984.

123- MICHAUX MADELEINE ,histoire su moyen âge, édition eurolles , paris , 2007.

124- MONSEIGNEUR FREPPEL , Saint Cyprien et l'église d'Afrique , bray et retaux libraires – éditeurs , paris , 1873

125- OUSSEDIK TAHAR , La Berbérie , tome 2 , E M A G édition , Alger , 2005.

126- REMOUN HASSAN , L'Algérie , édition la cassbah , alger , 2000.

127- RENE MILLET , Les Almohades : histoire d'une dynastie Berbère , société d'édition géographique Maritimes et coloniales , paris.

128- ROMEY CHARLES ,Histoire d'Espagne, tome 6, university du michigan ,USA1858.

129- ROSSEEUW ST-HILAIRE, Histoire d'Espagne depuis les premier temps jusqu'à la mort de Ferdinand VII, Tome4, paris 1844

130- SEGHIR MOHAMED , Histoire de Tizi-Ouzou et de sa région , 2 édition , édition Hamouda , alger , 2002.

- أ -

النبي محمد صلى الله عليه وسلم: 30- 32 - 35 - 36 - 56

ابراهيم بن أحمد : 16

إبراهيم بن تعشيت : 36-38

ابراهيم بن همشـــك : 54-57-58-59-60-61-62-65

إبراهين بن تاشفين بن علي بن يوسف : 41

ابن أبي جعفر : 15-58

ابن الأبار القضاعي : 55-85-86-

ابن الأثير : 101

ابن البني (الشاعر): 8

ابن الحاج اللورقي : 15

ابن الشرقي : 58

ابن القابلة محمد بن يحيى : 12

ابن القطان : 28-32

ابن حمدين : 13-15-16-23-27-47

ابن خلدون :85-97

ابن دهري : 59

ابن صاحب الصلاة : 91-

ابن عبيد (صهر ابن مردنيش) : 62

ابن عذاري :97-

ابن مثنى : 109-

ابن محفوظ : 82

ابن مروان : 16

أبو إبراهيم إسماعيل : 39-66

أبو إبراهيم بن إسحاق :36

أبو إسحاق بن يوسف : 93-97-98-

أبو الجليس محارب : 116

أبو الحجاج يوسف بن قادس : 106-108-

أبو الحجاج يوسف بن مردنيش: 66-85

أبو الحسن القسطالي : 81

أبو الحسن بن عياش : 64

أبو الحسن علي بن الربرتير : 69-73

أبو الحسن علي بن عمر : 14

أبو الحسن علي بن محمد(إليكا الهراسي) : 28

أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي : 14

أبو الربيع السليمان : 70

أبو العباس موسى بن عطـــاء الله الصـــنهاجي (ابـــن العريف) : 9-10-11

أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن : 76

أبو الغمر العلاء بن عـــزون : 14-15-47-48-50-58-

أبو القاسم أحمد بن قسي : 11-12-47-50

أبو القمر هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش : 66-85

أبو أوبيل : 116

أبو أيوب بن هلال الشرقي : 66

أبو بكر الشاشي : 28

أبو بكر بن العربي المعافري : 49

أبو بكر بن واسينوا : 7

أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي : 28-29

أبو جعفر الوقشي : 62

أبو جعفر بن عطية : 55

أبو جميل زيان بن مدافع بن مـــردنيش : 82-84-85-86-87-91-113-114-

أبو حامد الغزالي : 9-27-28

أبو حامد الغزالي الطرطوسي :

أبو حفص عمر بن عبد المـــؤمن : 63-64-65-66-96-114-

أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي : 115-70-85-91-92-94-95-96-97-112-113-114-115

فهرس الأعلام

أبو زكريا بن أبي حفص : 86-108
أبو زكريا بن عبد المؤمن : 95-
أبو زكريا يحي : 66
أبو زيد بن يوجان : 79
أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت : 56-57
أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الموحدي (بشنتي): 85-86
أبو سعيد بن جامع : 104-106-108-
أبو سعيد بن عبد المؤمن : 51
أبو سعيد عثمان بن أبي حفص : 76
أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن : 58-60-61
أبو سعيد يخلف بن الحسين : 43
أبو عبد الله بن إبراهيم : 64
أبو عبد الله بن صناديد : 100-101-102-
أبو عبد الله بن واندوين : 93-
أبو عبد الله عيسى بن ميمون : 14
أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز : 16
أبو عثمان بن عيسى : 65
أبو عمر اللمتوني : 15
أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن: 78-79
أبو محمد بن طاع الله الكومي : 92-
أبو محمد عبد الرحمن بن عياض : 17-54
أبو محمد عبد الله الكومي : 45
أبو محمد عبد الله بن أبي حفص : 58-59-60
أبو محمد عبد الله بن محمد : 16
أبو محمّد عبد الواحد بن أبي حفص : 78-79
أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون : 43
أبو يحي بن أبي حفص : 100-101-
أبو يحي بن زكريا الهزرجي : 77
أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني : 6-20
أبو يعقوب يوسف بن سليمان : 50-58-62
أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : 58-61-69-
أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور :70-71-
72-74-94-99-100-101-102-103-
115-116-
أحمد بن محمد بن ملحان الطائي : 16- 51
أخيل بن إدريس الرندي : 13-14-47
إدريس الأكبر : 26
إسحاق بن محمد بن غانية : 68-69
أكدى بن موسى : 37
ألفار رودريغز : 60-61-62
ألفونسو التاسع (ملك ليون): 83-84-102-
107-108-116-
ألفونسو الثامن (ملك قشتالة): 116-
ألفونسو السابع(ملك قشتالة) : 91-92-93-
94-96-99-100-101-102-103-
104-105-106-107-108-
ألفونسو السادس (ملك قشتالة) : 19-20-21-
22-
ألفونسو ريموندیز(القيصر) : 21-22-23-51-
53-56
ألفونسو سانشيز : 20-21-22-
ألفونسو هنريكز(ملك البرتغال) : 114-
الأمام مسلم : 31
أو حفص عمر بن يحي الهنتاتي : 42-67
أوراكا : 20-21-22-

- ب -

البابا إسكندر الثالث :94-95-96-
البابا إنوسنت الثالث : 95-104-105-106-
107-108-117-
البابا إنوسنت الرابع : 117
البابا أيوجين الثالث : 24
باديس بن المنصور : 3
سانشو الثالث(ملك البرتغال) : 83

براز بن محمد المسوفي : 48
بيدرو الثاني(ملك اراغون) : 105-106-116-
بيدرو دي لارا : 21
بيدرو فيرناندز(ملك نافار): 95-107-108-
البيذق : 34

- ت -

تاشفين بن علي اللمتوني : 6-13-39-40-41-

- ج -

جارسيا بن سانشو : 19.

- ح -

الحاكم بأمر الله الفاطمي : 3
الحسين بن علي الصنهاجي : 5-46
حماد بن بلكين : 3-5

- خ -

خايمي الأول (ملك اراغون): 86-110
الخليفة المأمون الموحدي : 82
الخليفة المستنصر العباسي : 82

- د -

داوود بن عائشة : 7
دردوش : 16
دييغو جومز : 21
دييغو لوبيث دي هارو : 105-

- ر -

رامون برنجير : 24-91-94
راميرو بن سانشو : 19
الربرتير(المرتزق القطلاني) : 40
روجار الصقلي : 44

- س -

سانشو الأكبر : 18-19
سانشو الأول (ملك نافار) : 116-
سانشو بن ألفونسو هنريكز : 97-
سعد بن مردنيش :53
السعيد بن المأمون : 117
سليمان بن عبد الله العلوي : 26
سليمان بن يكلد : 36
سيد راي بن وزير : 12-13-49-56
سير بن أبي بكر : 7
سير بن إسحاق : 78
سير بن قودي : 36
سيف الدولة بن هود : 15-16-23

- ش -

شان مينوس : 95-
شرف الدين قراقوش الغزي(المملوك الأيوبي) :71-
72-73-74-75-76-79-112-115

- ص -

صلاح الدين يوسف بن أيوب : 73

- ط -

طاهر بن كباب الصنهاجي : 41

- ع -

عبد الرحمن (قاضي السوس): 36
عبد الرحمن بن خلدون : 28-29-68-72
عبد الرحمن بن زجو : 39
عبد العزيز بن تومرت (أخ المهدي بن تومرت) : 50
عبد الله أسافو (والد المهدي) :26
عبد الله بن خراسان : 44
عبد الله بن عبد المؤمن : 44-45
عبد الله بن محمد بن غانية : 68-76

عبد الله بن محمد(ابن الرميمي) : 14
عبد الله بن ياسن الجزولي : 6
عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي : 32-33-38-41-42-43-44-45-46-47-48-50-55-56-57-58-60-61-91-109-
عبد الملك بن شلبان : 54
عبد الواحد المراكشي : 67-69-74
عبد الواحد بن أبي حفص : 77-78
علي المسوفي : 67
علي بن أبي بكر (ابن فتو) : 15
علي بن إسحاق بن غانيـــة : 70-71-72-73-74
علي بن الغازي : 78
علي بن اللمطي : 77
علي بن عيسى بن ميمون :13-47-50
علي بن يوسف اللمتوني : 6-9-10-33-34-38-39-69
عمر أصناك : 39
عمر بن الحسن القرباني : 44
عمر بن زجو : 39
عمر بن صالح الصنهاجي : 48
عمر بن ينتان : 34
عيسى بن تومرت (أخ المهدي بن تومرت) : 50
عيسى بن مقرب بن طراد اللخمي : 45

– غ –

غانم بن محمد بن سعد بن مردنيش : 85

– ف –

الفتح بن محمد : 77
فرديناند بن سانشو : 19
فرناندو الثالث –القديس– (ملك قشتالة) : 83-110
فرناندو الثاني –البابوج– : 112-
فرناندو الثاني(ملك ليون) : 94-112-113-
فرناندو رودريغز : 112

– ق –

القائم بن يحي بن العزيز الحمادي : 42
القاضي أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين : 27

– ك –

الكونت جومز : 21
الكونت هنري : 21

– ل –

لسان الدين بن الخطيب : 28-32
لوبي فيرناندث دي أيين (البطريق): 117

– م –

مارتن لوبيث : 94
مالك بن أنس : 31
مالك بن وهيب : 34
المتوكل بن هود : 81-82-83-84-85
محمد البشير : 38
محمد بن سعد بن مـــردنيش : 53-54-55-56-57-59-60-61-62-63-64-65
محمد بن علي الكومي : 56
محمد بن علي بن الحجام : 50
محمد بن عمر بن المنذر : 12
محمد بن غانية : 67
محمد بن فاطمة : 7
محمد بن مزدلي : 7
محمد بن مقدام : 65-66
محمد بن ميمون اللمتوني : 41
محمد بن نصر : 83-84
محمد بن هلال : 65

محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (الناصر الموحـــدي) : 103-104-106-107-108-109-110-116

محمد صلى الله عليه و سلم : 30-32-35-36-56

المعز بن باديس : 3

المنصور بن باديس : 5

المنصور بن بلكين : 3

المهدي بن تـــومرت : 26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-50

موسى بن سعيد : 48

ميمون بن المنتصر : 40

– ن –

الناصر بن المستيضئ (الخليفة العباسي): 72

– و –

و ليام الصقلي : 44-45

الواثق بالله بن هود : 87

وانور بن أبي بكر : 68

– ي –

يحي بن إسحاق (أنكمار) : 40

يحي بن إسحاق بن غانيـــة : 75-76-77-78-79-80

يحي بن تميم بن المعز : 44-

يحى بن غانية : 13-15-67

يحي بن مطروح : 44

يعقوب بن عمر بن عبد المؤمن : 73

يوسف بن أحمد البطروجي : 12-49-50

يوسف بن عبد الرحمن بن جزي : 16

يوسف بن هلال : 64

ـ أ ـ

أبدة :85-104-107-110-

آبلة : 95-

أراغون :19-20-21-22-24-80-81-82-83-84-85-91-94-107-114-115-

الأربص : 45

أرجونة : 86-87-88-89

أركش : 14-

أزليم : 37

إسبانيا :18-19-22-23-24- 105-

إستجة : 92-

إسترامادورة :83-102-

أسدوم آن الغزي : 37

الإسكندرية : 27-29

أشبونة :94-97

إشبيلية :12-13-49-50-56-57-58-59-60-63-65-66-82-83-84-92-93-94-95-96-97-98-99-101-102-103-110-112-115-

أشتوريش : 19-23-

أشير : 70

إفراغة : 22-23-24-53

إفريقية : 41-43-57-70-72-73-74-75-76-77-78-79-80-103-109-115-

أقليش : 23-24-

ألبونت : 58-85

ألمرية : 10-13-14-17-23-24-51-56-65-82-

إنجلترا :24- 104-

الأندلس :2-7-9-10-11-12-13-14-15-16-18-19-20-23-25-27-40-41-42-43-47-48-49-50-51-56-58-59-66-67-68-71-80-81-82-83-84-85-91-93-94-95-96-99-100-103-104-105-109-112-115-

أوربا :25- 104-105-

إيجلي : 26

إيجليز : 26-37-

إيطاليا : 23-70

ـ ب ـ

باجة :12-49-114-115-

بجاية : 40-42-43-70-72

بحر بسكونس : 18

البحيرة : 38

البرتغال :21-23-96-97-104-107-112-113-114-115-

برشلونة : 19-23-24-55-

برغش : 21-

برقة : 46

بسطة : 16-

بسكرة : 80

بطليوس :49-50-82-83-94-113-

بغداد : 27-28-70

بلاد الجريد : 45-72-74-75-76

بلاد الروم : 70

بلاد السوس : 26-34-36

بلاد الشام : 72

بلاد المصامدة : 38

بلاد جدميوة :37

بلاد ركراكة :37
بلاد غانة : 68
بلاد كومية : 39
بلاد مديونة : 39
بلاد هزرجة :37
بلش : 64
بلنسية :16-17-55-85-86-110-
البندقية : 70
بنشكلة :85-86-87
بونة : 42-72-75
بياسة : 104-107-110-
بيت المقدس : 24-25-
بيزة : 23-24-70

- ت -

تاجرا (بالقرب من ندرومة): 39-40-78
تارودانت : 36
تازاكورت : 37
تالات آن ميزك : 36
تاهرت : 74-78
ترجالة : 102-
تطيلة : 91-94
تفسرت :40
تلمسان : 33-39-40-41-42-74-78-79
توزر : 72
تـــونس :43-44-72-73-74-75-76-77-
78-80-113
تيزي آن ماس : 37
تينملل : 37-38-39
جبال البرتات : 18-

- ج -

جبل السبيكة : 60-61
جبل الفتح : 59
جبل زغوان : 45
جبل طارق :83-91
جبل نفوسة : 45-79
الجزائر الشرقية : 68-69-69-70
جزر البليار (الجزائر الشرقية) : 110-
الجزيرة الخضراء : 48-50-61-99-
جزيرة شقر:67-82-110-
جنوة : 23-24-70
جيـــان : 16-57-50-58-59-62-82-83-
84-85-86-
جيليقية : 18-21-22-23-

- ح -

حصن العقاب : 103-107-108-109-
حصن أندوجر : 63-83
حصن تسغيموت : 39
حصن شقوبش : 16-
حصن شنتفيلة :92-
حصن مجريط : 102-103-
حصن مرجيق : 12.

- د -

دانية : 68-82

- ر -

رباط الفتح : 62-83-
رندة :47-64-92-
روما : 105-
ريويا : 22.

- س -

ساهاجون :21- 94-
سبتة : 42-75-83-96.
السبيكة : 62-63

سجلماسة : 78-80-117
سرقسطة : 22-
سوسة :45
سطيف : 43
سلا : 42-61

- ش -

شاطبة : 110-
شبه جزيرة إيبيريا : 53
شريش : 47-48-50
شقنبارية : 45
شقورة : 16-
شلب :12-49-50-94-
شمال إفريقيا : 7-25-
شنت ياقب : 18-
شنترين :69-96-97-98-115-

- ص -

صفاقس : 44-75-77
صقلية : 4-45

- ط-

طبرقة : 45
طرابلس :3-44-71-75-76-112
طرطوشة : 24-53
طركونة : 114-
طريف :48-82-99-
طليبرة :49-92-93-102-113-
طليطلة :20- 92-94-99-101-102-105-
108-113-

- ف -

الفاتيكان : 117
فاس : 33-41
فحص ابن سلام : 60
فرنجلوش : 16-
فرنسا :23-104-

- غ -

غرناطـــة :15-15-16-51-56-57-58-59-
60-61-62-63-64-92-110-

- ق -

قابس : 45-74-75-77
قادس :13-47-50-110-
قرباقة : 63
قرطبـــة :14-15-16-26-47-50-57-58-
60-62-63-67-92-93-94-110-
قرمونة : 16-50-57-58-59
قسنطينة : 42-58-70
قشـــتالة :15-18-19-20-21-22-23-50-
51-54-56- 92 -93-96-99-101-103-
105-106-107-108-109-110-113-
114-115-116-
قصبة غرناطة : 60-62
قصر أبي دانس : 94-
قطلونية :20-23- 105-
قفصة : 115-
قفصة : 72-73-74-77
قلعة الأرك : 99-101-103-104-109-115-
قلعة رباح : 95-99-101-106-107-
قلعة شلبطرة : 104-
قلعة مالاجون : 106-
قونقة : 92-105-
قيجاطة : 66
القيروان : 75

– ك –

كاريون : 21–

كامبوديسينا : 21–

– ل –

لاردة : 24–

لبلة :12–13–49–50–94–

لورقة : 54–65

ليون:18–19–21–22–55–94–95–96–102–103–104–105–106–107–110–112–113–115–

– م –

ماردة :82–94–

مازونة :70

مالقة :13–14–51–60–61– 92–

متجانش :94–102–

مدينة الجزائر : 71

المدينة النبوية : 31

مراكش :10–33–34–35–37–38–39–41–42–43–44–46–47–48–56–65–68–70–73–74–76–77–78–79–94–110–112–115–116–117–

مرج الرقاد : 60–61

مرسية :15–17–56–59–61–62–63–65–66–81–82–84–85–86–87–104–110–114

مصر : 2–3–27–72–73–74–80

المعمورة : 91–

المغـــرب : 2–3–4–6–7–16–17–31–32–33–40–41–46–47–48–50–58–71–72–77–80–82–91–96–105–109–112–116

المغرب الأدنى: 2–5–6–

المغرب الأقصى :2–5–12–27–32–33–41–47–68–74–111

المغرب الأوسط :2–3–5–6–43–47–78–111

مكادة : 102–103–

مكناسة : 24

ملالة :33

مليانة: 70–71

المهدية : 5–44–45–46–72–74–76–77–78

ميرتلة :12–49–94–

ميورقة : 110

– ن –

نافار :18–22– 102–103–104–105–107–113–114–

ندرومة :39

نهر التاجة : 93–96–97–98–102–

نهر التاجة : 96–97

نهر دورو : 18–

– هـــ –

هنارس : 103–

هولندا : 24–

– و –

وادي آش : 16–

وادي الحجارة : 103–

الوادي الكبير : 95–110–

وبذة : 91–114–

ودان : 79–80

– ي –

ولبة :12–110–

وهران : 39–41

يابرة :12–94–

ياميلول : 70

– أ –

الأثبج : 43

الأمويون : 2–5

الأندلسيون :7–12–15–47–50–55–58–81–100–103–106–107–108–110–

– ب –

البربـــر :7–18–26–78–83–84–96–100–104–107–109

البرتغاليون : 96–97–106–113–

بنو العباس(الخلفاء العباسيون) : 27–71–72

بنو جشم : 71

بنو حفص : 109–

بنو حماد بن خليفة : 45

بنو رياح :43–57–62–63–71–78–96–112

بنو زيان : 111–

بنو زيري : 2–3–4–5

بنو ستلتن: 40

بنو سليم : 4–6–61–62

بنو سنوس : 40

بنو عباد بن نصر الله : 45

بنو غانية : 81–103

بنو كامل : 45

بنو مرين : 111

بنو هلال : 4–6–43

بنو هود : 22–81

بنو وانون : 39

بنو وردرسن : 40

بنو يستين : 40

– ج –

جدميوة : 35–64

جذام : 53

جنفيسة : 35

– ح –

الحشم : 100–

الحماديون : 5

– خ –

الخوراج : 31–36

– ز –

الزراجنة : 29

زغبة :2–5– 96–

زناتة : 96–100–111

– ش –

الشيعة الإمامية : 32

– ص –

الصقليين : 44–45

الصليبيون : 105–106–107–108

صنهاجة :7–43–80–115

– ظ –

الظاهرية : 32

– ع –

العـــرب :36–45–63–70–71–73–74–83–96–100–104–107–109

– غ –

الغز : 72

النورمانديون : 5–44

– ف –

الفاطميون : 2–3–4

الفرنج : 100

– ق –

قريش : 30

القشتاليين :55–93–100–116

– ل –

لمتونة : 40–80

– م –

المرابطون :2–7–9–11–12–13–14–15–16–20–22–23–27–29–30–34–36–37–38–39–40–41–47–48–49–50–54–55–67–68–69–72–73–81–82–83–91

مسوفة : 40–68–80

مصمودة :35–44–62–67–96–100

المعتزلة : 30

مغراوة : 96

الموحدون :17–29–36–37–38–39–40–41–47–48–49–50–53–55–56–57–58–59–60–61–62–63–64–65–66–67–68–69–70–71–72–73–74–75–76–78–79–91–80–81–82–83–84–92–93–94–95–96–99–100–102–104–105–106–107–108–112–113–114–115–116

الميورقيون : 69–71–73–74

– ن –

النصارى(المسيحيون) :14–22–23–24–44–81–82–83–84–91–93–94–95–96–97–99–102–103–104–106–107–112–117

نفزاوة : 75

– هـ –

هرغة : 34–65

هسكورة : 37

هنتاتة :35–100

اليهود : 44–59

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة..... أ
الفصل التمهيدي: : أوضاع المغرب و الأندلس في نهاية حكم المرابطين..... 01
أولا : أوضاع بلاد المغرب في نهاية حكم المرابطين :..... 02
1- الخريطة السياسية لبلاد المغرب 02
2- أوضاع الدولة المرابطية..... 03
ثانيا : أوضاع بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطين:..... 06
1- أحوال الحكم المرابطي في الأندلس..... 08
2- أهم ثورات على المرابطين في الأندلس..... 08
ثالثا : الممالك الإسبانية واستفادتها من الأوضاع:..... 14
1- الأوضاع الداخلية للممالك الإسبانية..... 14
2- الحروب الداخلية 15
3- إستفادتها من الأوضاع في الأندلس الإسلامية..... 18
الفصل الأول : نشأة الدولة الموحدية في المغرب و توسعها في الأندلس..... 21
أولا : المهدي بن تومرت و الدعوة الموحدية :..... 23
1-التعريف بابن تومرت..... 23
2-أسس و مبادئ الدعوة الموحدية 25
ثانيا : تأسيس الدولة الموحدية و توسعها بالمغرب :..... 28
1-تأسيس الدولة و بداية الصراع..... 30
2-توسع جبهات الصراع و سقوط دولة المرابطين..... 32
3- توسع الموحدين في باقي أرجاء بلاد المغرب 34
ثالثا : الموحدون في الأندلس :..... 38
1-جواز الموحدين إلى الأندلس..... 38
2-مراحل إخضاع الأندلس 39
الفصل الثاني : العلاقات السياسية للدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية في الأندلس..... 42
أولا : علاقات الدولة الموحدية بإمارة ابن مردنيش:..... 43
1-قيام إمارة ابن مردنيش..... 43
2- توسع جبهات الصراع 47
3- سقوط إمارة ابن مردنيش..... 53
ثانيا : العلاقات السياسية للدولة الموحدية بإمارة بني غانية:..... 57
1- قيام إمارة بني غانية..... 57
2- توسع الصراع في المغرب و الأندلس..... 61
3- سقوط إمارة بني غانية..... 66
ثالثا : العلاقات السياسية للدولة الموحدية بالإمارات المتأخرة :..... 70
1- علاقة الدولة الموحدية بإمارة بني هود..... 70
2- علاقة الدولة الموحدية بإمارة بني مردنيش..... 73
3- علاقة الدولة الموحدية بإمارة بني نصر..... 76
الفصل الثالث : العلاقات السياسية للدولة الموحدية بالممالك المسيحية في الأندلس..... 79
أولا : الحروب و المعارك بين الجانبين قبل موقعة الأرك :..... 80
1-تبادل الغزو بين الجانبين..... 80
2- غزو الموحدين لأراضي مملكة ليون..... 83
ثانيا :معركتي الأرك و العقاب و النتائج المترتبة 89

فهرس الموضوعات

عنهما.....
1- موقعة الأرك و نتائجها..... 89
2- موقعة العقاب و نتائجها..... 95
خاتمة..... 103
ملاحق..... 107
قائمة المصادر والمراجع..... 115
فهرس الموضوعات..... 141

الملخص :

تناولت هذه الدراسة الدولة الموحدية في المغرب و الأندلس منذ نشأتها و إلى غاية سقوطها (**540هـ – 1145م/668 هـ – 1269م**) حيث ركزت الدراسة على موضوع علاقاتها السياسية مع الإمارات الإسلامية في الأندلس كإمارة "ابن مردنيش" و "بني غانية" و كذلك بعض الإمارات الأخرى التي عاصرت نهاية الدولة الموحدية المعروفة تاريخيا بفترة "الطوائف الثانية" ، كما تناولت الدراسة علاقة الدولة الموحدية بالممالك المسيحية في الأندلس كمملكة قشتالة وأراغون و ليون و بعض الممالك الأخرى مركزة على الجانب العسكري و الدبلوماسي .

الكلمات المفتاحية :

الدولة الموحدية – بلاد المغرب – الأندلس – ابن مردنيش –بنو غانية – مملكة قشتالة –مملكة ليون –معركة الأرك –حصن العقاب .

RESUME :

Cette recherche a étudié la royaume Almohade en Maghreb et en Andalousie Depuis sa création et jusqu'à la chute, l'étude a porté sur le thème les relations politiques entre les almohade et les Émirats islamique d'Al-Andalus comme ibn mardanich , bani ghania et avec d'autres Emirats contemporaine de la dynastie almohade est historiquement connu comme la période des «sectes II », puis les relations politiques entre les almohade les royaumes chrétiennes comme castille , Aragón et Portugal et Certains des autres royaumes, en se concentrant sur le côté militaire et diplomatique.

Mots clefs :

Les almohades – Maghreb – Andalousie- ibn mardanich - bani ghania - les royaumes espagnoles.

SUMMARY:

This research studied the Almohad kingdom in North Africa and Andalusia since its inception and until the fall, the study focused on the theme of political relations between the Almohad and the Islamic Emirate of Al-Andalus as Ibn Mardanish, bani Ghania Emirates and other contemporary of the Almohad dynasty is historically known as the period of "cults II" and political relations between the Christian kingdoms Almohad as Castile, Aragon and Portugal and some other kingdoms, focusing on military and diplomatic side.

Key words:

The Almohad kingdom- North Africa - Andalusia - the political relationship -ibn mardanich- bani Ghania- S5